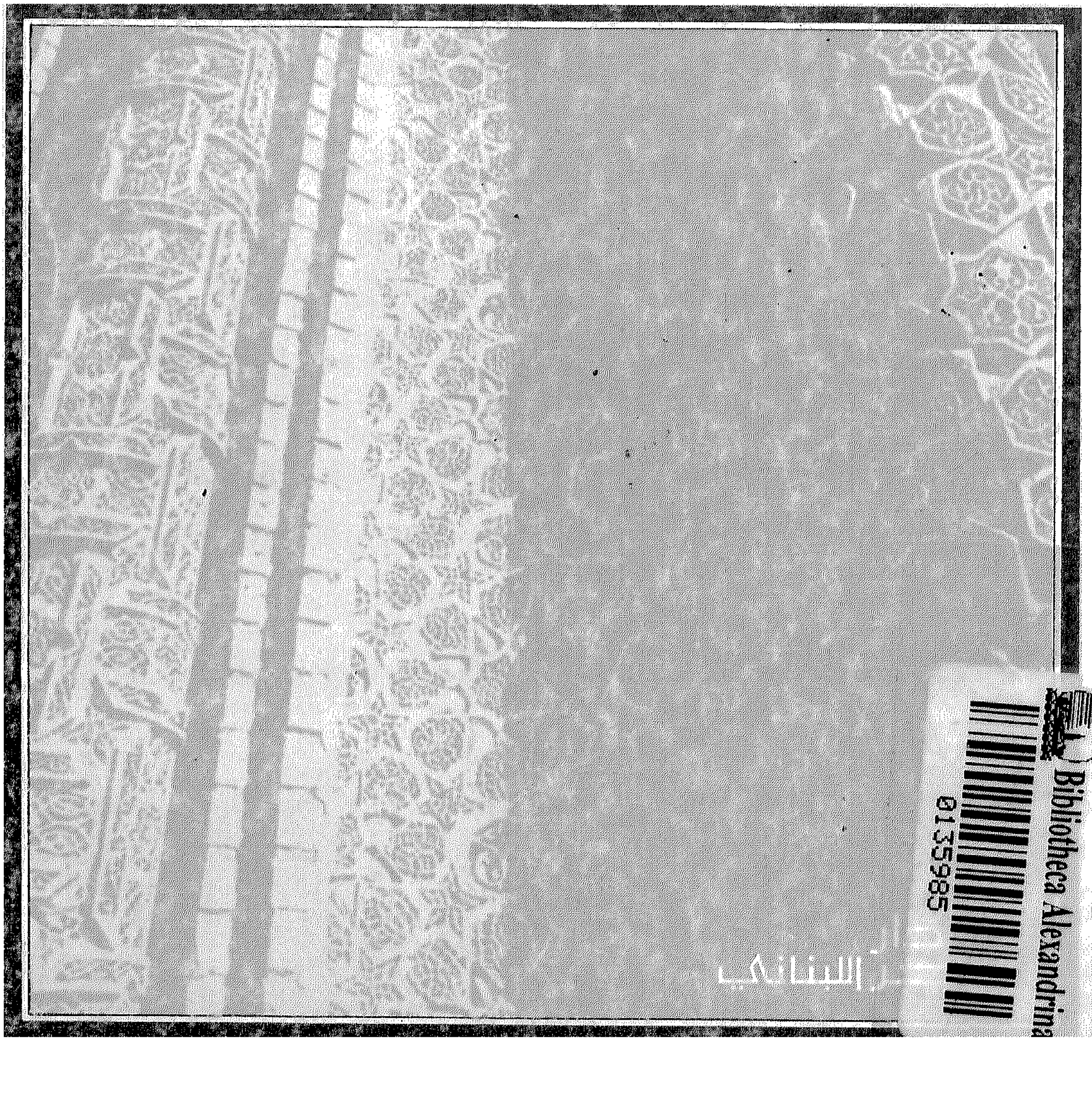
الدكتور أحمد محمد فارس
عميد كلية الدعوة الإسلامية في لبنان (سابقاً)
أستاذ اللغة العربية والأدب في كلية الآداب
الجامعة اللبنانية - الفرع الأول

النِّداءُ
في اللغة والقرآن



النداء
في اللغة والقرآن

النداء في اللغة والقرآن

الدكتور أحمد محمد فارس

عميد كلية الدعوة الإسلامية في لبنان (سابقاً)
أستاذ اللغة العربية والأدب في كلية الآداب
الجامعة اللبنانية - الفرع الاول

دار الفكر اللبناني

دارُ الفِكر اللبناني
للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة - تجاه غلوب بنك
هاتف : ٣١١٥٧٨-٨٦٣٣٩٣
ص.ب : ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
تلكس : DAFKLB 23648 LE - بيروت، لبنان

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

فضّل الله الانسان بالفهم، وحباه بالعلم، وميزه بالعقل، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

والانسان لا يحيا حياة تليق به كانسان إلا في جماعة، وكانت نعمة البيان آية جلى في التعبير عن حاجياته وشؤونه، وحسن التفاهم والتعاون مع غيره.

والعربية من أخوات الساميات، تمتاز بالبيان والاعراب، واتساع المدرج الصوتي، والمحافظة على خصائصها الموروثة إلا أن ضوابطها النحوية اتسمت بالصعوبة، وهي وان كانت ضوابط مختارة للهجة أو لهجات ميزها النحاة على غيرها، وشاعت فيها ظواهر هي التي أحكمتها فقد اعتراها المرض من جراء التواء التآليف، والمصنفات التي صنفت في القرون المتوسطة، وعصر الحواشي والتقارير وتقارير التقارير مما عسر الفهم على الدارس والمدرس ويلبل الفكر، وأضاع الوقت، ولم يحقق الهدف المنشود.

وللدارسين العذر في رغبتهم عن النحو أو الأخذ منه بقدر لما ران على كثير من المؤلفات في العصور المظلمة من خلط واختلاط، وتعرج السير، وعدم استقامة الخطوط، والتواء التعبير، وعقم في التآليف اللغوية والأدبية.

والسبب أن التآليف في الاسلاميات نشطت بعد غزو التتار البلاد الاسلامية سنة ٦٥٦ هـ، وأحرقت مكتبة بغداد، وألقي ما بقي منها في نهر دجلة، وخسر

العالم كله كنزاً لا يعوض بفعل الغـزاة التتار، فهـاجر كـثرة من العلماء إلى مصر، والتقى فيها علماء بغداد والشام والأندلس.

ونشـطت التآليف في الاسـلاميات وكـان معظمهـا امـلاء من رؤوس العلماء تعويضاً لما ضاع من كتب فجاء الخلط والتشويش.

بينما تعثرت الأدبيات والبلاغة بعد هذا التاريخ مدة طـويلة، وانصرف الشعراء والأدباء إلى تافه الأشياء مما لا يسمن ولا يغني من جوع وبحث كـل عن شيء من صناعة تقيته.

على أن المصنفات اللغوية درست في هذه الحقبة دراسة حرة في معاهد وزوايا حرة، وأشبعت شرحاً واختصاراً، وتأويلاً وتخريجاً وتحشية فبـات الأمر يحتـاج إلى اصلاح وتنمية وتنقية.

وفروع الدراسة اليوم في مختلف المراحل التعليميـة تدرس في الخـارج بعنايـة وتوزن بمقدار، وتعد بالحسـاب، حتى تأتي الجـرعات مسـاوقة للغـرض المطلوب، فلم يشك تلميذهم، بينما أنّ طالبنا، واشتكى تلميذنا، وتململ مدرسنا للأسباب التي أوردتها، فبات الأمر يتطلب اصلاحاً ورأياً، ودقة ووزناً.

والنـداء باب حيـوي من أبواب النحـو له قيمتـه وأهميته البـالغة ولعله أكـثر أبواب النحو استعمـالاً في كل مكـان، ودوراناً عـلى الألسنة، ويـلاحظ أن النداء يأخذ خطاً علوياً وسفلياً وأفقياً وحقيقياً ومجازياً وينادى الفـرد والجماعـة (الحقيقية والمعنوية) وينادى العالم المرئي وما وراء الـطبيعة، وينـادى العاقـل وغيره، والحي والجماد.

ومن المرجح أن النداء مرّ بمراحل تطورية، وكانت له طفولة، مـرّ في أطوار: الإشارة والإيماءة والغمزة واللفتة والحركة والبسمة والصراخ المقصود والاستحضار المكتـوب، والاستدعـاء اللغوي ممـا يمكننا أن نقـول: أن النداء تـدرج حتى أخذ صورته المثلى.

ولله در نحاتنا حين قالوا في شمول وتعميم: الكلام لغة: كل ما أفاد، ولعلنا

نستطيع القول بأن النداء بالمعنى العام هو أقدم عناصر اللغة الانسانية نشأة واستعمالاً لمسيس الحاجة إليه والوظيفة الكبيرة التي يؤديها بين أفراد البشر مذ وجدوا على ظهر البسيطة.

وإذا رأينا قصور الإشارة والإيماءة والغمزة والبسمة خاصة إذا اكتنف المكان ظلام، وفي الصراخ التباس وايهام، بقيت لنا وسيلة الكلام العظمى، وطريقة النداء المثلى بصيغه الظاهرة والمحذوفة وأشكاله المختلفة، وأساليبه المتنوعة التي تدل على أهميته الكبيرة ضمن المنظومة اللغوية العربية.

وأهميته هي التي أدت الى تشعب الدراسات حوله في الأدبيات العربية الكلاسيكية، إذ لم يدرسه النحويون فقط، بل درسه اللغويون والبلاغيون والأصوليون والمناطقة أيضاً.

وطبيعي أن تختلف منازع الدراسة باختلاف أغراضها في التخصصات والعلوم المختلفة، ولا بد للباحث من تبين ذلك منذ البدء حتى لا يقع في خطأ منهجي، قوامه الاعتقاد بأن ما قام به الآخرون في نطاق نظرية البناء إنما هو تكرار لما فعله النحويون في نطاق النظرية النحوية.

لكن هذا الدور الكبير للنداء في نطاق اللغة العربية بشكل عام وعند النحويين بشكل خاص لم يلق الاهتمام الكافي الذي يستحقه، ولم يدرس باستقصاء ومنهجية، فضلاً عن أني رأيت أن أتصفح في إمعان نداءات القرآن الكريم، مرتباً مصنفاً لأشفع الجانب العلمي في النداء بالجانب العملي في نص مقدس، وبذلك تقرن النظرية بالتطبيق.

فلهذا ولما سلف، اخترت عنوان «**النداء في اللغة والقرآن**» موضوعاً لهذا الكتاب.

ولقد كان همي في هذه الدراسة كلها التركيز على وظيفة النداء في الحياة والأدب محاولاً تضييق الشقة بين النظرية والاستعمال الواقعي لمختلف أشكال النداء.

وقد اعتمدت في الدراسة على كثير من المصادر والمراجع ولعل أهمها: «الكتاب» لسيبويه، و «شرح السيرافي»، و «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» لابن الأنباري، و «طبقات النحويين واللغويين» للزبيدي، و «مراتب النحويين» لأبي الطيب اللغوي، و «القرآن الكريم» في الفصل الخاص به.

والله وليُّ التوفيق

بيروت في ١٦ رجب ١٤٠٩ هـ

و ٢٢ شباط ١٩٨٩ م

د. أحمد محمد فارس

الفصل الأول النِّـــــداءُ في النَحوِ العَرَبِيِّ

أ ـ نشأة النحو العربي:

كان العرب في الجاهلية يتكلمون لغتهم بسليقتهم، ويتناقلونها شفاهاً جيلاً عن جيل، وكانت لهم أسواق يقومون فيها بالاصطفاء من لغات القبائل، وأخذ الشعراء والبلغاء أنفسهم بما اصطفوه وأجمعوا على استحسانه منها وتنافسوا في ذلك[1]، وكانوا قليلي الاتصال بمن حولهم فلم يخالط لغتهم عجمة.

ولما جاء الاسلام وانتشر خارج الجزيرة العربية بالفتوحات اضطر العرب إلى مخالطة الأمصار المفتوحة، وأصبحت بلادهم مرتاداً للأعاجم الذين يفدون إليها للحج أو التجارة أو تبادل المصالح، وانتشرت اللغة العربية في كثير من البلدان أخذ اللحن يتخلل السليقة العربية، وساعد على ذلك أن اللغة العربية لغة معربة سرعان ما يسري اللحن إليها ويشيع، كما أن العرب النزول بدأت سلائقهم تضعف لبعدهم عن ينابيع اللغة الفصيحة، لكن اللحن بقي قليلاً ومحدوداً في صدر الاسلام، قيل: ان رجلاً لحن في حضرة الرسول ﷺ فقال لمن حوله: «أرشدوا أخاكم فقد ضل»[2].

---

(١) الأفغاني، سعيد: من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ ص ٧.

(٢) ـ ابن جني: الخصائص، ت. محمد علي النجار، القاهرة١٩٥٦ جـ٢ ص ٨.

ـ وياقوت: معجم الأدباء، ط. ثالثة مصورة عن طبعة المأمون، دار الفكر بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م جـ١ ص ٨.

وروى أن أحد ولاة عمر بن الخطاب كتب إليه كتاباً ورد فيه لحن فكتب إليه عمر: «ان قنّع كاتبك سوطاً»[1].

ثم ازداد اللحن فشوا وانتشاراً على السنة من نشأوا في الحاضرة واختلطوا بالأجانب على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك، وكثرة ما كان يجري على لسانه من لحن[2].

كما أن كثيرين من أبناء العرب ولدوا لأمهات أجنبيات، وتأثروا بهن في نطقهن بعض الحروف وفي تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية[3].

رُوي أن الحجاج سأل يحيى بن يعمر، هل يلحن في بعض نطقه؟ فصارحه يحيى بأنه يلحن في حرف من القرآن الكريم! إذ كان يقرأ قوله عز وجل: «قل إن كان آباؤكمْ وأبناؤكم» إلى قوله تعالى: «أحبّ» بضم أحب، والوجه أن تقرأ بالنصب خبراً لكان لا بالرفع[4].

وقد حمل ذلك العلماء والغيارى على وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة القرآن الكريم فجمعت اللغة ووضع النحو وكان علما اللغة والنحو.

فجمع اللغة واستنباط النحو ووضعه تعود إلى أسباب وبواعث أهمها: الباعث الديني المتمثل في الحرص الشديد على أداء نصوص القرآن الكريم أداء سليماً. وهناك بواعث غير دينية منها: الشعور القومي لدى العرب واعتزازهم بلغتهم وخوفهم عليها من الفساد حين امتزجوا بالأجانب مما جعلهم يحرصون على

---

(١) ابن جني: الخصائص جـ ٢ ص ٨. وابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت. احسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠/١٩٧٤ جـ ٥ ص ٩٩.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ت. عبد السلام هارون ١٩٥٥، جـ ٢ ص ٢٥٤. وابن قتيبة: عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٣ جـ ٢ ص ١٥٨ - ١٦٧.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين جـ ١ ص ٧٢، وجـ ٢ ص ٢١٠.

(٤) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ط. الخانجي، القاهرة ١٩٧٩ ت. محمد أبو الفضل ابرهيم ص ٢٢. والجاحظ: البيان والتبيين جـ ٢ ص ٢١٨.

ترتيب أوضاع لغتهم حرصاً عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأخرى.

وكان الولاة الأمويون مهتمين بأمر اللحن باعتبار ان دولتهم قامت على العصبية العربية، وأن اللحن يفشو في الطبقات الرفيعة من الأمراء والحكام فعمل الحكام على تقريب ذوي الفصاحة وايثارهم وحرمان اللحانة.

وهناك أيضاً بواعث اجتماعية تعود إلى أن الشعوب المستعربة شعرت بالحاجة الماسة إلى من يرسم لها أوضاع العربية في اعرابها وتصريفها حتى تتمكن من تمثلها على وجهها الصحيح، وتحسن النطق بأساليبها نطقاً سليماً.

يضاف إلى ذلك رقي العقل العربي، ونمو طاقته نمواً أعدّ للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية.

من رسم النحو؟

يقول السيرافي: «اختلف الناس في أول من رسم النحو، فقال قائلون: أبو الأسود الدؤلي، وقيل نصر بن عاصم»[1].

وقيل بل هو عبد الرحمن بن هرمز[2]. وأكثر الناس على أنه أبو الأسود الدؤلي، وتضطرب الروايات في هذا الشأن، منها ما يجعل النحو من عمل أبي الأسود، ومنها ما يصعد به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويروون عن أبي الأسود نفسه أنه دخل عليه وهو في العراق فرآه مطرقاً مفكراً، فسأله فيم يفكر؟ فقال له: سمعت ببلدكم لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، وأتاه بعد أيام فألقى إليه صحيفة فيها[3]:

---

(١) السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ت. كرنكو، مصور بالأوفست، بيروت ٧٨ ص ٢٠.

(٢) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٩، والسيرافي: أخبار النحويين البصريين ص ٢١. وابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم ط. دار نهضة مصر. القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ص ١٥. والقفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٥٣ / ١٩٧٦ جـ٢ ص ١٧٢.

(٣) ابن الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ٥.

«بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل»، ثم قال: «اعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر».

يقول القفطي: «رأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزءاً فيه أبواب من النحو يجمعون على أنها مقدمة علي بن أبي طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي»[1].

ومن الباحثين من رد هذه الرواية التي تحمل في تضاعيفها ما يقطع بانتحالها إذ لا يعقل أن تصدر عن علي بن أبي طالب أو عن أحد معاصريه، وذكر أن الشيعة ربما هم الذين نحلوه هذا الوضع القديم للنحو الذي لا يتفق في شيء وأولية هذا العلم، ونشأته الأولى»[2].

ورُوي: أن أبا الأسود سمع قارئاً يقرأ الآية الكريمة: ﴿إن الله بريء من المشركين ورسوله﴾[3] بكسر اللام في رسوله، فقال ما ظننت أمر الناس يصل إلى هذا واستأذن زياد بن أبيه والي الكوفة، وقيل بل استأذن عبيد الله واليها من بعده في أن يضع للناس رسم العربيّة[4].

وقيل: بل وفد على زياد فقال له: اني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت السنتهم، افتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يعرفون - أو يقيمون - به كلامهم.

وقيل: بل ان رجلاً لحن أمام زياد أو امام ابنه عبيد الله فطلب زياد أو ابنه

---

(١) القفطي: أنباه الرواة جـ ١ ص ٥.

(٢) ضيف، شوقي: المدارس النحوية، ط. دار المعارف بمصر، ثانية، ١٩٧٢ ص ١٤.

(٣) سورة التوبة: آية ٣.

(٤) اللغوي، أبو الطيب: مراتب النحويين، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٧٧ ص ٦.

منه أن يرسم للناس العربية[1].

وقيل أنه رسمها حين سمع ابنته تقول: ما أحسنُ السماء وهي لا تريد الاستفهام وانما تريد التعجب فقال لها قولي: «ما أحسنَ السماء»[2].

وفي رواية أخرى: «يا أبت ما أشد الحر» فقال لها «شهراناجر»[3].

وفي رواية أنه شكا فساد لسانها لعلي بن أبي طالب فوضع له بعض أبواب النحو وقال له: انح هذا النحو[4] ومن أجل ذلك سمّي العلم باسم النحو.

يقول ابن سلام: «كان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»[5].

ويقول الزبيدي: «أول من أصل النحو وأعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم ابن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، فوضعوا للنحو أبواباً واصّلوا له أصولاً فذكروا عوامل الرفع والنصب. . .»[6].

على أن ما ذكر لا يمكن الاطمئنان إليه لاضطراب الروايات في هذا الشأن، وما ذكر من أمر عبيد الله بن زياد مردود لأنه كان مثلاً أعلى في اللحن.

وأبو الأسود الدؤلي وفقاً لبعض الروايات أول من وضع نقطاً يحرر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم بأمر من زياد بن أبيه أو غيره، وقد اتخذ لذلك كاتباً من بني عبد القيس، وقيل لم يرض فهمه فأتى بآخر من قريش، وقال له: إذا رأيتني فتحت شفتيّ بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وان ضممت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وان كسرت شفتيّ فاجعل النقطة من تحت الحرف،

---

(١) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٤.
(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ ابن عساكر، اختصار عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩ جـ ٧ ص ١٠٨.
(٣) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ط. معادة القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٦ جـ ١١ ص ١٠١.
(٤) ابن الأنباري: نزهة الألباء ص ٢ - ٣.
(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء. ت. محمود شاكر، القاهرة ١٩٧٧ ص ١٢.
(٦) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٣.

فان اتبعت شيئاً من ذلك غنة (تنويناً) فاجعل مكان النقطة نقطتين، ابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى على آخره، بينما كان الكاتب يصبغ النقط بصبغ يخالف لونه لون المداد الذي كتبت به الآيات[1].

ثم جاء تلاميذ أبي الأسود وهم من القراء وفي مقدمتهم: نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن فنقطوا المصحف وأخذ عنه النقط وحفظ وضبط وقيّد وعمل به واتبع فيه سنتهم واقتدى فيه بمذاهبهم»[2].

وقد أثار هؤلاء مسائل مختلفة من النحو حول آيات من القرآن وأبيات من الشعر.

ثم جاء عيسى بن عمر الثقفي، فجمع تلك المسائل المتفرقة، وقيل: انه ألف كتابين: سمى أحدهما «الجامع» والآخر «الاكمال» ولكن لم يصل إلينا شيء منهما[3] وإنما أوردت بعض الكتب بيتين للخليل إعجاباً بهما وهما:

ذهب النحو جميعاً كله   غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع   فهما للناس شمس وقمر[4]

ثم جاء الخليل[5] فعكف على العلم يخترع ويستنبط الأصول من الفروع، وهو الذي وضع النحو على النمط المعروف الآن، وبسطه وأوضح علله، ولم يؤلف في ذلك كتاباً، وإنما أوحى بنتاج فكره إلى تلميذه سيبويه[6].

---

(١) الداني: المحكم في نقط المصاحف، ط. مديرية احياء التراث القديم، دمشق ١٩٦٠ ص ٣ وما بعدها. والقفطي: أنباه الرواة جـ ١ ص ٥، وابن النديم: الفهرست. فلوجل، مصور بالأوفست ص ٥٩. واللغوي، أبو الطيب: مراتب النحويين ص ٩.

(٢) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٥. والداني: المحكم في نقط المصاحف، ص ٦. والقفطي: أنباه الرواة جـ ٢ ص ٣٨٢.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٦٢، والسيرافي: أخبار النحويين البصريين ص ٣٢.

(٤) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ١٥.

(٥) السيرافي: أخبار النحويين البصريين ص ٣٨.

(٦) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، ◁

ب ـ مدارس النحو العربي:

كان العراق الأرض الخصبة التي نبت فيها النحو ونما، كما كان أسبق الأمصار إلى تدوين اللغة والنحو، وربما ساعد على ذلك أن سكانه بقايا أمم قديمة متحضرة كان فيها علم وتدوين.

وكانت البصرة أول مدرسة وضعت أصول النحو وقواعده، ومكنت له من هذه الحياة؛ لأنها كانت مرفأ تجارياً على خليج العرب تنزلها عناصر أجنبية كثيرة، وكانت الأقرب إلى مدرسة جند يسابور[1] الفارسية التي كانت تدرس فيها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، مما جعل جداول من تلك الثقافات تصب فيها.

ولذلك كان من الطبيعي أن نجد بها أقدم المترجمين المسمى ماسرجويه الذي عهد إليه عمر بن عبد العزيز بترجمة كتب في الطب[2]، ولا نلبث أن نلتقي بابن المقفع الذي نشأ بها وتوفي عام ١٤٣، وكان يتقن الفارسية، ويحذق العربية، فترجم إليها بعض ما في الفارسية من روائع الكنوز التاريخية والأدبية، كما ترجم كليلة ودمنة الهندي منها[3] ثم ترجم منطق أرسطاليس، ومن هنا يمكن معرفة

بيروت، ط: ثانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م جـ ٢ ص ٢٢٩.

(١) مدرسة جند يسابور، أسسها كسرى الأول ملك فارس باقليم الخوزستان سنة ٥٥٥ ميلادية، وظلت هذه المدرسة تؤدي رسالتها حتى زمن العباسيين.

F. Rosenthal. Das Fortheben der Antike in Islam brill, 1972.

(٢) د. لاسي أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب. ت: وهيب كامل ص ١٩ وما بعدها وص ٢١٢ وما بعدها.

ماسرجويه: طبيب عاش في النصف الأخير من القرن السابع الميلادي استخدمه الأمويون، ولقب بمتطبب البصرة، ترجم الى اللغة العربية كتاب «كتاش في الطب» للأجنطي، وكان هذا الكتاب قد نقله إلى اللغة السريانية القس العالم أهرون بن أعين.

(٣) ابن المقفع ودوره في الثقافة العربية، التراجم الارسطاطالية المنسوبة إلى ابن المقفع في التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ١٠١ ـ ١٢٠ ط: النهضة المصرية ١٩٤٠ مجموعة دراسات ترجمها وقدم لها عبد الرحمن بدوي. والفلسفة الشكية عند العرب في «المنتقى من دراسات المستشرقين جـ ١ ص ٢٠٩. مجموعة مقالات نقلها إلى العربية صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ط ٢ ١٩٧٦.

الطابع العام للثقافة العربية في البصرة حيث اتسمت بالتدقيق والاهتمام بالتشقيق والتأثر بالقواعد العقلية والمنطقية، مما له دلالة على اتجاه البصرة للعناية بعلم الكلام الذي فيه من التشقيق والتفكير العقلي ما فيه.

وقد لاحظ ابن سلام في هذا المجال أنه: «كان لأهل البصرة في العربية قدمه وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية»[1].

وهكذا تبقى الروايات من بدايات النحو على يد علي بن أبي طالب أو أبي الأسود الدؤلي ضروباً من التخمين، إلا أن ما يمكن الاطمئنان إليه هو أن أبا الأسود وتلامذته كيحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وضعوا النقط والاعجام وحسنوها[2]، كما أسلفت.

١ ـ مدرستا البصرة والكوفة:

على أن بدايات النحو الحقيقية كانت في البصرة، وهذا ابن النديم يقول: «انما قدمنا البصريين أولاً؛ لأن علم العربية عنهم أخذ»[3]، وأما فيما يتصل بالبدايات المحددة فيذكر ابن سلام عن عبد الله بن أبي أسحق الحضرمي أنه: «كان أول من بعج النحو ومد القياس، وشرح العلل»[4]، ويضيف أبو الطيب اللغوي: «فرع عبد الله بن أبي أسحق النحو وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاباً مما أملاه»[5].

ومما يدل على التفكير الذي حكم ابن أبي اسحق القصة التي ترويها عنه كتب

(١) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء جـ ١ ص ١٢.
(٢) السيرافي: أخبار النحويين البصريين ١٣. ووردت آراء أخرى. الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ابن الأنباري: نزهة الألباء ٦. أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ٦، القفطي: أنباه الرواة ١٧٢/٢، ٥/١.
(٣) ابن النديم: الفهرست ١٠٢.
(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ١٢/١ ـ ١٣.
(٥) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ١٢.

تراجم النحويين فقد سأله يونس بن حبيب عن كلمة السويق، وهو الناعم من دقيق الحنطة، هل ينطقها أحد من العرب ـ الصويق ـ بالصاد؟ فأجابه: نعم، قبيلة عمرو بن تميم تقولها. ثم قال له: وما تريد على هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس[1].

وكما اهتم ابن أبي اسحق بالقياس النحوي اهتم بالتعليل للقواعد تعليلاً يمكن لها في ذهن تلاميذه. بيد أن رجل المدرسة الكبير هو الخليل بن أحمد (ـ ١٥٠ هـ) الذي أبدع في مجالات فقه اللغة والعروض والنحو، فقد ألف «العين» في اللغة. وقعد العروض ووضع أصوله التي لم تشهد تطوراً يذكر بعده، وأوصل القياس النحوي والتعليل النحوي إلى درجة من التطور كبيرة[2].

ومع أنه لم يصلنا شيء من كتاباته النحوية، فان تلميذه سيبويه احتفظ لنا في كتابه بكثير من أقوال الخليل واستشهاداته وتعليلاته وأقيسته في كثير من الأمور.

وقد عرفت المدرسة البصرية بعد الخليل تلميذه سيبويه صاحب «الكتاب» الذي قيد فيه النحو كله حتى «لم يشذ من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له»[3] ثم كان قطرب (ـ ٢٠٦ هـ) والأخفش الأوسط (ـ ٢١١ هـ) والمازني (ـ ٢٤٩ هـ) فالمبرد (ـ ٢٨٥ هـ) وتلامذته[4].

ثم ظهرت مدرسة الكوفة، وكان لها مذهب خاص في النحو يضاهي مذهب البصرة وينازعه، وقد شهدت هذه المدرسة بداياتها على يد الكسائي (ـ ١٨٩ هـ) أحد القراء السبعة، وكان أثيراً لدى الرشيد، وتميزت الكوفة باتساعها في رواية الاشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب بدوهم وحضرهم، بينما كانت البصرة تتشدد فلا تأخذ إلا عن بعض قبائل البادية، وتهتم اهتماماً أكبر بالقياس والتعليل واطراد القواعد والظواهر النحوية.

---

(١) القفطي: أنباه الرواة ٢/١٠٤، السيرافي: أخبار النحويين البصريين ١٢.
(٢) ضيف، شوقي: المدارس النحوية ٣٠ ـ ٥٦.
(٣) القفطي: أنباه الوراة ٢/٣٤٦.
(٤) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ط ٢، القاهرة ١٩٧١ ص ٩٧ وما بعدها.

وقد أخذ الكسائي عن البصريين وعلى رأسهم الخليل ثم طور طريقة خاصة به، ثم اتخذت مدرسة الكوفة طابعها النهائي على يد الفراء (ـ ٢٠٧ هـ) الذي قرأ بالبصرة على يونس بن حبيب ثم على الرؤاسي ثم لازم الكسائي وصنف «معاني القرآن» الذي قال فيه مادحه «لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه»(١).

أ ـ نشأة الخلاف بين المدرستين: البصرة والكوفة:

أول خلاف بين المدرستين ما أثبته سيبويه في الكتاب من حكاية أقوال الكوفي (أبي جعفر الرؤاسي) ويعتبر ذلك نوعاً من المذاكرة وايراد الأقوال المخالفة والرد عليها، وكثيراً ما يورد سيبويه لشيخيه: الخليل ويونس أقوالاً يخالفها بقوله: «. . . وزعم الخليل»، «. . . وزعم يونس».

وقد بدأت الخلافات والمناظرات بين أصحاب المدرستين هادئة وبخاصة بين تلامذة الخليل كسيبويه والرؤاسي، ولم يكن الهدف من وراء ذلك عرضاً زائلاً أو الانتصار لدافع عصبي وسياسي، وانما لخدمة العلم والتسابق في تجليته، ثم اشتدت الخلافات واتخذت طابع الغلبة والعصبية، ومما زاد في اشتدادها سياسة العباسيين بتقريب الكسائي وتلاميذه وايثارهم بتربية أولادهم واغداق الأموال عليهم! إذ كان أهل الكوفة مخلصين لهم.

وبما أن البصريين يفوقون الكوفيين علماً فقد اجتهد الكوفيون في التمسك بما نالوه من حظوة، ووقفوا بالمرصاد ليحولوا بينهم وبين النجاح المادي أو المعنوي، وإذا كان لبصرى كالأصمعي حظوة عند خليفة ولم يستطيعوا أبعاده مادياً، عملوا على انتقاصه والغض من علمه.

وبذكر حادثة واحدة حصلت في حضرة الرشيد بين الكسائي واليزيدي نعلم إلى أي مدى وصلت إليه الخلافات بين أصحاب المدرستين:

---

(١) ابن النديم: الفهرست ٩٦.

سأل اليزيدي الكسائي في حضرة الرشيد قال[1]: «أنظر أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

ما رأينا خربا نقّـ ـر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهراً لا يكون، المهر مهر

فقال الكسائي: «قد أقوى الشاعر» فقال اليزيدي: «أنظر فيه» فقال: «أقوى» لا بد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان».

فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: «أنا أبو محمد، والشعر صواب، وانما ابتدأ فقال: «المهر مهر».

فقال له يحيى بن خالد: «اتكتني بحضرة أمير المؤمنين، وتكشف عن رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب الينا من صوابك مع سوء فعلك، فقال: «لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن».

ب ـ أهم الفروق بين المدرستين: البصرة والكوفة:

وضع البصريون للغة قواعد مستنبطة من الجزئيات التي استقرأوها في أكثر القبائل العربية المشهورة، وساروا على هذه القواعد بدون حيدة عنها.

وتباينت الخلافات بين المدرستين فيما يأتي:

- **السماع:**

كان علماء البصرة كالخليل ويونس وأبي عبيدة والأصمعي دائمي الترحال إلى البادية والجزيرة يتلقون اللغة من أعرابها، كما كان فيها سوق المربد، وكانوا يتحرون في الأخذ، ففي العربي يتحرون فيه سلامة لغته وسليقته[2]. وفي الراوي

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء ١٣/١٧٨.
(٢) ابن جني: الخصائص جـ٢ ص ١٣.

الصدق والضبط، ولم يأخذوا بالشاهد إذا لم يعرف قائله.

أما الكوفة فكانت أقرب إلى الاختلاط بالأعاجم ولغة أعرابها لم تكن كسلامة لغة أعراب البصرة؛ لأن أكثر سكانها من اليمن، واليمن لا يحتج بلغتها لتغيّرها نتيجة اختلاطها بالأحباش، والفرس، كما كان يفصل بين الكوفة وجزيرة العرب بادية السماوة الشاسعة، ولذلك لم يقم علماء الكوفة برحلات كعلماء البصرة[1]، وإذا كان الكسائي الذي ارتحل فإنه كان بناء على نصيحة استاذه الخليل.

وقد أرادت الكوفة محاكاة البصرة في مربدها، فأقاموا سوق كناسة، لكن تأثيرها كان محدوداً لأن الأعراب الذين كانوا يؤمونها غير سليمي السلائق، مما جعل الكوفيين يتوجهون نحو رواية الشعر وكان ذلك ميسوراً لهم[2].

وفي توجههم هذا لم يهتموا بصدق الراوي وضبطه، فكثر الموضوع المصنوع في معظم رواياتهم، قال أبو الطيب اللغوي: «الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين دواوينهم»[3].

وأورد ابن خلكان أن راوية الكوفة خلف الأحمر قال: «أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا عليّ به، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح، ثم مرضت فقلت لهم: «ويلكم، أنا تائب إلى الله تعالى، هذا الشعر لي فلم يقبلوا مني وبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب»[4].

كما أن الراوية حماداً، ذاعت شهرته في كذبه ووضعه، وأنه سلط على الشعر ما أفسده فلا يصلح أبداً[5]، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل من الأقدمين ويدخله في شعره ويحمل عنه ذلك في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك.

---

(١) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ص ٧٤.
(٢) ابن جني: الخصائص جـ ١ ص ٣٨٧. وسعيد الأفغاني: من تاريخ النحو ص ٦٦.
(٣) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ٧٤.
(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ت. احسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠، ٣٩٣/١.
(٥) كلمة المفضل الضبي ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ٢٦٥/١٠.

● **تبادل الأخذ بين المدرستين:**

تميزت مدرسة الكوفة بالروايات المصنوعة التي وضعها خلف الأحمر وحماد وغيرهما مما حمل الثقات من العلماء على طرح أكثر رواياتها، وقد سجل ابن الأنباري الظاهرة التالية: «لا يعلم أحد من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد الأنصاري البصري فقد روى عن المفضل الضبي الكوفي»[1].

بينما كان أهل الكوفة يأخذون عن أهل البصرة، ويروون؛ لأنهم كانوا أساتذتهم حتى الكسائي الذي تتلمذ على الخليل ويونس وعيسى بن عمر، ورأى تقصيهم وتحريهم الدقة فيما ينقلون وفيمن يشافهون اتهم بأنه جانب التحري حين انتقل إلى بغداد، قال أبو زيد الأنصاري: «قدم علينا الكسائي البصرة، فلقي عيسى والخليل وغيرهما وأخذ منهم نحواً كثيراً ثم صار إلى بغداد فلقي اعراب الحطيمة فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة»[2].

أرى في ذلك تجنياً على الكسائي نتيجة الخصومة غير المميزة.

● **القياس:**

كان هدف مدرسة البصرة في النحو عصمة اللسان عن الخطأ، وتيسير اللغة العربية على من يتعلمها من الأعاجم، لذلك دققوا فيما نقلوا ثم تتبعوا أحوال ما نقلوا، ووضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب، وإذا وردت نصوص لا تنطبق على القواعد التي وضعوها تأولوها حتى تنطبق عليها القاعدة أو أهملوا أمرها لندرتها، أو حفظوها ولم يقيسوا عليها، وأدخلوها فيما سموه مطرداً سماعاً، شاذاً قياساً، مثل: «استحوذ، استصوب» والقياس فيها الاعلال مثل: «استقال، استجاد، استطال».

---

(١) ابن الأنباري: نزهة الألباء ص ١٧٩.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء جـ١٣ ص١٨٢.

وقالوا: تحفظ الكلمات النادرة التي وردت عن العرب في هذا الباب ولا يقاس عليها، ومنهم من ذهب إلى اتخاذ القياس فيها «استحاذ ـ استصاب».

كما أمعنت مدرسة البصرة في أحوال الكلام العربي واستنبطت علله وحكمت فيه المنطق والعقل، إذ كان المنطق كما قال ابن سينا خادم العلوم. . . وكان له سلطان كبير على العقول في العصر العباسي وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل بصبغة غير التي كانت تعرف من قبل[1].

أما مدرسة الكوفة فقد قيل انها جمعت كل ما وصل إليها، ولم تفرط بشيء منه، ولم تتخذ لنفسها أصولاً تبنى عليها وجعلت من سماعها منهجاً خاصاً لها، فقبلت الشاذ واللحن والخطأ، وأخذت عمن فسدت لغته من الاعراب وأهل الحضر، وجعلت كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه، وبالإجمال كثر لديها التجويز والترخيص، قال شارح المفصل: «الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوبوا عليه»[2].

ومن الباحثين من عدّ المذهب الكوفي مذهب سماع على حين عدّ المذهب البصري مذهب قياس، وجاء في قوله: «يحترمون» أي الكوفيون «كل ما جاء عن العرب ويجيزون للناس أن يستعملوا استعمالهم»[3].

والحقيقة أن المدرستين كانتا تقيسان، وربما كانت الكوفة أكثر قياساً إذا روعي (الكم) فهي تقيس على القليل والكثير والنادر والشاذ، أما البصرة فهي أقيس إذا روعي (الكيف) إذ كانت تقيس على الأعم الأغلب.

ومن الباحثين من حمل على مدرسة الكوفة منتصراً لمدرسة البصرة فقال: «المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح، ولا مذهب قياس منظم، لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين: مذهب السماع ومذهب القياس وهما حقاً وجدا

---

(١) أحمد أمين: ضحى الاسلام، ط. النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٢ جـ١ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
(٢) السيوطي: الاقتراح، ت. أ. قاسم ١٩٧٦ ص ١٠٠.
(٣) أحمد أمين: ضحى الاسلام جـ٢ ص ٢٩٥.

ولكن في البصرة لا في الكوفة»[1].

وفي هذا الرأي قسوة وتجن على الكوفة ينبغي تقدير المسوغ الذي حددت بموجبه مسارها.

ويهمنا من إيراد ذلك أن قضايا النداء عند مدرسة البصرة تختلف عنها عند الكوفة في كثير من المسائل التفصيلية، وبالإضافة إلى الخلافات بين المدرستين هناك التفصيل الذي لقيته مسائل النداء عند النحويين المتأخرين الذين ينتمون إلى المدارس النحوية التي نشأت بعدهما[2].

٢ ـ المدرسة البغدادية:

في أواخر القرن الثالث الهجري خفت حدة النزاع بين البصرة والكوفة حين التقى البصريون والكوفيون في بغداد، ومن خلال عرض المذهبين جرى اختيار مذهب منتخب منهما عرف بمذهب مدرسة بغداد، واشتهر من علمائها أبو علي الفارسي وابن جني حيث كانا إلى مذهب البصرة اميل، ويكنيان كثيراً عن البصريين في مصنفاتهما باسم «أصحابنا»[3] ما جعل كثرة من المعاصرين تظن أنهما بصريان حقاً، وهما انما يصوران نزوعهما الشديد للبصريين.

٣ ـ المدرسة الأندلسية:

تتبع نحاة الأندلس آراء أئمة النحو من مدارس البصرة والكوفة وبغداد مع اجتهاد واسع في الفروع ووفرة في الاستنباطات، وكثرة في التعليلات، وقد حاول ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة» صياغة النحو صياغة جديدة تخلو من نظرية العوامل والمعمولات المذكورة والمقدرة، ومن العلل والأقيسة المعقدة،

---

(١) سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو ص ٧٥.

(٢) شوقي ضيف: المدارس النحوية ص ٢٤٣ وما بعدها.

(٣) عبد الفتاح شلبي: أبو علي الفارسي، مطبعة نهضة مصر ١٠٦. وشوقي ضيف المدارس النحوية ٢٤٥.

وكان همه تقريب النحو وفق عقلية عصره، وأراد للنحو أن يكون مفهوماً تجري به الألسنة والأقلام بسهولة[1]، كما اشتهر من المدرسة الأندلسية الأعلم الشنتمري[2]، وابن السيد البطليوسي[3]، وابن الباذش[4]، وابن الطراوة[5]، والسهيلي[6]، وابن خروف[7]، والشلوبين[8]، وابن عصفور[9] وابن مالك[10].

٤ ـ المدرسة المصرية:

لقيت دراسات النحو في مصر العناية التي تستحق مع الاهتمام الكبير بضبط القرآن الكريم وقراءاته، ونشأت طبقة من المؤدبين والمتعلمين والنحويين واقتدوا بادىء أمرهم بمدرسة البصرة ثم مزجوا بين آراء البصرة والكوفة وضموا إلى تلك الآراء آراء المدرسة البغدادية، وازدهر النحو في العصر الأيوبي ثم تكامل في العصر المملوكي حين ظهر ابن هشام وأحاط بآراء النحاة السالفين[11].

جـ ـ النداء موضوع من موضوعات النحو:

للنداء مكانة بارزة في اللغة هي انعكاس لدوره الحقيقي في الحياة البشرية ووظيفته في التواصل البشري الذي لا يمكن أن يقوم إلا استناداً إلى تخاطب من

---

(١) مازن المبارك: النحو العربي ط: ثانية دار الفكر ١٩٧١ ص ١٥٨.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٤٦٥. والسيوطي: بغية الوعاة ٤٢٢.
(٣) القفطي: أنباه الرواة ٢/١٤١، ابن الجزري: طبقات القراء ١/٤٤٩ والسيوطي: بغية الوعاة ٣٢٦.
(٤) القفطي: أنباه الرواة ٢/٢٢٧.
(٥) السيوطي: بغية الوعاة ٢٦٣.
(٦) ابن الجزري: طبقات القراء ١/٣٧١. السيوطي: بغية الوعاة ٢٩٨.
(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/٧٩. وياقوت: معجم الأدباء ١٥/٧٥.
(٨) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/٣٨٢.
(٩) السيوطي: بغية الوعاة ٢/٢١٠.
(١٠) السيوطي: بغية الوعاة ٥٢. ابن الجزري: طبقات القراء ٢/١٨٠.
(١١) شوقي ضيف: المدارس النحوية، السيوطي: الأشباه والنظائر ٢/٢٣٢.

أدواته النداء[1].

ولا شك في أن النداء بصوره الحالية تعرض لتطورات مهمة في مختلف اللغات بلغت به مرحلة متقدمة من التجريد والتعقيد والتشعب، لكن آثار المرحلة الأولى البدائية ما تزال موجودة وواضحة، وهي في اللغة العربية أوضح من غيرها من اللغات.

وإذا كان اللغويون العرب قد اعتبروا اللغة «أصواتاً تفيد معنى» فان هذا التعريف ينطبق أول ما ينطبق على أدوات النداء.

النداء في لغتنا وبصيغته الحالية يأخذ خطاً علوياً (حين يكون من أعلى إلى أسفل) وسفلياً (حين يكون من أسفل إلى أعلى) وأفقياً (حين يكون لمن في المستوى) وحقيقياً ومجازياً، وينادى به الفرد والجماعة (الحقيقية والمعنوية) وينادى العالم المرئي وما وراء الطبيعة، وينادى العاقل وغيره، والحي والجماد، ويراعى فيه البعيد والقريب مكاناً وحالاً، ويخرج على مقتضى الظاهر لتجاوز الواقع.

وفي هذه الأحوال جميعاً يترتب على صيغ النداء ضروب من التغيير المعنوي والشكلي التي تحتاج إلى دراسة وتشريح وتعليل وفهم حقيقي لوظيفة النداء، مما جعل النداء موضوعاً مهماً من موضوعات النحو.

د ـ النحويون العرب الذين بحثوا في النداء:

لما كان النداء موضوعاً من موضوعات النحو فقد بحثه معظم النحويين في مصنفاتهم، ويعتبر سيبويه أول من بحث النداء باستفاضة وتفصيل كبيرين في «الكتاب»[2] بالإضافة إلى موضوعات أخرى متعددة عالج فيها المسائل النحوية جميعها.

---

(١) م. جونسون: التواصل البشري بين اللغويين والحياة العملية، بالانكليزية ـ اكسفورد (١٩٤٨)، ١٦ ـ ٢٥.

(٢) سيبويه: الكتاب، ت. عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦ جـ ٢ ص ١٨٢.

وبحثه ابن السراج في كتابيه: الأصول والموجز[1] وجعل له باباً سماه «باب النداء» وقد اتهم ابن السراج بأنه انتزع كتابه من كتاب سيبويه، وبحثه أيضاً الزمخشري في كتابه «المفصل»[2] القسم الأول منه (قسم الأسماء) المنصوبات وسماه باسم «المنصوب اللازم اضماره. . .».

أما معظم الكتب التي صنفت بين عصري سيبويه والزمخشري في مرحلة تبلغ أكثر من ثلاثة قرون (ـ ١٨٠ ـ ٥٣٨) فقد كانت كتباً مستقلة في بعض مباحث النحو مثل: رسالة الكسائي في لحن العامة، والمذكر والمؤنث للفراء، والمقصور والممدود لابن ولاد، واعراب ثلاثين سورة لابن خالويه[3]، وملحة الاعراب للحريري، واصلاح المنطق لابن السكيت، وسر النحو لأبي العباس ثعلب[4].

وفي بعض المصنفات الأخرى جاءت البحوث النحوية والصرفية ومنها النداء لما ما في ثناياها أو في بعض فصولها مثل كتاب «الكامل»[5] للمبرد، «المقتضب»[6] له أيضاً، و«الأمالي»[7] للزجاجي و«الخصائص»[8] لابن جني و«سر الصناعة»[9] له أيضاً و«الايضاح» لأبي علي الفارسي.

ثم بحث ابن الحاجب النداء في كتابه «الكافية»[10] في باب المنصوب من الأسماء، وابن مالك في الفيتة المسماة «الخلاصة»[11] في باب المنصوبات، وفي كتبه

---

(١) ابن السراج: الأصول في النحو، ت. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٧٣. جـ١ ص ٢٠٠، والموجز في النحو، ت. مصطفى الشويمي وبن سالم دامرجي، ط. بدران، بيروت ١٩٦٥ ص ٤٥.

(٢) الزمخشري: المفصل في علوم العربية، ط، ثالثة، دار الجيل بيروت دون تاريخ ص ٥.

(٣) ابن خالويه: اعراب ثلاثين سورة من القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤١.

(٤) أبو العباس ثعلب، سر النحو، ط، ثالثة، مطبعة دار السعادة بمصر القاهرة ١٩٥٥.

(٥) المبرد، الكامل، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٤٩.

(٦) المبرد: المقتضب، ت. محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٩٧٠.

(٧) الزجاجي: الأمالي، المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر، مصر. دون تاريخ.

(٨) ابن جني: الخصائص، ت. محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٦.

(٩) ابن جني: سر الصناعة، ت. مصطفى السقا وزملاؤه، القاهرة ١٩٥٦.

(١٠) ابن الحاجب: الكافية في النحو حيدر أباد ١٣٦٧ هـ.

(١١) ابن مالك: الخلاصة الألفية في علم العربية، المكتبة الشعبية، بيروت ١٩٧٠، وله عمدة

«عمدة الحافظ وعدة اللافظ»، و«تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» وابن هشام في كتبه «قطر الندى»[1] و«شذور الذهب» و«أوضح المسالك» وتناوله السيوطي في كتابه «همع الهوامع» القسم الثاني منه المسمى بالفضلات وهي المنصوبات، وفي كتابه «الفريدة» الذي شرحه بنفسه.

وبعد السيوطي ظهرت كتب متنوعة في النحو، كان أغلبها شروحاً أو حواشي أو تعليقات[2] على المصنفات النحوية القديمة.

وظهرت كتب أخرى أُلّفت على نسق متدرج ليسد حاجة طلاب المدارس في المراحل: الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ومعظمها سار في ترتيب المسائل النحوية وفقاً للمناهج التي تحددها وزارات التربية في القواعد النحوية والصرفية، ومنها النداء، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

«جامع الدروس العربية»[3] للشيخ مصطفى الغلاييني، و«النحو الواضح في قواعد اللغة العربية»[4] لعلي الجارم ومصطفى أمين، و«النحو الوافي»[5] لعباس حسن.

وسنعرض ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني بعنوان «النداء في الفكر النحوي العربي».

* * *

الحافظ، ت. عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد ١٩٦٧، وتسهيل الفوائد ت، محمد كامل بركات، القاهرة ١٩٦٧.

(١) ابن هشام: قطر الندى، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ط، ١٢، ١٩٦٦، وله شذور الذهب، القاهرة ١٩٦٨، وأوضح المسالك القاهرة ١٩٤٩.

(٢) عبد الحميد حسن، القواعد النحوية مادتها وطريقتها، ط، ثانية، الأنجلو المصرية ١٩٥٣، ص ٢٧٢.

(٣) الشيخ مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ط: ٩ المطبعة العصرية صيدا ١/٣.

(٤) علي الجارم ومصطفى أمين: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية دار المعرف بمصر ١٩٥٨ جـ٣ ص ٧٧.

(٥) عباس حسن: النحو الوافي، ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٣ جـ ٤ ص ١.

الفصل الثاني النداء في الفكر النحوي العربي

أ ـ كيف نظر مفكرو النحو العربي إلى النداء؟

نظر مفكرو النحو العربي إلى النداء على أنه من أقسام الطلب الدال على الاستحضار، وقد أدرك ابن الشجري طبيعة النداء الأولية الاستحضارية فذكر أن النداء هو «ارادة الاقبال عليك ـ (ويشبه هذا أن يكون مأخوذاً من توجه بعض الصرفيين واللغويين إلى القول بأن الأفعال الناقصة والأدوات النحوية ـ ومنها أدوات النداء ـ قد فرغت من معانيها (يعني ارتباطها الأولي بالزمان والمكان) أي أنها كانت تحمل معنى وتحتوي عليه، وهذا المعنى كان معلوماً ومحدداً لمفهوم وبمرور الزمن فرغت من معانيها لعوامل لغوية واجتماعية،) يقول ابن الشجري: «عامة الناظرين يقبل عليك لتخاطبه بما تريد أن تخاطبه به. . . »[1].

ويتعرض ابن جني[2] لذلك في بحثه حروف النداء للعاقل ولغير العاقل ويطلق الأمر في هذه الناحية، ويرى أن كل ما نبه أو «لفت» أو «استحضر» صالح لذلك، ويذهب في هذا مذهب ابن الشجري.

وقد تفرعت قواعد النداء وأنواعه على النداء نفسه الذي هو مجرد استحضار، لكن هذه القواعد ليست جامعة مانعة كما يشترط لها الأصوليون أنها

(١) ابن الشجري: الأمالي الشجرية، حيدر أباد الدكن ١٣٤٩ هـ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) ابن جني: الخصائص جـ ٢ ص ٨٨ وما بعدها.

تحاول فقط أن تتبع الظاهرة فتضع لها نظاماً قد لا يكون دقيقاً ولا شاملاً، وذلك يتمثل في أن النحاة جعلوا المنادى من أقسام المفعول به[1] وبما أنهم جعلوه من أقسام المفعول به، والمفعول به قد يقع بعد فعل متعد، والمنادى لم يسبقه فعل متعد ـ قدّروا له فعلاً، وجعلوه لازم الاضمار[2]، ثم ذكروا أنه أضمر لأسباب منها:

الاستغناء بظهور معناه، وقصد الانشاء، واظهار الفعل ينقله إلى الأخبار، وكثرة الاستعمال، والتعويض عن الفعل بحرف النداء.

وكما قلت فان النظام الذي وضع ليس دقيقاً ولا شاملاً؛ لأن النحاة لم يجمعوا على تقدير الفعل، فرأى بعضهم أن عامل النصب معنوي وهو القصد وهذا رأى سيبويه ومعظم البصريين، ورأى آخرون ان الاسم نصب بحرف النداء، ورأى غير هؤلاء وأولئك أن حروف النداء أسماء أفعال فليس هناك فعل مقدر، ورأى السيرافي أن أداة النداء حرف تنبيه[3]، وهم في هذا الاختلاف يقدرون عوامل ويختلفون في التقدير والتأويل[4].

وسنتناول في فصلنا هذا أهم المفكرين النحويين وكتبهم ومناهجهم التي اتبعوها في بحوثهم حول النداء.

١ ـ سيبويه:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر[5]، أبو بشر، امام البصريين، مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي، ولقب سيبويه، ومعناه: رائحة التفاح، قيل: ان أمه كانت ترقّصه بذلك في صغره، وقيل: كان من يلقاه

---

(١) ابن هشام: قطر الندى ٢٨٠.
(٢) الزمخشري: المفصل ص ٣٥.
(٣) السيرافي: شرح السيرافي على سيبويه جـ١ ص ٣٠٣.
(٤) د. عبده الراجحي: دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤ ص ١٥.
(٥) السيوطي: بغية الوعاة جـ٢ ص ٢٢٩ رقم ١٨٦٣.

لا يـزال يشم منه رائحـة الطيب فسميّ بـذلك، وقيـل: كان يعتـاد شمّ التفاح، (وهـذا افـتراض مـردود)، وقيـل: لقب لـذلـك للطافتـه؛ لأن التفـاح من أطيب الفواكه.

أصله من البيضـاء من أرض فـارس، نشـأ بـالبصرة، وتتلمـذ عـلى الخليـل ويونس وأخذ عنهما وعن أبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر.

كان شاباً نظيفـاً جميلاً وكـان في لسانـه حبسة وقلمـه أبلغ من لسانـه، وكان مثابراً جاداً مقبلاً على النحو بنهم بالغ، وقد قال ابن النـطاح: كنت عند الخليـل فأقبل سيبويه فقال: «مرحبـاً بزائـر لا يمل»[1]، قـال: وما سمعت الخليـل يقولها لغيره.

وضع مصنفه المشهور الذي عرف بـ «الكتاب» وضمنـه آراء أستاذيـه الخليل ويونس، قال أبو عبيدة: قيل ليونس بعد موت سيبويه: «ان سيبويه صنف كتـاباً في ألف ورقـة من علم الخليل فقـال: ومتى سمع سيبـويه هـذا كله من الخليـل، جيئـوني بكتابـه، فلما رآه قال: يجب أن يكـون صدق فيـما حكاه عن الخليـل كما صدق فيما حكاه عني[2].

وقال الأزهري: «كان سيبويه علاّمة، حسن التصنيف، جالس الخليل وأخذ عنه، وما علمت أحداً سمع منه كتابه (هذا) لأنه احتضر، وقد نـظرت في كتابـه فرأيت فيه علماً جماً»[3].

وللزمخشري فيه:

ألا صـلى الالـه صـلاة صـدق   عـلى عمـرو بن عثـمان بن قنبر[4]

---

(١) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المكتبـة العلمية الجديدة، بـيروت، دون تاريخ جـ ٥ ص ٣٤٤.

(٢) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ٤٩. وياقوت: معجم الأدباء جـ ١٦ ص ١١٧.

(٣) الأزهري: مقدمة تهذيب اللغة ص ٥٥.

(٤) السيوطي: بغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٣٠.

فــان كــتــابــه لم يــغــن عــنــه بــنــو قــلــم ولا أبــنــاء مــنــبر

ورد سيبويه بغداد على يحيى البرمكي، فجمع بينه وبين الكسائي، ولم تطل اقامته بعد ذلك، ومات بالبيضاء، وقيل بشيراز سنة ثمانين ومائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وقيل نيّف على الأربعين[1].

حمل «الكتاب» عن سيبويه تلميذه الأخفش الأوسط، وأقرأه تلاميذ بصريين في مقدمتهم المازني، وتلاميذ كوفيين في مقدمته الكسائي، وقد بلغ من اعجاب الاسلاف بهذا الكتاب أن سموه «قرآن النحو»[2].

واهتم به النحاة وعني عدد منهم بشرحه والتعليق عليه أمثال السيرافي في «شرح السيرافي على كتاب سيبويه» والمازني في «الديباج في جامع كتاب سيبويه»[3]، وابن خروف في «مفتح الأبواب في شرح غوامض الكتاب» والزمخشري في «شرح كتاب سيبويه»[4] وشرح شواهده المبرد في «المدخل إلى كتاب سيبويه»[5]، والأعلم الشنتمري في «شرح الأعلم لشواهد سيبويه»، وأبو البقاء العكبري في «لباب الكتاب».

سيبويه والنداء:

يفاجئنا سيبويه في «الكتاب» بقسم عن النداء[6] يقع في حوالي مئة صفحة[7]، ومع أنه لا يمكن اعتبار «أبواب» سيبويه في النداء نهائية التطور كما سنوضح، لكنها بحجمها وتفصيلها تبقى كبيرة جداً لا سيما إذا اعتبرت بداية، لكن هل

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٨، والزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ٦٩.
(٢) أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين ص ٦٥.
(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٨٥.
(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٨١.
(٥) ابن النديم: الفهرست ص ٨٨. والقفطي: أنباه الرواة جـ ٣ ص ٢٨٥.
(٦) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ١٨٢.
(٧) في طبعة عبد السلام هارون.

هو نفسه يلجأ بعد تعريف النداء مباشرة إلى ذكر «عامل النصب» في النداء حسبما يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخه[1]، لكنه لا يذكر رأي الخليل في عامل النصب في النداء فقط، بل يذكر آراء مختلفة له في أبواب النداء كلها. ثم لا يكتفي عندما يذكر رأي الخليل في نصب المنادى بذلك بل يسوق حواراً بينه وبين الخليل يبدو أنه دار بينهما فعلاً إذ تتكرر فيه «قال» و«قلت» مراراً، بل يصرح هو نفسه فيه بذلك عندما يقول: «وقال الخليل رحمه الله وسألته عن يا زيد نفسه... فقال»[2].

إلى جانب الخليل (الذي يتكرر ذكره عند سيبويه أكثر ما يكون) يذكر يونس ابن حبيب البصري[3]، وأبو عمرو بن العلاء[4]، لكن يبدو أنه أخذ عن يونس مباشرة، بينما بلغته أقوال أبي عمرو عن طريق شيخيه الخليل ويونس، فهل كتب الخليل في النداء؟ ومن أين جاء سيبويه بآراء يونس في النداء؟ وفي أي سياق جاءت توجهات أبي عمرو في النداء؟ ان هذه التساؤلات التي ستبقى إلى حدّ ما بغير ما إجابة شافية ان دلت على شيء فانما تدل على أن سيبويه ليس بداية مطلقة من كل قيد، بل هو بداية تنظيمية إذا صح التعبير، وهو بداية بهذا المعنى وبمعنى الاستقلالية التي تبدو في آراء سيبويه تجاه شيوخه حتى الخليل من بينهم، فهو في مضمار عامل نصب المنادى يقول انه «نصب على إضمار الفعل المتروك اظهاره..»[5] خلافاً للخليل الذي رأى «انهم نصبوا المضاف نحو: يا عبد الله ويا أخانا...»[6]. على أي حال فربما جاءت آراء الخليل هذه في سياق آرائه

(١) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ٢٨٢.
(٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٤.
(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٥.
(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢١٠.
(٥) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٢.
(٦) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ١٨٢.

اللغوية، بل ربما كانت مجرد اجابات على أسئلة وجهها إليه سيبويه عندما بدأ يفكر بتأليف كتابه، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الخليل فقد يكون هو نفسه بالنسبة إلى يونس بن حبيب، لكنه بالتأكيد ليس على النحو نفسه بالنسبة إلى أبي عمرو بن العلاء الذي لم يأخذ عنه سيبويه مباشرة على ما يبدو. ان هذا يقودنا إلى البداية، أنه لا معدى عن الذهاب إلى أن هؤلاء جميعاً كانت لهم كتابات في النحو ككتاباتهم في اللغة، وهو أمر يدعمه أن سيبويه يورد للخليل على سبيل المثال آراء في سائر أبواب النداء وبشكل مترابط أحياناً مما يشجع على الاعتقاد بأن الخليل وغيره كانت لهم كتب نحوية وان موجزة بغضّ النظر عما تذكره مصادرنا عن ذلك من أمثال ابن النديم وطبقات النحويين، وقد أثبت سيزكين أن فرضية الرواية الشفوية التي سادت فترة طويلة لا تجد سنداً قوياً في الواقع، إذ اعتمد جميع المصنفين تقريباً على مصادر مكتوبة وفي مختلف التخصصات[1].

على أي حال علينا أن نبدأ مع سيبويه ما دامت التطورات السابقة قد ضاعت تقريباً، ولا يمكن تلمّس آثارها إلا من خلال سيبويه نفسه، من طريقته في التأليف والتركيب ومن الاقتباسات التي يذكرها عنهم.

يقسم سيبويه مبحث النداء إلى «أبواب» بحيث تتحول كل مسألة من مسائله إلى «باب». ويختلف التقسيم هذا عن تقسيم الفقهاء الذين يعتبرون الباب رأساً ينقسم إلى فصول، كما يختلف عن تقسيم المحدّثين الذين يعتبرون «الكتاب» رأساً ينقسم إلى «أبواب» لكن صيغة العنوان هي الصيغة التي كانت معروفة عند المحدّثين، وهي تبدأ بـ «هذا» مثل «هذا باب النداء»[2] و «هذا باب لا يكون الوصف المفرد فيه إلا رفعاً»[3].

هكذا ينقسم النداء إلى حوالي خمسة وعشرين باباً تتركز في الواقع عند النحاة المتأخرين في المنادى المبني والمنادى المعرب وأقسامهما، ثم الندبة والترخيم. انه

(١) فؤاد سيزكين: تاريخ التراث العربي جـ٢ ص ٧٦ ـ ٨٧ ترجمة أبو الفضل ١٩٧١.
(٢) سيبويه: الكتاب جـ٢ ص ١٨٢.
(٣) المصدر نفسه جـ٢ ص ١٨٨.

بـدلاً من أن يلجأ سيبـويه إلى وضـع النـداء بعـد التعـريف الشـامـل في قسمـين رئيسيين ثم تفريع هذين القسمين يعمد إلى تقسيم ذلك كله إلى أقسام لا متنـاهية لا ترابط بينهما أحياناً.

ومع أنه يلحق بـأبواب النـداء أبواب النـدبة والـترخيم لكن الواضـح أنه لا يعتبر هذين الأمرين جزءاً أساسياً من أجزاء النداء *، والواقع أن النداء عنده يأتي بعد الابتداء ومعمولات «كم» باعتبار هذه القضايا مترابطة.

* إذا كان تقسيم «النداء» إلى «أبواب» منفصلة يظهـر شيئاً من «عجلة» البـداية وعـدم نضجها، فـالواقـع أن «المصطلح» الـذي يرد في الأبـواب يظهـر الأمـر نفسه، فالمنادى المبني لا يسمّى كذلك بل هـو «باب لا يكـون الوصف المفـرد فيه إلا رفعاً»[1]، والمنادى المضاف لا يسمّى كذلك بل هو «اضافة المنـادى إلى نفسك»[2] ويظهر هذا كله عدم استقرار العالم المصطلحي النحـوي في كثير من الأمور أيام سيبويه. وتبقى بعـد هذا كله قضيـة التركيب الـداخلي لـلأبواب، فالمنادى المبني لا يأتي أولاً أو ثانياً بكافة أنواعه، وكذا المنصوب أو المعرب، بل تختلط المسائل وتتجـزأ بحيث لا يمكن معه أحيـاناً اعـادة ترتيبهـا إلا بمقارنتهـا بكتب المتأخرين الذين نضج عندهم المصطلح النحوي والترتيب التركيبي.

لكن ظـاهرة عـدم نضج المصـطلح ليست هي الظاهـرة الوحيـدة بين ظـواهر البداية عند سيبويه، ان طريقته في التأليف والـتركيب، ثم طريقتـه في الترتيب الداخلي للأبواب تظهران مدى صعوبة البدايـة (التنظيميـة على الأقـل في هذا المجال، ففي مجال التأليف والتركيب تنتشر في باب النداء عنـده ـ كما في سـائر الأبـواب ـ ظاهـرة الاعتـماد عـلى السؤال والجـواب وسيلة لإيضـاح مـا يـريـد ايضاحه.

(١) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٩.

ومن الواضح أنه في حالة نقله عن مصدر مكتوب، فان إشكالات النقل لا تقتضي ضرورة الخوض في جدل بـ «قال» و «قلت» يقطع تسلسل الكلام ويقود إلى استطرادات تخرج سيبويه عما يريد قوله بالتحديد في الفقرة الخاصة بين فقر بابه في النداء[1] والملاحظ أن سيبويه يتبع في هذا الأمر التقليد الذي ساد البدايات التأليفية، إذ نلحظ شيئاً من ذلك في كتاب «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (ـ ٢٠٩ هـ) وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ـ ٢٢٤ هـ) وكتب الحارث بن أسد المحاسبي (ـ ٢٤٣ هـ) من مثل: الرعاية لحقوق الله، والمكاسب، وفهم القرآن»، وكان المعتقد أن طريقة السؤال والجواب كانت تجريبية للإجابة على قدر السؤال[2] لكن ظهورها في مؤلفات بغرض الاستطراد يجعل من الراجح الذهاب إلى أن ذلك كان بسبب تقليد الحلقات في المساجد، وانتشار ذلك عن طريق مصنفات المحدثين، وربما كانت لأساليب المتكلمين الجدلية أخيراً آثار على مثل هذا النوع من التأليف، على أي حال فالذي لا شك فيه أن وجود هذه الطريقة في باب النداء من الكتاب أثّر على ترابط الباب، وأدى إلى بحث مسائل نحوية وصرفية لا تتصل بالباب اتصالاً مباشراً.

أما قضية الترتيب الداخلي التي عرضنا لبعض ظواهرها من قبل فتبدو بأوضح معانيها في تلك «اللامنطقية» التي لا تقتصر على ترتيب الفقرات، بل تشمل طريقة بحث المسائل داخل الفقرات أيضاً. فلا شك في أن سيبويه كان يملك في ذهنه فكرة ما عن طريقة تشكيل باب ما، لكن هذه الفكرة لم تكن من الوضوح والتفصيل بحيث يمكن تطبيقها، وربما أسهم في تعسّر ذلك الطريقة الشكلية القائمة على السؤال والجواب، والتي زادت التنظيم الداخلي للأبواب والفقرات فوضى واضطراباً.

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٣ ـ ١٩٠ ـ ١٩٦.

(٢) المحاسبي: العقل وفهم القرآن، دار الفكر بيروت ١٩٧١، ت. د. حسين القوتلي ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

مع هذا يبقى الكتاب انجازاً ضخماً كبداية تنظيمية، بل يمكن القول ان الذين جاءوا من بعده لم يستطيعوا إضافة الكثير إلى ما قاله صاحب «الكتاب».

٢ ـ ابن السرّاج:

هو أبو بكر محمد بن السريّ[1]، كان أحدث أصحاب المبرد سناً مع ذكاء وفطنة، وكان المبرد يقربه، فقرأ عليه كتاب سيبويه، وعني إلى جانب ذلك بدراسة الموسيقى فشغلته عن النحو، ثم رجع إلى الكتاب ونظر في دقائق مسائله وعوّل على مسائل الأخفش والكوفيين، وصنف كتاب الأصول الكبير وجعله تقاسيم على طريقة المناطقة، قال له أحد تلاميذه وهو يلقي بعض فصول هذا الكتاب أنه أحسن من كتاب المقتضب للمبرد أستاذه، فبادره بقوله: لا تقل هذا فانما استفدنا ما استفدناه من صاحب المقتضب وأنشد[2]:

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وكان اجتماعياً يحب الناس، له صلات صداقة مع كبار علماء عصره ولا سيما المقرىء الكبير ابن مجاهد[3].

وكانت فيه دقة حس ورقة شعور، يقال انه جاءه يوماً بني صغير له فأظهر من العطف عليه ما جعل أحد جلسائه يسأله أتحبه أيها الشيخ؟ فقال متمثلاً:

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة جـ ١ ص ١٠٩، وابن النديم: الفهرست ص ٩٨ والسيرافي: طبقات اللغويين والنحويين ص ١٠٨، وياقوت: معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٩٧.

(٢) البيتان لعدي بن الرقاع وقبلهما:

ومما شجاني أنني كنت نائماً أعلّل من فرط الكرى بالتنسم
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيكة تردّد مبكاها بحسن الترنم

الشريشي: شرح المقامات جـ ١ ص ١٤.

(٣) ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٩٨.

أحبه حبّ الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله

وقيل: انه كان يعشق جارية من القيان والولد المذكور له منها، ومن شعره فيها يصف فيه جمالها وجفاءها له[1]:

قايست بين جمالها وفعالها فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي
والله لا كلمتها ولو أنّها كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي
حلفت لنا ألا تخون عهودنا فكأنما حلفت لنا ألا تفي

توفي ببغداد عام ٣١٦ هـ مخلفاً ثروة علمية في معظم التصانيف التي أودعها علمه في جميع الفنون التي برز فيها إذ تزيد على خمسة عشر كتاباً، ضاع أكثرها.

ومن مصنفاته بالإضافة إلى الأصول الكبير، جمل الأصول، والموجز، شرح سيبويه، الجمل، الخط والهجاء، الرياح والهواء والنار.

ابن السراح والنداء:

كانت سيطرة سيبويه على النحو من بعده عن طريق كتابه شبه كاملة، فلقد رأى علّامة كالمازني أن على من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه أن يستحي[2]، وفي هذا القول من المبالغة المردودة لأن النحو لم يصل على يد سيبويه ومن بعده إلى حد الكمال، إلا أن كتاب سيبويه كانت له هالة انعكست ظلالها على النحويين، حيث كان جلهم اما شرّاحاً أو معلقين أو مختصرين أو مقرّبين، وقلّ من جرؤ على التجديد التام أو التنكر للاستاذ الأول. وربما كان أبو بكر السرّاج من أول الذين تمثلوا سيبويه وكتبوا كتباً مطولة في النحو انطلاقاً من دون أن يلغي ذلك شخصياتهم، ويهمنا هنا من كتبه كتابان: الأصول والموجز.

أما الأصول فيقول فيه ابن الأنباري[3]: جمع فيه أصول علم العربية وأخذ

(١) القفطي: أنباه الرواةجـ٣ ص ١٤٧.
(٢) ابن النديم: الفهرست ٨٦.
(٣) ابن الأنباري: نزهة الألباء ٣١٤.

مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب «وقال المرزباني عن الكتاب نفسه: «انتزعه من أبواب كتاب سيبويه... وانما أدخل فيه لفظ التقاسيم، فأما المعنى فهو كله من كتاب سيبويه على ما قسمه ورتبه..[1] ويزيد ابن جني هذا الحكم تطرفاً عندما يزعم بأن ابن السرّاج لم يأت في الكتاب بأي شيء جديد[2]، لكن هناك علماء آخرين يقوّمون عمل ابن السرّاج تقويماً آخر، من هؤلاء ياقوت الذي رأى أنه «ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السرّاج بأصوله[3]»، وقال صاحب النزهة[4]: «انه جمع فيه أصول العربية» وتابعه ابن خلكان فقال: «هو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه»[5].

والقفطي[6] نفسه الذي رأى أنه مأخوذ عن سيبويه يعود من جديد ليعلّل تجديد ابن السراج فيه عن طريق القول انه: «عوّل فيه على مسائل كثيرة» هذا فيما يتصل بالأصول، ولنا إليه عودة.

أما الموجز فيكاد يكون مختصراً للأصول يختصر كل شيء لكنه لا يغفل شيئاً إغفالاً تاماً.

والملحوظ أنه يتبع في الخطة العامة في الموجز كما في الأصول كتاب سبيويه مبتدئاً بالنحو وخاتماً بالصرف، مستهلاً الكتابين بباب الكلام وأقسامه، ومنتهياً بباب الادغام. أما في التفاصيل فقد خالفه في كثير منها، فقد عالج سيبويه النسب ثم التصغير ثم الجمع على التوالي، أما ابن السراج فقد عالج الجمع فالتصغير فالنسب، ويمتد هذا الاختلاف إلى معالجة التوابع والمستثنى والمنادى.

ففي حين يبدأ سيبويه حديثه عن النداء بـ«هذا باب النداء»[7] يكتفي ابن

---

(١) القفطي: أنباه الرواة جـ٣ ص ١٤٩.
(٢) ابن جني: الخصائص ـ ١ ص ٢.
(٣) ياقوت: معجم الأدباء جـ١٨ ص ١٩٨.
(٤) ابن الأنباري: نزهة الألباء ٣١٤.
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٢ ص ٤٦٢.
(٦) القفطي: أنباه الرواة جـ٣ ص ١٤٩.
(٧) سيبويه: الكتاب جـ٢ ص ١٨٢٣.

السراج بالقول: باب النداء[1]، وفي حين ينصرف سيبويه بعدها إلى تعريف النداء والجدل حوله مع الخليل ويونس[2]، يبدأ ابن السراج على الفور في أصوله في معالجة: «الحروف التي ينادى بها[3] وفي موجزه يذكر أقسام النداء: «المفرد المضاف والمضارع للمضاف»[4]، ثم يذكر ابن السراج في الأصول أغراض النداء: «الاستغاثة والتعجب والمدح والندبة» ويعود بعدها لذكر أنواع النداء أو أقسامه[5]، بينما يفصل في الموجز في أقسام النداء التي بدأ بها[6].

والملاحظ في هذ الصدد أنه يحاول في الأصول التزام شواهد سيبويه رغم أنه لا يعالج الفصول الداخلية بالطريقة نفسها. ولا يعني هذا أنه لا يضيف شيئاً فهناك في الصفحات الأولى لحديثه عن النداء في «الأصول عدة شواهد شعرية ليست في كتاب سيبويه، وهكذا فإنه في الوقت الذي يضع سيبويه العنوان الداخلي الأول عن المنادى المنصوب على المدح أو الشتم أو التعظيم»[7] يضع ابن السراج عنوانه الأول الداخلي عن «المنادى المضاف».

بعد أن انتهى من دراسة أقسام النداء المفرد[8]، انتقل ابن السراج إلى الاسم المنادى المضارع للمضاف لطوله[9] في حين عمد سيبويه إلى دراسة «الاسم والصفة اللذين بمنزلة اسم واحد»[10].

وبينما يتفق «الأصول» و«الموجز» في العنوان التالي: «باب ما خص به النداء

---

(١) ابن السراج: الأصول ١/٤٠٠، والموجز ٤٥.
(٢) سيبويه: الكتاب ٢/١٨٢ ـ ١٨٤.
(٣) ابن السراج: الأصول ١/٤٠٠ ـ ٤٠١.
(٤) ابن السراج: الموجز ٤٥.
(٥) ابن السراج: الأصول ١/٤٠١، وما بعدها.
(٦) ابن السراج: الموجز ٤٥ ـ ٤٧.
(٧) سيبويه: الكتاب ٢/١٩٤.
(٨) ابن السراج: الأصول ١/٤١٤.
(٩) المصدر نفسه ١/٤٢٠.
(١٠) سيبويه: الكتاب ٢/٢٠٣.

من تغيير بناء الاسم المنادى والزيادة في آخره والحذف فيه»[1]، تبدأ عند سيبويه فصول النداء المضاف[2]. ثم تعود الكتب الثلاثة إلى الالتقاء في باب «اللام التي تدخل في النداء للاستغاثة والعجب»[3] لكن سيبويه يسمّي الباب كالتالي: «هذا باب ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة»[4]، والاتفاق تام فيما يتصل بباب الندبة[5] لكن سيبويه يرى التفصيل في جزئيات كثيرة في الباب بينما يتجاوز ابن السراج ذلك بسرعة إلى باب الترخيم[6]، ويتقدم عند سيبويه الاختصاص على الترخيم[7]، بينما يرى ابن السراج أن الاختصاص «يضارع النداء»[8] وليس نداء حقيقياً، ولذلك فهو يؤخره إلى ما بعد الترخيم في الأصول بينما لا يذكره تماماً في «الموجز» ثم يعود الكتابان إلى الاتفاق في القضايا الجزئية الملحقة بباب النداء، لكن في حين يضع لها سيبويه عناوين فرعية[9]، يكتفي ابن السراج بالقول: «مسائل من هذا الباب»[10].

وهكذا فاننا نلحظ بالنسبة إلى ابن السراج ـ مقارناً بسيبويه ـ أمرين اثنين: تطور المصطلح ـ عنده، وتطور الترتيب والتقسيم، أما فيما يتصل بالمصطلح فان مصطلح «الإضافة» عنده يثبت ويتجذّر، بينما يظل سيبويه متردداً بين تسميته [illegible] أ «إضافة». ويعمد ابن السراج فيما يتصل بلام النداء لغرض الاستغاثة والتعجب إلى تسميتها بذلك بينما يضطر سيبويه إلى القول «هذا باب ما يكون النداء فيه مضافاً إلى المنادى بحرف الإضافة وهكذا يركز سبيويه على الحالة

---

(1) ابن السراج: الأصول ١/٤٢٣، والموجز ص ٤٨.
(2) سيبويه: الكتاب ٢/٢٠٥ وما بعدها.
(3) ابن السراج: الأصول ١/٤٤٧، والموجز ص ٤٨.
(4) سيبويه: الكتاب ٢/٢١٥.
(5) المصدر نفسه ٢/٢٢٠، وابن السراج: الأصول ١/٤٣٢ والموجز ٥٠.
(6) ابن السراج: الأصول ١/٤٣٧، والموجز ص ٥١.
(7) سيبويه: الكتاب ٢/٢٣٣.
(8) ابن السراج: الأصول ١/٤٤٧.
(9) سيبويه: الكتاب ٢/٢٤١ وما بعدها.
(10) ابن السراج: الأصول ١/٤٤٨.

الاعرابية، بينما يركز ابن السراج على أغراض النداء. وفيما يتصل بالترتيب يحاول ابن السراج الفصل بين النداء الحقيقي والنداءالمجازي. والمضارع للنداء بينما تبقى الفروق غير واضحة عند سيبويه.

والملاحظ أن أسلوب السؤال والجواب الذي يبدو أحياناً عند سيبويه يختفي تماماً عند ابن السراج، ويحاول صاحب الانباه تعليل أسباب التطوير عند ابن السراج بالقول انه تأثر بتقاسيم المنطقيين»[1]. وربما كان ذلك صحيحاً، لكنّ نظرة متأنية إلى القضية كلهاتشعر بأن الرجل لم يفعل أكثر من تنمية البذور التي ظهرت في «الكتاب» ثم ان علينا ان لا ننسى أنه جاء بعد المبرد (من البصريين) والأخفش (من الكوفيين).

٣ ـ الزمخشري:

هو محمود بن عمر أبو القاسم جار الله[2]، ولد سنة ٤٦٧ بزمخشر من قرى خوارزم، فنسب إليها، وبها كان منشؤه ومرباه، كان واسع العلم، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفنناً في كل علم، معتزلياً قوياً في مذهبه مجاهراً به حنفياً.

رحل إلى بخارى ثم إلى بغداد في سبيل طلب العلم، وجاور مكة حقبة طويلة وتلقب بجار الله، أخذ الأدب عن أبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري وأبي مضر الأصفهاني، وسمع من شيخ الاسلام أبي منصور الحارثي، وعاد إلى موطنه وشهرته قد ملأت الآفاق، والطلاب يفدون عليه من كل صوب يأخذون عنه معجبين إلى أن اختاره الله لجواره سنة ٥٣٨ هـ.

---

(١) القفطي: أنباه الرواة ١٤٩/٣.

(٢) ياقوت: معجم الأدباء جـ ١٩ ص ١٢٦، القفطي: أنباه الرواة جـ ٣ ص ٢٦٥. وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٨١، ابن الأنباري: نزهة الألباء ٣٩١، السيوطي: طبقات المفسرين ٤١، وبغية الوعاة جـ ٢ ص ٢٧٩.

له آثار جليلة في شتى نواحي الثقافة العربية: «الكشاف» في التفسير الذي يقول فيه:

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشافي
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

وفي الحديث: «الفائق في غريب الحديث» وله: «المقامات، المستقصي في الأمثال، ربيع الأبرار، أطواق الذهب، صميم العربية، شرح أبيات الكتاب، الأنموذج في النحو، الرائض في الفرائض، الكلم النوابغ، القسطاس في العروض، وأساس البلاغة.

وكتابه «المفصل» له شأن في علم النحو، ومكانة مرموقة في عصر الزمخشري وما تلاه من عصور[1]، وقد نال عناية بالدرس والشرح، فقد شرحه ابن الحاجب وسماه: «الإيضاح» وشرحه العكبري، وابن مالك وابن يعيش وغيرهم، وشرح ابن يعيش ذائع ومتداول ومرجع للدارسين.

جاء في مقدمة الكتاب: «لقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب، إلى معرفة كلام العرب، وما بي من الشفقة والحدب على أشياعي من حفدة الأدب لإنشاء كتاب في الاعراب، محيط بكافة الأبواب، مرتب ترتيباً يبلغ بهم الأمد البعيد بأقرب السعي، ويملأ سجالهم بأهون السقي، فأنشأت هذا الكتاب، المترجم باسم المفصل في صناعة الاعراب مقسوماً إلى أربعة أقسام: «القسم الأول في الأسماء، والقسم الثاني في الأفعال، والقسم الثالث في الحروف، والقسم الرابع في المشترك من أحوالها، وصنفت كلاً من هذه الأقسام تصنيفاً، وفصلت كل صنف منها تفصيلاً حتى رجع كل شيء إلى نصابه واستقر في مركزه، ولم ادّخر فيه من الفوائد المتكاثرة ونظمت من الفرائد المتناثرة مع الايجاز غير المخل، والتلخيص غير الممل

---

(١) د. حسن عون: تطور الدرس النحوي، القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٩ وقد قيل في المفصل:
مفصل جار الله في الحسن غايته وألفاظه فيه كدرّ مفصل
لولا التقى قلت المفصل معجز كآي طوال من طوال المفصل

مناصحة لمقتبسيه أرجو أن أجتني منها ثمرتي دعاء يستجاب، وثناء يستطاب...»[1].

وقد حقق الزمخشري ما قاله، فالكتاب مرتب ترتيباً تأليفياً، يجمع بين المتجانس من الموضوعات، وهو يمثل مرحلة من مراحل التدرج في اخراج علم النحو، وقد ألم بما في كتاب سيبويه من نظام علمي أوضح وبأسلوب أقرب إلى ما نعرفه الآن من تقسيم وتعبير واصطلاحات في هذا العلم.

وقد سار في موضوعاته تبعاً للأقسام الأربعة التي أشار إليها.

الزمخشري والنداء:

تناول الزمخشري النداء في القسم الأول من كتابه «المفصل» (قسم الأسماء) المنصوبات وسماه باسم: «المنصوب باللازم اضماره منه النداء لأنك إذا قلت يا عبد الله فكأنك قلت يا أريد أو أعني عبد الله، ولكنه حذف لكثرة الاستعمال وصار «يا» بدلاً منه»[2]، ثم يبين ما ينصب لفظاً أو محلاً، بعدها ينصرف إلى ذكر توابع المنادى ذاكراً المضموم غير المبهم إذا أفردت حملت على لفظه ومحله كقولك يا زيد الطويل والطويل، ويا تميم أجمعون وأجمعين...»[3] والوصف بابن وابنة كالوصف بغيرهما إذا لم يقعا بين علمين..

بعد ذلك يذكر أقسام المنادى المبهم وهو عنده شيئان[4]: أي واسم الاشارة، فأي يوصف بشيئين بما فيه الألف واللام مقحمة بينهما كلمة التنبيه، وباسم الاشارة كقولك يا أيها الرجل، ويا أيهذا... واسم الإشارة لا يوصف إلا بما فيه الألف واللام كقولك يا هذا الرجل ويا هؤلاء الرجال. ويستمر الزمخشري في

---

(١) الزمخشري: المفصل في علوم العربية ط. ثالثة، دار الجيل، بيروت ص ٥.
(٢) الزمخشري: المفصل ص ٣٥.
(٣) المصدر نفسه ص ٣٧.
(٤) المصدر نفسه ص ٣٩.

تفصيلاته ذاكراً أحكام المنادى المكرر في حالة الاضافة، ثم يتناول المندوب دون تعريفه قائلاً: «ولا بد لك في المندوب من أن تلحق قبله يا أووا وأنت في الحاق الألف في آخره مخيّر فتقول وازيداه أو وازيد والهاء اللاحقة بعد الألف للوقف خاصة دون الدرج. . .»[1].

بعد ذلك ينصرف الزمخشري لذكر خصائص النداء قائلاً: «ومن خصائص النداء الترخيم إلا إذا اضطر الشاعر فرخم في غير النداء وله شرائط أحداها أن يكون الاسم علماً والثانية أن يكون غير مضاف والثالثة أن لا يكون مندوباً ولا مستغاثاً، والرابعة أن تزيد عدته على ثلاثة أحرف إلا ما كان في آخره تاء تأنيث فان العلمية والزيادة على الثلاثة فيه غير مشروطتين. . .»[2].

ويذكر حذف المنادى. . «وقد يحذف المنادى فيقال يا بؤس بزيد بمعنى يا قوم بؤس لزيد ويستشهد بأبيات من «الكتاب» مثل:

يا لعنةُ الله والأقوام كلهم والصالحون على سمعان من جار

وأما حروف النداء فيذكرها في القسم الثالث: «ومن أصناف الحروف حروف النداء وهي يا وايا وهيا وأي والهمزة ووا فالثلاثة الأول لنداء البعيد أو من هو بمنزلته من نائم أو ساه فإذا نودي بها من عداهم فلحرص المنادى على إقبال المدعو عليه ومفاطنته لما يدعوه له وأي والهمزة للقريب ووا للندبة خاصة.

وقول الداعي يا رب ويا الله استقصار منه لنفسه وهضم لها، واستبعاد عن مظان القبول والاستماع وإظهار للرغبة في الاستجابة بالجؤار»[3].

والملاحظ أن أسلوب الزمخشري في «المفصل» اتسم بالايجاز غير المخل والتلخيص غير الممل كما ذكره هو في مقدمته.

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٤.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٧.
(٣) الزمخشري: المفصل ص ٣٠٩.

٤ ـ ابن الحاجب:

هـو جمال الـدين عثمان بن عمـر بن أبي بكر بن يـونس أبو عمـرو[1]، كردي مالكي، ولد في «أسنـا» بصعيد مصر سنـة ٥٧٠ هـ، ونشأ بـالقاهـرة، أكبّ على الدرس والتحصيل حتى أصبح علماً في الفقـه المالكي وفي أصـول النحو، رحـل إلى دمشق ودرّس بجـامعها في زاويـة المالكيـة، وأكبّ الفضلاء عـلى الأخذ منـه، وكان الأغلب عليه النحو.

انتقل إلى الاسكندرية ليقيم بها، فلم تطل مدته ومات بها عام ٦٤٦ هـ قـال عنـه ابن خلكـان: «كـان من أحسن خلق الله ذهنـاً، وجـاءني مـراراً بسبب أداء شهادات، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فأجاب أبلغ جواب بسكون كثير وتثبت تام»[2].

صنف ابن الحـاجب في الفقه والأصـول، وله في النحـو والصرف كتـابـان: «الكافية» في النحو، و«الشافية» في الصرف، وقد اهتم بهما كثير من العلماء.

من أهم شروح الكافية شرح الشيخ رضي الدين الاستراباذي (ـ ٦٨٦)، قال السيوطي: «لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليـل، وقد أكبّ النـاس عليه وتـداولـوه، ولـه فيه أبحـاث كثـيرة مـع النحـاة، واختيارات جمة، ومذاهب ينفرد بها»[3].

ابن الحاجب والنداء:

تضمن كتاب الكافية بحوثاً تسير في اصطلاحاتها وفي نهجها العام وفي ترتيبها بطريقة تشبه في كثير من النواحي ما اتبعه الزمخشري في كتابه «المفصـل» فقد بـدأ

---

(١) ابن الجزري: طبقات القراء، ونشره براجسترسر، مطبعة السعادة، القـاهـرة ١٣٥٢ هـ جـ ١ ص ٥٠٨، وابن عـماد الحنبلي: شـذرات الذهب في أخبـار من ذهب، نشره القدسي، القـاهرة ١٣٥٠ هـ جـ ٥ ص ٢٣٤ والسيوطي: بغية الوعاة جـ ٢ ص ١٣٤.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦٤.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة جـ ٢ ص ١٣٥.

بشرح الكلمة والكلام والاسم والمعرب والاعراب وعلاماته، ثم تكلم على المرفوعات من الأسماء وعلى المنصوبات ومنها النداء، وانتهى ببحث الحرف وشرح أنواع الحروف.

والكتاب على شكل متن موجز على الطريقة المتبعة في تأليف متون واتسم بالدقة في التفريع والائتمام بسيبويه إلى حدّ كبير، مع وجود شبه معين بطريقة ابن مالك.

وسنعتمد في عرض النداء على شرح الاستراباذي المطبوع مع الأصل قديماً والمصور ببيروت حديثاً محاولين أن نستل كلام ابن الحاجب من خلال شرح الاستراباذي؛ لأن شرح الاستراباذي متداخل مع كلام ابن الحاجب بحيث يصعب الفصل بينهما تماماً.

يبدأ عن النداء بالقول انه القسم الثاني من أقسام المفعول به، ثم يعرفه بقوله انه هو: «المطلوب اقباله بحرف نائب مناب ادعو لفظاً أو تقديراً».

وعلى عادة الأصوليين والمناطقة في الحدّ يذهب إلى التفصيل في شرح التعريف محدداً ما يدخل منه وما يخرج منه فبقوله: «المطلويب اقباله» «اخرج المندوب لأنه المتفجع عليه لا المطلوب اقباله..»(٢).

ثم يمضي في تفصيلات للتعريف السالف ذكره، ويتعرض أثناءها لنقد من جانب شارحه الاستراباذي الذي يأخذ على ابن الحاجب زعمه أن الزمخشري عجز عن تعريف النداء(٣).

ويحاول بعد ذلك أن يعرب «يا» ـ حرف النداء المعروف، ثم ينصرف إلى قضية النداء المبني فيذكر أن «النداء» يبنى على ما يرفع به ان كان مفرداً معرفة

---

(١) الاستراباذي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٣١، دار الكتب العلمية، بيروت ط، ثانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

(٢) المصدر نفسه: جـ ١ ص ١٣٢.

(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣١.

مثل يا زيد ويا رجل ويا زيدان ويا زيدون. . .»[1].

ولكي يعلل بناءه على ما يرفع به يذكر رأياً للنحوي واللغوي المشهور: الكسائي الذي ينسب إليه قوله: ان المنادى المفرد المعرفة «مرفوع لتجرده عن العوامل اللفظية، ولا يعني أن التجرد فيه عامل الرفع كما قال بعضهم في المبتدأ بل المراد به انه لم يكن فيه سبب للبناء حتى يبنى فلا بد فيه من الاعراب. . .»[2].

أما المنادى المضاف المنصوب: «فانما نصب لطوله ولأن المنصوبات في كلام العرب أكثر. . .»[3]. وهكذا يمضي مبيناً سبب بناء هذا النوع من النداء ونصب ذاك وفتح لام هذا وكسر لام ذاك[4].

وذلك من موقع علماء الأصول المعروف، وهو يتصل عندهم بباب دلالات الألفاظ في الأحكام الشرعية، وهكذا تمتزج عنده أصول النحو بأصول اللغة والفقه فيخرج من ذلك مزيج لم تعرفه كتب النحو إلا نادراً.

بعد ذكر أحكام المنادى وعللها ينصرف إلى ذكر «توابع المنادى المبني المفردة من التأكيد والصفة وعطف البيان والمعطوف بحرف الممتنع دخول يا عليه ترفع على لفظه وتنصب على محله نحو يا زيداً العاقل والخليل في المعطوف يختار الرفع وأبو عمرو النصب وأبو العباس ان كان كالحسن فكالخليل والا فكأبي عمرو والمضافة المعنوية تنصب والبدل والمعطوف غير ما ذكر حكمه حكم المستقل مطلقاً والعلم الموصوف بابن مضافاً إلى علم آخر يختار فتحه. .»[5].

ويذكر في هذا الصدد أن توابع المنادى على ضربين: اما بدل أو عطف نسق مجرد عن اللام أو غيرهما من بقية التوابع الخمسة وهي: «النعت والتوكيد وعطف

---

(١) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣٢.
(٢) الاستراباذي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٣٢.
(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣٢.
(٤) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣٢ - ١٣٣.
(٥) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٣٦.

البيان وعطف النسق وذو اللام . .[1].

ويمضي ليذكر قضيتي الاعراب والبناء في المنادى المفرد والمضاف[2] وهو يذكر في هذا المجال رأي ابن الأنباري الذي يجيز في المضافات الرفع أيضاً كما في المفرد. وان لم تكن التوابع المذكورة مضافة جاز رفعها ونصبها في الوصف. . . وفي عطف البيان. . وفي المعطوف ذي اللام يقول: «وأما الضرب الثاني من التوابع أعني النعت والتأكيد وعطف البيان عند النحاة وعطف النسق ذا اللام فنقول ان كانت تابعة للمنادى المعرب تبعته اعراباً معارف كانت أو نكرات إذ لا محل لمتبوعها، وقال الأخفش في عطف النسق ذي اللام التابع للمعرب أنه يجوز فيه الرفع أيضاً نحو يا رجلاً والحارث. . . وابن الأنباري يجيز في هذه المضافات الرفع أيضاً كما في المفرد وان لم تكن التوابع مضافة. . .»[3].

وأما التوكيد اللفظي فان حكمه في الأغلب حكم الأول اعراباً وبناء نحو يا زيد زيد، لأنه هو هو لفظاً ومعنى فكان حرف النداء باشره كما باشر الأول وقد يجوز اعرابه رفعاً ونصباً قال رؤبة[4]:

اني واسطار سطرن سطراً لقائل يا نصر نصر نصراً

ويستمر في تفصيل قضايا البناء والاعراب في النداء يعود بعدها الى أحكام «تابع تابع المنادى. . .»[5] والقضايا المتصلة بذلك، ذاكراً اللغات في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم: «اعلم أن تابع تابع المنادى عند النحاة مثل متبوعه مطلقاً ان كان تابع المنادى مرفوعاً أو منصوباً يحمل تابع التابع على ظاهر اعراب التابع سواء كان المنادى أي أو هذا أو غيرهما، تقول في غيرهما يا زيد الطويل ذو الجمة إذا جعلته صفة للطويل، وان حملته على زيد نصبت ومن نصب الطويل نصب ذا

---

(١) المصدر نفسه جـ١ ص ١٣٦ .
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .
(٣) الاسترابادي: شرح الكافية جـ١ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص ١٣٨ .
(٥) المصدر نفسه جـ١ ص ١٤٣ .

الجمة لا غير كان نعتاً للطويل أو لزيد. . . »[1].

«والمضاف إلى ياء المتكلم يجوز فيه يا غلامي ويا غلامي ويا غلام ويا غلاماً وبالهاء وقفا، وقالوا يا أبي ويا أمي ويا أبت ويا أمت فتحاً وكسراً وبالألف دون الياء. . . »[2].

ويعقد بعد ذلك فصلاً للترخيم وأحكامه وأقسامه ذاكراً في البداية أنه جائز في المنادى وهو في غيره ضرورة[3] و «انما كثر الترخيم في المنادى دون غيره لكثرته ولكون المقصود في النداء هو المنادى له فقصد بسرعة الفراغ من النداء الافضاء إلى المقصود بحذف آخره اعتباطاً. . .

وشروطه كما هو معروف خمسة. . ».

أما المندوب في النداء فيرد بعد الترخيم مباشرة مع أحكام وتفصيلات: «وقد استعملوا صيغة النداء في المندوب وهو المتفجع عليه بيا أو وا واختص بواو حكمه في الاعراب والبناء حكم المنادى ولك زيادة الألف في آخره»[4] ثم تتلوه أحكام الاستغاثة، ليبدأ بعد ذلك الحديث حول الاختصاص وهو ذو صلة ضعيفة بالنداء والمنادى.

وهكذا تبدو صلة الترتيب عنده بمثيله عند سيبويه، لكن ابن الحاجب استفاد كثيراً من ثقافته الأصولية، وان يكن النحويون الآخرون لم يسيروا على منواله.

٥ ـ ابن مالك:

هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الجياني الأندلسي الشافعي[5]

---

(١) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٤٣.
(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٤٧.
(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٤٨ ـ ١٥٥.
(٤) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٥٦.
(٥) السبكي: طبقات الشافعية ٢٨/٥، ابن الجزري: طبقات القراء ١٨٠/٢ المقريزي: السلوك ٦١٣/١. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣٣٩/٥.

(٦٠٠ ـ ٦٧٢ هـ) ويكاد يكون أكبر النحويين المتأخرين، فقد غادر الأندلس شاباً صلب العود يطوف في بلدان المشرق جامعاً كتب النحو واللغة والقراءات ومشاهداً الشيوخ، ولم يشتهر له شيخ معين لقوة شخصيته، واصراره على التجديد والاستقلال، وان يكن بعض معاصريه قد اعتبروا أعراضه عن ذلك نقصاً في علمه[1]، وهكذا فانه ما أن بلغ أواسط عمره وهو يصنف ويشتغل حتى اعتبر أمام النحاة وحافظ اللغة في زمانه[2]، وتصدر مشيخة المدرسة العادلية في دمشق، وقد كادت الفيته «الخلاصة» الطائرة الذكر في الآفاق سبب شهرته واستيلائه على النحو من بعده، وقد نال كتاب الخلاصة عناية كبيرة ممن تصدوا للتعليق عليه بالشروح والحواشي ولا سيما شرح ابن عقيل وشرح الأشموني، وحاشية الصبان، ويمتاز شرح الأشموني بأنه يسوق في ثنايا الموضوعات طائفة من التنبيهات التي تتضمن كثيراً من الفوائد والشوارد، وتشتمل على مسائل لها شأن في اتمام الشرح واستيعاب أطراف المسائل.

النداء في كتب ابن مالك:

سندرس أفكار ابن مالك في النداء في أهم كتبه في النحو هي: «عمدة الحافظ وعدة اللافظ» و «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» و «الخلاصة» أما الأول فقط طبع بالعراق في مجلد ضخم[3]، وأما الثاني فقد نشر بمصر في جزء أقلّ ضخامة[4]، وأما الثالث فهو مطبوع مرات كثيرة وفي أقطار عربية متعددة ومتداول بين المعلمين والمتعلمين.

وتظهر منذ البداية فروق واضحة من الكتابين الأول والثاني، فبالإضافة إلى الاختصار الذي هو الطابع الغالب على «تسهيل الفوائد» هناك اختلاف في المنهج

---

(١) السيوطي بغية الوعاة ١/٣٠. والصفدي: الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩.
(٢) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/١٨٠.
(٣) بتحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري / بغداد ١٩٧٧.
(٤) بتحقيق محمد كامل بركات / القاهرة ١٩٦٧.

بين الكتابين، فمن المعروف أن ابن مالك كان يملك آراء خاصة في أكثر القضايا النحوية، لكن في حين يبدو ذلك بشكل محدود في «عمدة الحافظ» لا يبدو منه شيء تقريباً في «تسهيل الفوائد» الذي يبدو أنه ألفه مختصراً لطلابه، مرتباً على نهج كتاب سيبويه، لكنه يبقى رغم اختصاره وكونه للطلاب معقّداً نسبياً كما هي طريقة ابن مالك التأليفية بشكل عام[1].

يبدأ ابن مالك في «شرح عمدة الحافظ»[2] الحديث عن حروف النداء من الناحيتين النحوية والصرفية متناولاً ما كان منها لنداء القريب والآخر للبعيد، بينما يجري البدء في «تسهيل الفوائد»[3] كما في كتاب سيبويه[4] بأحوال النداء المفرد والمضاف، والمنصوب لفظاً وتقديراً حتى إذا أشبع «حروف النداء» حديثاً في «عمدة الحافظ» انتقل فوراً إلى الفصل الثاني بعنوان «تابع المنادى» منتهجاً في ذلك خطة جديدة تختلف عن خطة سيبويه تماماً وتقوم على اعتبار كل أبحاث الحروف والندبة والترخيم والاختصاص من «توابع المنادى»[5].

وتشمل أبحاث التابع هذه: تابع المنادى وحالاته من رفع ونصب وعطف وإضافة بينما جعلت الفقرة الثانية في «تسهيل الفوائد» خاصة بالمنادى نفسه وحالاته خصوصاً حالة وصفه[6].

وينصرف ابن مالك في «عمدة الحافظ» بعد أبحاث «تابع المنادى»، إلى فصله الثالث بعنوان «الاستغاثة»[7] ثم الرابع بعنوان «الندبة»[8]. فالخامس بعنوان «حذف حرف النداء»[9] ويقدّم في «تسهيل الفوائد» قبل ذلك بفقرات عن أي وأل

---

(١) المقري: نفح الطيب ٢/٤٢٢.
(٢) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ ٢٧٥.
(٣) تسهيل الفوائد ١٧٩.
(٤) سيبويه: الكتاب ٢/١٨٢ - ١٨٣.
(٥) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ ٢٧٩ - ٢٨٥.
(٦) ابن مالك: تسهيل الفوائد ١٧٩ - ١٨٠.
(٧) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ ٢٨٦.
(٨) المصدر نفسه ٢٨٩.
(٩) المصدر نفسه ٢٩٤.

في النداء مختصراً في ذلك كلام سيبويه ليصل في نهاية فقراته إلى النداء المضاف[1] ويطيل ابن مالك في فصل «حذف حرف النداء» (معدداً حالات تفصيلية كثيرة، ومن عجب أن الدقة تفارقه في بعض ما يذكره فيخلط الترخيم بالحذف[2] في حين لا يقع شيء من ذلك في «تسهيل الفوائد» وربما كان الايجاز العام من ذلك، بل ربما كان الاقتداء بسيبويه وراء النجاة من بعض ما وقع في «عمدة الحافظ».

بعد باب الحذف في «العمدة» وفقرة «المضاف» في «التسهيل» تلتقي فصول وفقرات من الكتابين، وان ظلت المعالجة في العمدة أوسع بكثير منها في التسهيل، ففي التسهيل[3] يأتي باب الاستغاثة فباب الندبة، وفي العمدة أيضاً. ثم تدخل فقرة في «التسهيل» تزعج هذا الترابط بين الكتابين هنيهة وهي الخاصة بـ «أسماء لازمت النداء»[4] ليعود التناسق بعد ذلك مع باب الترخيم. والاختلاف داخل الباب لا يكاد يذكر، وان تكن المعالجة أوضح في «التسهيل» في بعض الفقرات.

ويعقد ابن مالك في التسهيل فصلاً للاختصاص في النداء[5] بينما لا يفعل ذلك في العمدة رغم أنها أكثر تفصيلاً.

ثم يختلف نهجه في الكتابين في معالجة القضية الأخيرة، قضيةُ حروف التحضيض في النداء، انه يسميّها كذلك في العمدة[6]، في حين يسمّيها حروف التحذير والاغراء «وما الحق بهما» في التسهيل[7]. أما في داخل الفصل المخصص لذلك فالكلام مختلف، وتجرى دراسة الموضوعات التفصيلية في العمدة بروح تذكّر بآراء الكوفيين، وتبدو القضية في «التسهيل» شديدة التأثر بسيبويه.

---

(١) ابن مالك: تسهيل الفوائد ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) ابن مالك: شرح عمدة الحافظ ٣٠٣.

(٣) وتسهيل الفوائد ١٨٤ ـ ١٨٦.

(٤) ابن مالك: تسهيل الفوائد ١٨٧.

(٥) المصدر نفسه ١٩١.

(٦) ابن مالك: عمدة الحافظ ٣١٥.

(٧) ابن مالك: تسهيل الفوائد ١٩٢.

ان النظرة التفيصيلية في نهج ابن مالك في معالجة «باب النداء» توضح أن سيبويه وكتابه كانا ما يزالان مؤثرين جداً في بيئات النحويين، وكان على كل نحوي مهما كبر أن يعيد إلى طلابه بعض ما ألفوه عن طريق تقليد سيبويه أو شرحه أو الدوران حوله بشكل من الأشكال. وفي الحق أن ابن مالك جدّد في الترتيب الداخلي لباب النداء في العمدة لكن ترتيبه لم يغيّر كثيراً من جوهر الموضوع. ومن عجب أن يكون المصطلح قد استقر عنده فيذكر مصطلحات مختلفة في الكتب المختلفة. وربما لم يكن باب النداء في عمدته من الفصول الجيدة في كتابه.

أما كتاب ابن مالك «الخلاصة» فقد نظمه شعراً، وهو لصغر حجمه وما حوى من مباحث نحوية وصرفية يعتبر مفرطاً في الايجاز إلى حد يعد فيه من جملة الالغاز.

بدأها ابن مالك بحمد الله والصلاة على النبي المصطفى وآله الشرفا[1]، واستعان الله في الفيه اعتبر أن مقاصد النحو بها محوية بلفظ موجز مشيراً إلى الفية ابن معطي الذي حاز الفضل بسبقه في نظمها.

ثم تناول الموضوعات النحوية والصرفية ذاكراً معنى الكلام وما يتألف منه ثم ما يتصل بالمرفوعات والمنصوبات والمجرورات وبالمستغاث وبالفعل واعرابه وبالتصغير والنسب، والوقف والأمالة والاعلال والابدال والادغام، وتناول النداء في ستة وأربعين بيتاً[2] مبتدئاً بالحروف واستعمالاتها ثم المنادى المبني والمعرب وتابع النداء ثم «المنادى المضاف إلى ياء المتكلم» وبعدها عقد فصلاً للأسماء التي لازمت النداء، ثم ذكر الاستغاثة والندبة ثم الترخيم، ويبدو أنه أدخل الاختصاص ضمن النداء جاعله مثله دون يا، قائلاً:

الاختصاص كنداء دون يا كأيها الفتى بأثر أرجوانيا[3]

---

(١) ابن مالك: الخلاصة الألفية في علم العربية٢.

(٢) المصدر نفسه ٣٨.

(٣) ابن مالك: الخلاصة الألفية في علم العربية ٤١.

٦ - ابن هشام:

هو أبو محمود عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري[1] ولد بالقاهرة عام ٧٠٨ هـ، اشتغل بالعربية حتى اتقنها فاق أقرانه بل شيوخه، وتصدر لنفع الطلاب، وأقبل الناس عليه يفيدون من علمه ومباحثه النحوية الدقيقة واستنباطاته الرائعة.

تعمق مذاهب النحاة، وتمثلها تمثلاً غريباً نادراً وهي مبثوثة في مصنفاته مع مناقشتها وبيان الضعيف منها والسديد، مع اثارته ما لا يحصى من الخواطر والآراء في كل ما يعرضه وما يناقشه، وبلغ الاعجاب به لدى بعض معاصريه حدّاً جعلهم يقولون انه انحى من سيبويه، قال عنه ابن حجر[2]: «لقد انفرد ابن هشام بالفوائد الغريبة، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البالغ، والاطلاع المفرط، والاقتدار على التصرف في الكلام، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً، مع التواضع والبر والشفقة، ودماثة الخلق ورقة القلب».

ويكشف لنا ابن خلدون عن منهجه عندما يقول في مقدمته[3]: «ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيبويه. . . ان ابن هشام على علم جم يشهد بعلوّ قدره في صناعة النحو، وكان ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنّي واتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوّة ملكته واطلاعه. . .».

وتتميز طريقة ابن هشام بالتنسيق المنطقي لأبواب النحو، مع عدم الاسراف في التدقيقات والجزئيات. وإذا أضفنا إلى ترتيبه هذا تريب ابن مالك لأبواب النحو (بل والصرف) كان بوسعنا القول أنّ هذا الترتيب ظلّ هو النهائي

---

(١) ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب ١٩١/٦، السيوطي: بغية الوعاة ٢٩٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٣٠٨/٧ السيوطي: حسن المحاضرة ٢٤٧/١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة (نشر عبد الواحد وافي ١٩٥٣) ١٦١/٤.

والمعمول به، لا على مستوى الأبواب فقط، بل على مستوى الأجزاء الداخلية لكل باب حتى ثلاثينات هذا القرن حين بدأت حركة احياء النحو العربي وتجديده تحت تأثير المناهج الحديثة ودراسات المستشرقين وقد كتب ابن هشام كثيراً في النحو والصرف واللغة، ويهمنا من مؤلفاته هنا «شرح شذور الذهب» و «شرح قطر الندى» و «مغني اللبيب».

الكتاب الأول «شرح شذور الذهب» صنف على هيئة متن ألم فيها المؤلف بأبواب النحو في ايجاز وترتيب ثم شرحها.

والكتاب الثاني «شرح قطر الندى» صنف على هذا النهج أيضاً فهو متن وشرح للمؤلف، وهو والكتاب الأول متقاربان في الموضوعات وفي الطريقة.

والكتاب الثالث «مغني اللبيب» كتاب قيم، وله شأن في البحوث النحوية، وقد عني كثير من العلماء بشرحه والتعليق عليه واعراب شواهده أشهرهم: الدماميني في تصنيفه: «تحفة الغريب في حاشية مغني اللبيب» وابن الصائغ في حاشيته على المغني.

ويمتاز بالطريقة التي اتبعها مؤلفه في ترتيب المباحث وتنظيم الموضوعات النحوية، وانحصرت أبحاثه في ثمانية أبواب

١ ـ تفسير المفردات وذكر أحكامها.
٢ ـ تفسير الجمل وذكر أقسامها.
٣ ـ ذكر ما يتردد بين المفردات والجمل وهو الظرف والجار والمجرور وذكر أحكامها.
٤ ـ ذكر أحكام يكثر دورها ويقبح بالعرب جهلها.
٥ ـ ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها.
٦ ـ التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها.
٧ ـ كيفية الاعراب.
٨ ـ ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما ينحصر من الصور الجزئية.

ابن هشام والنداء:

عالج ابن هشام قضية النداء في كتبه، وان يكن كلامه، في «شرح قطر الندى» هو الأكثر تفصيلاً.

يعتبر ابن هشام المنادى نوعاً من أنواع المفعول به، بل هو عنده آخر هذه الأنواع ولذلك فهو يذكره في آخر أنواع المفعول «وذلك لأن قولك: يا عبد الله: أصله أدعو عبد الله، فحذف الفعل وأنيب يا عنه..»[1] بعدها يذكر ابن هشام الحالات التي سيكون فيها النداء منصوباً وهي ثلاثة: الإضافة، كقولك: يا عبد الله، و «يا رسول الله» وقول الشاعر:

ألا يا عباد الله قلبي متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بعلاً[2]

وإذا كان شبيهاً بالمضاف وهو «ما اتصل به شيء من تمام معناه» كيا محموداً فعله، و «يا حسناً وجهه» و «جميلاً فعله» و «طالعاً جبلاً»، وإذا كان نكرة غير مقصودة كقول الأعمى: «يا رجلاً خذ بيدي»[3].

فإذا انتهى ابن هشام من تفصيل أحكام النداء المنصوب، انصرف إلى ذكر أنواع المنادى المبني على الضم أو ما يقوم مقامه وهما نوعان: الافراد والتعريف. ويعني بالافراد: أن لا يكون مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف، ويعني بالتعريف: أن يكون مراداً به معين، سواء كان معرفة قبل النداء كزيد وعمرو أو معرفة بعد النداء ـ بسبب الاقبال عليه ـ كرجل وانسان، تريد بهما معيناً، فإذا وجد في الاسم هذان الأمران استحق أن يبنى على ما يرفع به لو كان معرباً، تقول: «يا زيد» بالضم، و «يا زيدان» بالألف و «يا زيدون» بالواو[4].

---

(1) ابن هشام: شرح قطر الندى، ت: محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة، مطبعة السعادة ط. الثانية عشرة ١٩٦٦ ص ٢٨٠.

(2) البيت للأخطل التغلبي المبرد: الكامل، ت، محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٧١، جـ١ ص ٢٨٢، الميداني: مجمع الأمثال ط. الكاثوليكية ١٩١١ ١/٢٧٣.

(3) ابن هشام: شرح قطر الندى ٢٨٢ ـ ٢٨٣، شرح شذور الذهب ١٥٠ ـ ١٥١.

(4) المصدر نفسه ٢٨٤.

ويعود ابن هشام بعدها لشرح اللغات في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، فيذكر أنها ست، تقول: «يا غلام» بالثلاث، وبالياء فتحاً واسكاناً، وبالألف. وخالف في ذلك سيبويه[1] وابن مالك أيضاً[2]، ثم انصرف ابن هشام إلى ذكر اللغات في المنادى المضاف إلى الياء أباً أو أماً، ويجوز فيها هنا عشر لغات[3]، اللغات الست المذكورة ولغات أربع اخر:

١ ـ ابدال الياء تاء مكسورة، وبها قرأ السبعة ما عدا ابن عامر في «يا أبت».

٢ ـ ابدالها تاء مفتوحة.

٣ ـ بالتاء والألف: «يا ابتا».

٤ ـ بالتاء والياء: «يا ابتي»، وكقول الشاعر:

أيا أبتي لا زلت فينا، فانما   لنا أمل في العيش ما دمت عائشا

بعدها يلخص ابن هشام أحكام تابع المنادى على النحو التالي: «والحاصل أن المنادى إذا كان مبنياً، وكان تابعه نعتاً أو تأكيداً أو بياناً أو نسقاً بالألف واللام ـ وكان مع ذلك مفرداً أو مضافاً وفيه الألف واللام ـ جاز فيه الرفع على لفظ المنادى، والنصب على محله..»[4].

ثم يعقد ابن هشام فصلاً للترخيم ذاكراً أحكامه وماهيته، ويحدد شرطه بأن يكون الاسم معرفة «ثم ان كان مختوماً بالتاء لم يشترط فيه علمية ولا زيادة على الثلاثة...»[5]، ويتصل بفصل الترخيم أو يأتي بعده الفصل الخاص بأحكام الاستغاثة، وكما تتفق أكثر كتب النحو منذ ابن السّراج في أحكام هذه الفصول بدءاً بالترخيم، يتفق ابن هشام مع سابقيه في تفاصيل أحكام الترخيم

---

(١) يراجع سيبويه في هذا الفصل.
(٢) يراجع ابن مالك في هذا الفصل.
(٣) ابن هشام: شرح قطر الندى: ٢٨٧. وشرح شذور الذهب ١٥١ ـ ١٥٢.
(٤) ابن هشام: شرح قطر الندى ٢٩٠. شرح شذور الذهب ٥٣٤.
(٥) ابن هشام: شرح قطر الندى ٢٩٦.

والاستغاثة[1] والندبة، مع ملاحظة أن ابن هشام يحدد المندوب بأنه المنادى المتفجع عليه أو المتوجّع منه[2].

٧ ـ السيوطي:

هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي[3] (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) ولد بأسيوط، ومن هنا جاءت نسبته. وفي القاهرة نشأ وشب يتيماً فقيراً مقبلاً على العلم بنهم وشغف، ولم يلبث أن أخذ في التأليف والتدريس للطلاب في المدرستين: الشيخونية والبيبرسية، وكتب لنفسه ترجمة عند الكلام على من كان بمصر من الأئمة المجتهدين من كتابه حسن المحاضرة قال: «. . . وانما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداء بالمحدثين قبلي، فقلّ ان ألّف أحد منهم تاريخاً إلا ذكر ترجمته فيه. . .»[4].

ظل السيوطي طوال حياته مشغوفاً بالدرس، مشتغلاً بالعلم، يتلقاه عن شيوخه، أو يبذله لتلاميذه، أو يذيعه فتيا، أو يحرره في الكتب والأسفار، وحينما تقدم به العمر، وأحس من نفسه الضعف، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس، واعتزل الناس، وتجرد للعبادة والتصنيف، وألف كتابه «التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس»[5].

وعرف في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين، عفيفاً كريماً، غني النفس، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان، قانعاً برزقه، من خانقاه شيخو، لا يطمع فيما سواه، وكان الأمراء والوزراء يسعون إليه

---

(١) المصدر نفسه ٣٠٣.

(٢) ابن هشام: شرح قطر الندى ٣٠٨، ومغني اللبيب ٧١٣ ـ ٧١٤.

(٣) السخاوي: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، نشره القدسي، ١٣٥٣ هـ جـ ٤ ص ٢٠٣.
ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ ٨ ص ٥١، الشوكاني: البدر الطالع، ط. البابي الحلبي، القاهرة ١٣٤٩ هـ جـ ١ ص ٣٢٨، وله رسالة في الترجمة لنفسه اسمها «التحدث بنعمة الله».

(٤) السيوطي: حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٨٨.

(٥) محمد أبو الفضل ابراهيم: مقدمة كتاب بغية الوعاة للسيوطي جـ ١ ص ١٣.

ويعرضون عليه اعطياتهم فيردّها.

له مصنفات كثيرة في علوم مختلفة، زادت على الستمائة بين المجلدات الكبـيرة والرسائل الصغيرة، وقد جمع كتبه بطريقـة موسـوعية بـالغة الشمـول والاحاطـة، ولا شك أن السيوطي لا يتميز بالاصـالة في كثـير من آرائه ومؤلفـاته، لكن أهميـة آثاره أنها تمثل الصيغة النهائية في كثير من مجالات العلوم في الاسلام، ومن كتبـه: المزهر، الاتقان، الأشباه والنظائر، وبغية الوعاة، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، والجامع الصغير، والجامع الكبير، وغيرها.

وقد كتب كتباً مهمة في النحو وأصوله منهـا: كتاب «جمع الجوامع» وشرحه المسمى «همع الهوامع». ألمّ هذا الكتاب بأطراف المباحث النحوية وأوجـه الخلاف في مسائلها، وحرص مؤلفة على أن يحشد فيه جميع مـا حوتـه كتب النحو من آراء النحاة في قواعد النحو، من بصريين وكوفيـين وبغداديـين وأندلسيـين ومصريين، وساق مع كل رأي حججه وأدلته جمعها من نحو مائة مصنف لعل أهمها «ارتشاف الضرب لأبي حيان» وصرّح بذلك في مقدمته فقال:

«وبعد، فان لنـا مؤلفاً في العـربية جمـع أدناهـا وأقصاهـا وكتابـاً لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ومجموعاً تشهـد بفضله أرباب الفضـائل، وجموعاً قصرت عنه جموع الأواخر والأوائل، حشدت فيه ما يقر الأعـين، ويشنف المسـامع، وأوردتـه مناهـل كتب فاض عليهـا همع الهـوامع وجمعتـه من نحو مـائة مصنف، فلا غرو أن لقبته جمع الجـوامع، وقـد كنت أريد أن أضـع عليه شرحـاً واسعاً، كثير النقول، طويل الذيول، جامعاً الشواهـد والتعاليـل معتنياً بـالانتقاد للأدلة والأقـاويل، منبهـاً على الضـوابط والقواعـد والتقاسيم والمقـاصد، فـرأيت الزمان أضيق من ذلك، ورغبة أهله قليلة فيما هنالك مع الحـاح الطلاب عـلي في شرح يـرشدهم إلى مقـاصده، ويـطلعهم على غرائبـه وشوارده فتخـيرت لهم هذه العجـالة الكـافلة بحل مبـانيه، وتـوضيـح معـانيـه، وتفكيـك نـظامـه، وتعليـل أحكامه»[1].

(١) السيوطي: همع الهوامع، مصور بالأوفست، بيروت ١٩٧٦ جـ ١ ص ١٨.

السيوطي والنداء:

للسيوطي كتاب مهم يعتبر أكثر كتبه تفصيلاً وهو الفيته في النحو المسمّاة: «الفريدة» التي شرحها بنفسه، وعليها نعتمد في عرض آرائه في النداء التي تشكل ـ شأنها في ذلك شأن كتبه في الفنون الأخرى ـ الصياغة شبه النهائية لما بلغته القضية في زمنه دونما كبير زيادة أو تطوير[1].

فالمنادى عنده كما هو عند سائر النحاة: المطلوب اقباله بحرف نائب مناب الفعل المضمر كأدعو وأنادي[2]. بعدها يذكر السيوطي حروف النداء التي للقريب والبعيد، ويستطرد فيذكر الندبة من النداء.

ثم يعود فيحدد المنادى المنصوب والمنادى المبني، لكنه يستخدم هذا كله لمزيد من الايضاح لحروف النداء ووظائفها وعددها واحتمالاتها[3] وينقل عن ابن مالك رأيه في جواز حذف حرف النداء اختصاراً مثل: يوسف اعرض عن هذا، غير أن هناك صوراً لا يجوز الحذف فيها وعدّدها ومنها: اسم الله، والمستغاث والمتعجب منه والمندوب. . .».

ويلاحظ السيوطي ان هذا مذهب البصريين وان ابن مالك خالفهم في بعضها.

ويستطرد السيوطي فيذكر الصورة المعاكسة وهي امكان حذف المنادى وابقاء حرف النداء، وهنا يعود للاستشهاد بابن مالك الذي يقول بالجواز قبل الأمر والدعاء.

وعلى طريقة السيوطي في الوقوف على الحياد وذكر مختلف الآراء يعمد إلى مناقشة رأي ابن مالك من خلال رأي مخالف لأبي حيان الأندلسي[4].

(١) السخاوي: الضوء اللامع جـ ٤ ص ٣٠٤.
(٢) السيوطي: شرح الفريدة ١/٣٣٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٣٨ ـ ٣٤٢.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٤٢ ـ ٣٤٣.

ويصل السيوطي من هذا كله إلى ذكر الأمور التي لا ينادى فيها، والأمور التي يجوز دخول حرف النداء عليها. . .»[1].

ويتوسع السيوطي في ذكر الآراء المجوّزة والمانعة على صفحات عدّة يختمها بقوله: «ولا يجوز. . . ويا أيها الذي رأيت، كما لا يجوز أن ينادى. . .»[2] أما المنادى المبني العلم الموصوف بابن مضاف إلى علم آخر، فيجوز فيه مع الضم الفتح اتّباعاً، والعلم المضاف المكرّر ان كرّر معه المضاف إليه فذاك أو وحده كيا سعد سعد الأوس، فلك في الأول الضم والنصب وفي الثاني النصب فقط، ويعمّ الحكم اسم الجنس والوصف أيضاً كيا رجل رجل الخير ويا عالم عالم الدين»[3].

ويتابع السيوطي بحثه هذه القضية بالتفصيل بعد ذكر الأسماء التي لا تستعمل في غير النداء مثل: اللهم[4]، ويتابع السيوطي ابن الحاجب في الاهتمام بقضايا الألفاظ والقضايا التي تمتّ إلى أصول اللغة وعلم الدلالات في أصول الفقه بسبب، وذلك قبل أن ينصرف لدراسة مسألة ترخيم الاسم[5].

والترخيم عنده هو «حذف آخر المنادى للتخفيف. . .»[6].

أما بعد الترخيم فيدرس السيوطي قضيتي المنادى المندوب والاستغاثة.

والمندوب عنده هو المتفجع على عدمه حقيقة كالميت أو حكماً كالغائب، أو لوجوده كالمصيبة والويل»[7] «فاذا استغيث المنادى أو تعجّب منه جر بلام مفتوحة، ويدونها مكسورة كالمتعجب منه. وتنوب عن اللام ألف الاستغاثة في الآخر. . .»[8] بعدها يذكر السيوطي بعض الحالات التي يكون فيها حكم المنادى المرخّم كحكم المنادى المندوب[9].

---

(1) المصدر نفسه ١/٣٤٥ ـ ٣٤٦.
(2) المصدر نفسه ١/٣٤٨.
(3) السيوطي: شرح الفريدة ١/١٣٤٩.
(4) المصدر نفسه ١/٣٤٩ ـ ٣٥٧.
(5) المصدر نفسه ١/٣٤٩ ـ ٣٥٩.
(6) المصدر نفسه ١/٣٥٩.
(7) المصدر نفسه ١/٣٥٥.
(8) المصدر نفسه ١/٣٥٦.
(9) المصدر نفسه ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧.

وهكذا نعتبر فصل السيوطي دليلاً آخر على أن ابن مالك وابن هشام كان لهما الدور الأكبر في صياغة النحو العربي و «باب النداء على الخصوص» الصياغة النهائية، على أنه لا يمكن انكار دور ابن الحاجب في التنبه إلى القضايا اللغوية في النحو، تلك القضايا التي اهتم بها السيوطي في «المزهر» و «الاقتراح» مستفيداً إلى أبعد حدّ من ابن الحاجب، ثم من ابن مالك وابن هشام.

٨ ـ الشيخ مصطفى الغلاييني:

مصطفى بن محمد سليم الغلاييني[1]، أديب، كاتب، شاعر، خطيب، لغوي، سياسي، وصحافي، ولد في بيروت عام ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ م، تعلم بها وتلقى علومه على محي الدين الخياط، وعبد الباسط فاخوري، وصالح الرافعي، ثم تعلم في الأزهر وتتلمذ للشيخ محمد عبده سنة ١٣٢٠ هـ، عمل في مجلة النبراس التي أصدرها الدستور العثماني، ثم عين خطيباً للجيش الرابع العثماني في الحرب العالمية الأولى، وصحبه من دمشق إلى الاسماعيلية عاد بعدها إلى بيروت وعمل مدرساً، اعتقل عام ١٩٢٢ بتهمة الاشتراك بمقتل مدير الداخلية أسعد بك، وعندما أفرج عنه رحل إلى شرق الاردن واتصل بالأمير عبد الله الذي كلفه تعليم ابنه، وما لبث ان عاد إلى بيروت ونصّب رئيساً للمجلس الاسلامي وقاضياً شرعياً، توفي سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م.

من كتبه: «نظرات في اللغة والأدب» و «عظة الناشئين» و «الاسلام وروح المدنية» و «الثريا المضية في الدروس العربية» و «أريج الزهر» و «رجال المعلقات العشر» و «ديوان الغلاييني» و «جامع الدروس العربية».

---

(١) الزركلي، خير الدين: الاعلام، ط: ثالثة، بيروت، دون تاريخ، جـ ٨ ص ١٤٦ ـ ١٤٧.
وكحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى بغداد، ودار احياء التراث العربي بيروت، دون تاريخ جـ ١٢ ص ٢٧٧.

النداء في «جامع الدروس العربية» للشيخ مصطفى الغلاييني:

جاء في مقدمة كتاب الشيخ مصطفى الغلاييني: «انه رأى الحاجة ماسة إلى وضع كتب في العلوم العربية سهلة الأسلوب، واضحة المعاني، تقرب القواعد من افهام المتعلمين، وتضع العناء عن المعلمين»[1].

هذه هي الغاية التي رمى إليها الغلاييني من تأليف كتبه في العلوم العربية، ويشتمل الكتاب في أجزائه الثلاثة على مقدمة واثني عشر باباً وخاتمة، تناول في المقدمة مباحث مختلفة، وعالج في الباب الأول الفعل وأقسامه وانتهى إلى الباب الثاني عشر في حروف المعاني، وتضمنت الخاتمة مباحث اعرابية مختلفة متفرقة.

ابتدأ الغلاييني بذكر المنادى المقصود في باب المعرفة والنكرة وقال: «المنادى المقصود»[2]: هو اسم نكرة قصد تعيينه بالنداء مثل: «يا رجل ويا تلميذ «إذا ناديت رجلاً وتلميذاً معينين، فان لم ترد تعيين أحد قلت يا رجلاً ويا تلميذاً، ويبقيان في هذه الحالة نكرتين، لعدم تخصيصها بالنداء، فان ناديت معرفة فلا شأن للنداء في تعريفها. .

ثم تناوله في الجزء الثالث، معرفاً المنادى بقوله[3]: «اسم وقع بعد حرف من أحرف النداء نحو: «يا عبد الله».

ويذكر بعد ذلك أحرف النداء، ثم ينصرف إلى بحث أقسام المنادى وأحكامه ويذكر أقسامه الخمسة: المفرد المعرفة، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف والشبيه بالمضاف، مبيناً حكم المنادى في النصب لفظاً أو تقديراً، والمبني المستحق للبناء، وهو المبني قبل النداء فانه يبقى على حركة بنائه نحو: يا سيبويه، يا حذام، ويا خباث، يا هذا، يا هؤلاء. . . وذكر الذي يجوز فيه الوجهان نحو:

---

(١) الشيخ مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، ط ٩، المطبعة العصرية صيدا ١٩٦٢ جـ ١ ص ٣.

(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ١٥٧.

(٣) المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٤٥.

يا خليل ابن أحمد، إذا كان علماً مفرداً، علماً موصوفاً بابن ولا فاصل بينهما والابن مضاف إلى علم.

أما الوصف بالبنت فلا يغير بناء المفرد العلم، ولا يجوز معها إلا البناء على الضم نحو: يا هند بنت خالد.

ويعود بعدها إلى نداء الضمير[1] واصفاً اياه بأنه شاذ نادر الوقوع، ويورد آراء بعض النحاة بشأنه، فابن عصفور قصره على الشعر، أما أبو حيان فقد ذهب إلى أنه لا ينادى البتة، والخلاف إنما هو في نداء ضمير الخطاب. أما نداء ضميري التكلم والغيبة فاتفقوا على أنه لا يجوز نداؤهما بتة، فلا يقال: «يا أنا، ويا اياه».

ثم يذكر الغلاييني نداء ما فيه أل ويلخص بعدها أحكام تابع المنادى وحذف حرف النداء، وقصره على أن يكون «يا» دون غيرها والا يكون المنادى مندوباً ولا مستغاثاً ولا متعجباً منه ولا بعيداً، وذكر حذف المنادى كما في قوله تعالى: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً. .﴾ ثم المنادى المضاف إلى ياء المتكلم حيث أورد أنواعه: اسم صحيح الآخر، واسم معتل الآخر، وصفة[2]، ويتناول بايجاز المنادى المستغاث والمتعجب منه والمنادى المندوب، والمرخّم وأسماء لازمت النداء مستشهداً بشواهد وردت في مختلف كتب النحو القديمة، ومضيفاً إليها بعض الأمثلة.

والملاحظ أنه في تعريفاته سار على طريقة ابن هشام في «شرح قطر الندى» المتمثلة باللجوء إلى الاختصار ثم التوضيح متناً وشرحاً.

---

(١) مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية جـ٣ ص ١٥٠.
(٢) المصدر نفسه جـ١٥٧/٣.
(٣) نفسه جـ٣ ص ١٦٢.

٩ ـ علي الجارم ومصطفى أمين:

علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم[1]، أديب، شاعر، كاتب، لغوي، نحوي، بياني، قصصي، من رجال التربية والتعليم، ولد في رشيد بمصر عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م، تلقى ثقافة عربية بالأزهر ودار العلوم، وثقافة غربية انكليزية عندما سافر في بعثة إلى انكلترا لدراسة التربية.

تقلب بعد عودته في مناصب التعليم فاشتغل بالتدريس والتفتيش، واحتل مركز المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف ثم وكيلاً لدار العلوم، وانتخب عضواً بالمجمع اللغوي بالقاهرة وبالمجمع اللغوي بدمشق.

اشترك في كثير من لجان اصلاح اللغة العربيةوتهذيبها، توفي بالقاهرة سنة ١٩٤٩ فجأة وهو يسمع قصيدة من شعره يلقيها ابنه في رثاء محمود فهمي النقراشي في حفل أقيم بدار الأوبرا بالقاهرة.

من تصانيفه: ديوان شعر في ثلاثة أجزاء، و«قصة العرب في اسبانيا» و«النحو الواضح في قواعد اللغة العربية بالاشتراك مع مصطفى أمين و«من أدب العرب» بالاشتراك مع طه حسين وغيره، و«علم النفس وآثاره في التربية والتعليم» بالاشتراك مع مصطفى أمين و«البلاغة الواضحة» بالاشتراك مع مصطفى أمين (الأديب واللغوي في عصر علي الجارم وهو غير الصحفي المعروف بهذا الاسم).

النداء في كتاب «النحو الواضح في قواعد اللغة العربية» لعلي الجارم ومصطفى أمين»:

كتاب مختصر، لطيف، يعين الطالب، جاء بطريقة مبسطة، يتصدر الموضوع

---

(١) كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين جـ ٧ ص ١٠٨ ـ ١٠٩، والزركلي: الاعلام جـ ٥ ص ١٠٦.
وجمال الدين عبد الحكيم وزملاؤه: المغني في النصوص والأدب، دار القلم القاهرة ١٩٦٤ ص ١٤٤.

بالأمثلة المناسبة، ثم يجري بحث كل مثال بالتدرج لاستخلاص القاعدة، ثم تذكر النتيجة في القواعد التي تتضمن التعريف بالموضوع وأقسامه.

عرّف المنادى بأنه اسم يذكر بعد حرف من حروف النداء لاستدعاء مدلوله، ثم ذكر أحرف النداء، وأقسام النداء، انصرف بعدها لبحث الندبة معرفاً بأنها[1]: «نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه، «وأحكام المندوب كأحكام المنادى، والأوجه التي تجوز في المندوب، ومن أمثلته:

واعليّ، واعليّاه، وامن يؤذي الحيوان، وامن يؤذي الحيوانا، وامن يؤذي الحيواناه.

ويتبع كل ذلك بنماذج محللة، وأسئلة وتمرينات، ونماذج للاعراب بطريقة عصرية مقبولة.

ثم ذكر الاستغاثة على الطريقة نفسها وعرفها بقوله[2]: «الاستغاثة نداء من يعين على دفع شدّة وأداتها «يا» دون بقية أحرف النداء.

والملاحظ أنه لا يلجأ إلى التفريعات ولا إلى آراء النحاة في هذا المجال، ويقتصر في معالجته على الخطوط الرئيسية للموضوع التي بات الاتفاق عليها شبه اجماع من قبل النحاة.

١٠ ـ النداء في «النحو الوافي» لعباس حسن[3]:

عالج عباس حسن في كتابه الموضوعات النحوية بطريقة حديثة متناولاً الموضوع الواحد بطريقتين: أحداهما موجزة خصصها لطلاب الجامعة، والأخرى

---

(١) علي الجارم ومصطفى أمين: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، ط، دار المعارف بمصر ١٩٥٨. جـ٣ ص ٧٧ ـ ٨١.

(٢) المصدر نفسه جـ٣ ص ٨٢ ـ ٨٧.

(٣) عمل أستاذاً بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة، وكان فيها رئيس قسم النحو والصرف والعروض، وعين عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة من مؤلفاته: النحو الوافي، واللغة والنحو بين القديم والحديث.

مفصلة للأساتذة والمتخصصين، وسار فيه على طريقة المسائل، وخصّ النداء باحدى عشرة مسألة.

بدأ في المسألة ١٢٧ بتعريف النداء[1]: وهو: توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للاصغاء وسماع ما يريده المتكلم. ثم ذكر أشهر حروفه وعددها، والمواضع التي تذكر فيها كل منها، وفي الحاشية يذكر أقوالاً أخرى كما في تعريف النداء، فيورد: «ويقولون في تعريفه أيضاً: طلب الاقبال عليك بالحرف «يا» أو أحد أخواته، والاقبال يكون حقيقياً وقد يكون مجازياً يراد به الاستجابة كما في نحو «يا الله».

بعدها يبين مواضع حذف أحرف النداء، ومواضع لا يصح فيها الحرف «يا» وفي نهاية المسألة يورد زيادة تفصيل وأمثلة وردت في كتب النحو وأخرى لشعراء محدثين ومعاصرين.

وفي المسألة ١٢٨ يفصّل أقسام المنادى الخمسة وحكم كل منها[2]:

القسم الأول: المفرد العلم، ويراد بالمفرد هنا: ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف...

القسم الثاني: النكرة المقصودة ويراد بها النكرة التي يزول ابهامها وشيوعها بسبب ندائها.

القسم الثالث: النكرة غير المقصودة وهي الباقية على شيوعها وابهامها كما كانت قبل النداء.

القسم الرابع: المضاف بشرط أن تكون اضافته لغير ضمير المخاطب.

القسم الخامس: الشبيه بالمضاف، ويراد به كل منادى جاء بعده معمول يتمّ معناه[3].

---

(١) عباس حسن: النحو الوافي، ط، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ جـ ١/٤.
(٢) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٧.
(٣) عباس حسن: النحو الوافي جـ ٤ ص ٢٤.

المسألة ١٢٩: خصصت للجمع بين حرف النداء وأل.

أما المسألة ١٣٠: فلأحكام تابع المنادى[1]، حيث ذكر أن أكثر النحاة من الخلاف المرهق والتفريع الشاق في هذا الباب، وقد صفى كل أحكامه وفروعه جهد الاستطاعة مع البسط الذي لا غنى عنه، وختمه بعد ذلك بملخص بأسطر قليلة. وأورد التوابع الأربعة: النعت والعطف بنوعيه، والتوكيد، والبدل.

والمسألة ١٣١: جعلت للمنادى المضاف إلى ياء المتكلم وهو قسمان: قسم صحيح الآخر وما يشبهه وقسم معتل الآخر وما يلحق به[2].

والمسألة ١٣٢: للأسماء التي لا تكون إلا منادى[3]، فلا تكون مبتدأ ولا خبراً ولا اسماً أو خبراً لناسخ ولا شيئاً آخر غير النداء، وأشهرها أبت، وأمت، واللهم، وفل، وفلة، ولؤمان وملأم، وملأمان ومخبثان، وما كان وصفاً على فعل بمعنى فاعل كغدر وسفه. وما كان على وزن فعال (وصفاً) بمعنى فاعل أو فعيلة كخباث ولكاع.

وينصرف في المسألة ١٣٣ إلى تعريف الاستغاثة[4] بقوله: انها نداء من يخلص من شدّة واقعة، أو يعين على دفعها قبل وقوعها، وذكر أسلوب الاستغاثة، وأنه لا يتحقق الغرض منه إلا بتحقيق أركانه الثلاثة الأساسية: حرف النداء يا، ويعده في الأغلب المستغاث به، وهو الذي يطلب منه العون والمساعدة... ويسمّى أيضاً المستغاث، ثم المستغاث له وهو الذي يطلب بسببه العون.

المسألة ١٣٤: لنداء المقصود به التعجب[5] ويستنبط معنى التعجب من خلال ذكر أمثلة يسوقها ويشرحها ويبين المراد منها.

---

(١) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٢٤.
(٢) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٣٠ ـ ٤٢.
(٣) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٢.
(٤) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٨ ـ ٦٤.
(٥) المصدر نفسه جـ ٤ ص ٦٥ ـ ٦٦.

ب ـ ما المشكلة التي أثارها النداء في وجه الدارسين؟

النداء باعتباره موضوعاً مميزاً من موضوعات النحو أثار بعض الخلافات لدى النحاة قديماً وتباينت آراؤهم بأقسامه وأحكامه، والعكس ذلك بمشكلات واجهت الدارسين، شأنه في ذلك شأن أبواب النحو عامة، وما بين البصريين والكوفيين خاصة.

النداء بين علماء البصرة وعلماء الكوفة:

اختلف علماء البصرة وعلماء الكوفة في الكثير من مسائل النداء منها في: «المنادى المفرد العلم هل هو معرب أو مبني؟:

ذهب علماء الكوفة إلى أن الاسم المنادى المعرف المفرد معرب مرفوع بغير تنوين، وذهب الفراء من الكوفيين إلى أنه مبني على الضم، وليس بفاعل ولا مفعول وذهب البصريون إلى أنه مبني على الضم وموضعه النصب، لأنه مفعول.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا ذلك لأنا وجدناه لا معرب له يصحبه من رافع ولا ناصب ولا خافض، ووجدناه مفعول المعنى، فلم نخفضه لئلا يشبه المضاف، ولم ننصبه لئلا يشبه ما لا ينصرف، فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برافع صحيح فرق.

فأما المضاف فنصبناه لأنا وجدنا أكثر الكلام منصوباً فحملناه على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالاً من غيره.

وأما الفراء فتسمك بأن قال: الأصل في النداء أن يقال: «يا زيداه» كالندبة فيكون الاسم بين صوتين مديدين، وهما «يا» في أول الاسم، والألف في آخره ـ والاسم فيه ليس بفاعل ولا مفعول ولا مضاف إليه، فلما كثر في كلامهم استغنوا بالصوت الأول وهو «يا» في أوله عن الثاني وهو الألف في آخره فحذفوها وبنوا آخر الاسم على الضم تشبيهاً بقبل وبعد، لأن الألف لما حذفت وهي مراده معه...

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: انما قلنا انه مبني وان كان يجب في الأصل أن يكون معرباً لأنه أشبه كاف الخطاب، وكاف الخطاب مبنية، فكذلك ما أشبهها. ووجه الشبه بينهما من ثلاثة أوجه: الخطاب والتعريف، والافراد، فلما أشبه كاف الخطاب من هذه الأوجه وجب أن يكون مبنياً كما أن كاف الخطاب مبنية.

ومنهم من تمسك بأن قال: إنما وجب أن يكون مبنياً لأنه وقع موقع اسم الخطاب، لأن الأصل في «يا زيد» أن تقول: يا اياك أو يا أنت...[1].

وقد ساق كل فريق حججه المؤيدة لرأيه ولما ذهب إليه.

ومنها: «القول في نداء الاسم المحلّى بأل»[2]:

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نداء ما فيه الألف واللام نحو: «يا الرجل» و «يا الغلام»، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه جائز أنه قد جاء ذلك في كلامهم، قال الشاعر:

فيا الغلامان اللّذان فرّا ... ايّاكما أن تكسباني شرّاً

فقال «يا الغلامان» فأدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام، وقال الآخر:

فديتك يا التي تيمت قلبي ... وأنت بخيلة بالود عني

---

(١) ابن الأنباري: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط، رابعة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م المسألة ٤٥ جـ ١ ص ٣٢٣. وأسرار العربية له، ت، محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي بدمشق، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م ص ٩٠.
والأشموني: شرح الأشموني، القاهرة ١٣٦٢ هـ جـ ٣ ص ١١٩، والشيخ خالد الأزهري: التصريح ط، الأزهرية، القاهرة ١٣٢٥ جـ ٢ ص ٢٠٨.

(٢) ابن الأنباري: الأنصاف جـ ١ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ والمسألة ٤٦ ـ وسيبويه الكتاب جـ ١ ص ٣١٠، الاستراباذي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٢٨ ـ ١٣٢.

فقال يا التي «فأدخل حرف النداء على ما فيه الألف واللام فدلّ على جوازه، والذي يدل على صحة ذلك أنا أجمعنا على أنه يجوز أن نقول في الدعاء «يا الله أغفر لنا» والألف واللام فيه زائدتان، فدلّ على صحة ما قلناه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا أنه لا يجوز ذلك لأن الألف واللام تفيد التعريف، و«يا» تفيد التعريف، وتعريفان في كلمة لا يجتمعان، ولهذا لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية في الاسم المنادى العلم نحو «يا زيد» بل يعرّى عن تعريف العلمية، ويعرّف بالنداء، لئلا يجتمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية، وإذا لم يجز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية، فلأن لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف الألف واللام أولى؛ وذلك لأن تعريف النداء بعلامة لفظية، وتعريف العلمية ليس بعلامة لفظية، وتعريف الألف واللام بعلامة لفظية، كما أن تعريف النداء بعلامة لفظية، وإذا لم يجز الجمع بين تعريف النداء وتعريف العلمية وأحدهما بعلامة لفظية والآخر ليس بعلامة لفظية فلان لا يجوز الجمع بين تعريف النداء وتعريف الألف واللام، وكلاهما بعلامة لفظية كان ذلك من طريق الأولى[1].

وفي شأن ذلك ردود كثيرة من الفريقين.

ومنها: «القول في الميم في «اللّهم» أعوض من حرف النداء أم لا؟[2] ذهب الكوفيون إلى أن الميم المشددة في «اللّهم» ليست عوضاً من «يا» التي للتنبيه في النداء. وذهب البصريون إلى أنها عوض من «يا» التي للتنبيه في النداء والهاء مبنية على الضم لأنه نداء...» ومنها: «هل يجوز ترخيم المضاف بحذف آخر المضاف إليه[3]؟

(١) ابن الأنباري: الانصاف في مسائل الخلاف جـ ١ ص ٣٣٨.

(٢) المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٤١ (المسألة ٤٧). الاستراباذي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٣٢.
ابن منظور: لسان العرب (اله)، ابن يعيش: شرح المفصل ص ١١١.
الأزهري: التصريح ٢١٧/٢، الأشموني: شرح الأشموني ١٢٥/٣.

(٣) ابن الأنباري: الانصاف جـ ١ ص ٣٤٣ (المسألة ٤٨) وأسرار العربية له ٩٦.

ذهب الكوفيون إلى أن ترخيم المضاف جائز، ويوقعون الترخيم في آخر الاسم المضاف إليه، وذلك نحو قولك «يا آل عام» في يا آل عامر، و «يا آل مال» في يا آل مالك، وما أشبه ذلك.

وذهب البصريون إلى أن ترخيم المضاف غير جائز. . .

ومنها: «هل يجوز ترخيم الاسم الثلاثي؟[1]»:

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ترخيم الاسم الثلاثي إذا كان أوسطه متحركاً، وذلك نحو قولك في عنق «يا عن» وفي حجر «يا حج» وفي كتف «يا كت».

وذهب بعضهم إلى أن الترخيم يجوز في الأسماء على الاطلاق.

وذهب البصريون إلى أن ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف لا يجوز بحال وإليه ذهب أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين. . .

ومنها: «ترخيم الرباعي الذي ثالثه ساكن[2]».

ذهب الكوفيون إلى أن ترخيم الاسم الذي قبل آخره حرف ساكن يكون بحذفه وحذف الحرف الذي بعده، وذلك نحو قولك في قمطر «يا قم» وفي سبطر «يا سب» وما أشبه ذلك.

وذهب البصريون إلى أن ترخيمه يكون بحذف الحرف الأخير منه فقط. . .

ومنها: «القول في ندبة النكرة والأسماء الموصولة[3]».

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز ندبة النكرة والأسماء الموصولة، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك. . .

---

(١) ابن الأنباري: الانصاف جـ ١ ص ٣٥٦ (المسألة ٤٩)، والاسترابادي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٣٦.

(٢) ابن الأنباري: الانصاف جـ ١ ص ٣٦١ (المسألة ٥٠)، وأسرار العربية له ص ٩٥، وابن يعيش: شرح المفصل ص ١٨٥.

(٣) ابن الأنباري: الأنصاف جـ ١ ص ٣٦٢ (المسألة ٥١)، الأزهري: التصريح جـ ٢ ص ٢٣٩، الاسترابادي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٤٤.

ومنها: «هل يجوز القاء علامة الندبة على الصفة؟:

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن تلقى علامة الندبة على الصفة نحو قولك «وازيد الظريفاه» وإليه ذهب يونس بن حبيب البصريّ وأبو الحسن بن كيسان.

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز[1]. . . .

ويحار الدارس إزاء هذه الآراء المتعددة والمتباينة في أي رأي يتبنى، وأي مذهب يؤيد، ولكل حججه وأسانيده وشواهده كما يقف الدارس عاجزاً عن تصويب هذا الرأي أو ذاك فكيف يواجه هذه المشكلات.

جـ - كيف حاول هؤلاء الدارسون حلّ هذه المشكلات؟

أدرك بعض المشتغلين بالنحو حقيقة المشكلات التي تواجههم، وما تعكسه من آثار سلبيه عليه وعلى النحاة وطلاب التحصيل، ففي القرن السادس الهجري انبرى ابن مضاء الأندلسي في حملة شديدة على النحو والنحاة من حوله، إذ هاله ما وجد من تضخم في المادة العربية من جراء التقديرات، والتأويلات والتعليلات، والأقيسة والفروع والآراء التي لا حصر لها، ولا غناء حقيقي في تتبعها، فمضى يهاجم في كتابه: «الرد على النحاة «كثيراً مما أثبتوه في كتبهم من آراء وعلل واقترح أن يحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأوضح رأيه في ذلك إيضاحاً مفصلاً مقروناً بالحجة العلمية[2]. ومتعرضاً لنظرية العامل، باسطاً رأيه في نقدها، داعياً إلى الغائها وإلى الغاء كل تأويل وتقدير في الصيغ والعبارات، كما تعرض لموضوع التنازع والاشتغال وللعلل الثواني والثوالث.

وهو في ذلك يستلهم رأى ابن جني الذي يأخذ بظاهر النص، ورفض ما

---

(١) ابن الأنباري: الانصاف جـ ١ ص ٣٦٤ (المسألة ٥٢)، الاستراباذي: شرح الكافية جـ ١ ص ١٤٥، الأزهري: التصريح جـ ٢ ص ٢٣٠، الأشموني: شرح الأشموني بحاشية الصبان جـ ٣ ص ١٤٥.

(٢) شوقي ضيف: المدارس النحوية ص ٣٠٥.

وراء ظاهره، وفي إنكاره علة العلة[1]، إلى غير ذلك مما يجب أن يصفى منه علم النحو وتخلص منه مذاهبه وكتبه.

وكانت غاية ابن مضاء تيسير النحو، وتوجيه قواعده وجهة علمية، وتعدّ آراؤه سنداً قوياً للاصلاح، ومشجعاً على التجديد لمن ينشد تذليل صعاب النحو، يقول ابن مضاء في مفتتح الفصل الأول من كتابه: «قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي[2].

ويبحث في العوامل المحذوفة ليدل على مدى فساد نظرية العامل وقد قسم العوامل التي يحذفها النحاة في الكلام ثلاثة أقسام...

ويذكر النداء في القسم الثالث من العوامل المحذوفة فيقول: «أما القسم الثالث من العوامل المحذوفة فهو أكثر عنتا من القسم الثاني، إذ نرى النحاة يقدرون أن المنادى في مثل «يا عبد الله» مفعول به لفعل محذوف تقديره (ادعو)، ولو قال المتكلم (ادعو عبد الله) بدلاً من (يا عبد الله) لتغير مدلول الكلام، وأصبح خبراً بعد أن كان إنشاء[3].

وفي رأيه «يا عبد الله» عبد الله منادى منصوب، ولا حاجة لقول النحاة: انه منصوب بفعل محذوف تقديره أدعو أو أنادي.

واقترح جمع شتات صيغ في النحو وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

شبه جملة مرفوعة وأخرى منصوبة وثالثة مجرورة، ومن المرفوعة صيغة النداء (يا زيد)، ومن المنصوبة صيغة النداء المنصوب (يا عبد الله).

---

(1) ابن جني: الخصائص جـ ١ ص ١٧٣ وما بعدها.

(2) ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة ت، شوقي ضيف، دار الفكر العربي القاهرة، ط، أولى ١٩٤٧. ص ٨٥.

(3) المصدر نفسه ص ٩٠.

وأحد الدارسين[1] اقترح طريقة لبحث النداء وعرضه على الناشئين بالصورة التالية:

١ - المنادى يظهر نصبه إذا كان مضافاً نحو: يا عبد الله، يا رجل سوء.

٢ - أو شبيهاً به نحو: يا خيراً من زيد، ونحو قوله:
فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها.

٣ - أو نكرة غير مقصودة كقول الأعمى: يا رجلاً، خذ بيدي، ونحو قوله:
ويا حاطباً في غير حبلك تحطب.

ويبنى العلم المفرد وشبهه، والنكرة المقصودة على ما يرفع به لفظاً، وهو الصفة في المفرد، والجمع المكسر، وجمع المؤنث السالم نحو: يا زيد، يا رجل، يا رجال، يا هندات، والألف في المثنى نحو: يا زيدان، والواو في جميع المذكر السالم نحو: يا زيدون، أو تقديراً في المقصور نحو: يا موسى، والمنقوص نحو: يا قاضي، وما كان مبنياً قبل النداء نحو: يا سيبويه ويا حذام، ويا خمسة عشر، ويا برق نحره.

هذا هو المعروف في اعراب المنادى عند جمهور النحاة، وورد في جميع كتب المتقدمين مع خلاف في التعبير أو في التمثيل.

ونلاحظ هنا أننا نربك التلميذ حينما نعلمه أن المنادى يكون معرباً أحياناً، ومبنياً أحياناً، وهو في حالة اعرابه يكون منصوباً، وفي حالة بنائه يكون مبنياً على ما يرفع به، ويكون في محل نصب، وهذه أمور اقتضتها الصنعة النحوية لأن النحاة فرضوا أن المنادى مفعول به، بل جعلوه من أقسام المفعول به. ألا ترى أنهم يقولون: ومنه - أي من المفعول به - المنادى[2] ولأنهم جعلوه من أقسام المفعول به، والمفعول به يقع بعد فعل متعد، والمنادى لم يسبقه فعل متعد - قدروا

---

(١) محمد أحمد برانق: النحو المنهجي ط ٢/ ٥٩ ص ١٠٧.
(٢) ابن هشام: شرح قطر الندى ص ٢٨٠.

له فعلاً، وجعلوه لازم الاضمار، ثم ذكروا أنه أضمر لأسباب منها: الاستغناء بظهور معناه، وقصد الانشاء، واظهار الفعل يوهم الاخبار وكثرة الاستعمال، والتعويض عنه بحرف النداء.

ولم يجمع النحاة على تقدير الفعل، فرأى بعضهم أن عامل النصب معنوي، وهو القصد، ورأى آخرون ان الاسم نصب بحرف النداء، ورأى غير هؤلاء وأولئك أن حروف النداء أسماء أفعال فليس هناك فعل مقدر. . .

وهم في هذا الاختلاف الطويل العريض يقدرون عوامل، ويختلفون في التقدير والتأويل والتفسير.

والمسألة أيسر من كل ما ذهب إليه النحاة ولا تحتمل كل هذا الخلاف ولا تضطرنا إلى أن نوقع تلاميذنا الناشئين في الحرج، ونبلبل أفكارهم بما لا يفيدهم، ويكفي أن يعرف التلاميذ أن الاسم الواقع بعد حرف النداء:

أ ـ إذا كان مضافاً نصب مثل: يا عبد الرحيم، يا أبا بكر.

ب ـ إذا كان شبيهاً بالمضاف نصب مثل: يا راكبا سيارة.

جـ ـ إذا كان نكرة غير مقصودة نصب مثل:

فيا راكبا أمّا عرضت فبلّغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا

د ـ إذا كان معرفة غير مضاف رفع من غير تنوين نحو: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، يا نوح اهبط بسلام منا، يا جبال اوّبي معه. . .

قد يعترض معترض بأن التلميذ يقع في الحرج حينما يتبع المنادى المعرفة المفرد، أي المنادى المرفوع فكيف نضبط التابع؟[1].

والحق أنه ليس في هذا حرج، لأننا نتبع المنادى بمفرد أو بمضاف فيه أل، أو بمضاف خال من أل.

فإذا اتبعناه مفرداً أو مضافاً فيه أل ـ كان التابع مرفوعاً. فتقول يا زيد

(١) محمد أحمد برانق: النحو المنهجي ص ١١٢.

الظريف، برفع كلمة الظريف الواقعة نعتاً، وليس التلميذ في حاجة إلى أن يعرف أنه لا يجوز أن يكـونه مـرفوعـاً على اللفظ ومنصـوباً عـلى المحل، ونقـول يا زيـد الحسن الوجه، برفع الحسن، ومنه يا حكم الوارث بن عبد الملك.

وتقول: يا تميم أجمعون، بالرفع في التوكيد كما رفعت في الصفة.

وتقول: يا عمرو والحارث بالرفع في المعطوف...

وإذا اتبعنا المنادى مضافاً خالياً من أل ـ وجب أن يكون التابع منصوباً، على أن كلا من التابع والمتبوع منادى مستقل، ذكر حرف النـداء في الأول وحذف من الثاني فإذا قلت: يا زيد ذا الحبل ـ كانت كلمـة «زيد» منـادى مرفـوعاً بـالضمة، وكانت كلمة «ذا» منادى منصوبـاً بالألف من الأسـماء الخمسة. وإذا كـان الاسم المراد نداؤه فيه أل فلك في ندائه ثلاث طرق[1]:

الطريق الأول: أن تأتي قبله بكلمـة «أي» إذا كان المنـادى مذكـراً، وبكلمة «أية» إذا كان مؤنثاً، تقول: يا أيها الرجل، ويا أيتها المرأة.

الطريق الثاني: أن تأتي قبله بكلمة «هـذا» إذا كان المنـادى مذكـراً، وبكلمة «هذه» إذا كان المنادى مؤنثاً فتقول: يا هذا الرجل، ويا هذه المرأة...

الـطريق الثالث: أن تجمـع بين «أي» و «هـذا» في أسلوب واحد ومنـه قـول الشاعر:

ألا أيهـذا المنـزل الـدارس الـذي كـأنـك لم يعهـد بـك الحيّ عـاهـد

والملاحظ أن هذه الصورة المقترحة لموضوع النداء قد شابها نقص، واعتراهـا اقتصار مما جعل الموضوع مبتوراً، ومع تقديرنا للمقترحات جميعها إذ تضيء شمعة في طريق الاصلاح، فانه ما من شك في أن هـذا العبء الكبير لا يمكن أن ينهض بـه شخص أو أشخـاص منفـردون، وانمـا يجب أن تتـوفـر عليـه هيئـات علميـة متخصصة عمل جاهدة على تحديث النحو وعرضه بصورة متقبلة، ووجه حسن.

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٨.

الفصل الثالث قواعد النــــداء في النحو العربي

أ ـ تعريف النداء:

النداء في اللغة: الدعاء بأي لفظ كان[1]. أما في الاصطلاح فأن النحويين لا يتفقون تماماً على معناه، إذ يعرفه بعضهم وظيفياً بينما يلجأ آخرون إلى تعريفه انطلاقاً من أحواله الاعرابية، فقد قال سيبويه: «ان النداء هو كل اسم مضاف فيه نصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره. .»[2] والتعريف الذي يمكن إيثاره هنا لجمعه بين الأمرين هو ما أورده ابن عقيل حيث قال: ان النداء «هو طلب المتكلم اقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء ملفوظاً كان حرف النداء أو ملحوظاً»[3].

فمن أمثلة النداء الملفوظ قول الشاعر[4]:

يا أيها الرجل المحول رحله هلّا نزلت بآل عبد مناف

ومن أمثلة النداء الملحوظ الآية القرآنية: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾[5] والآية:

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، مصور بالأوفست، بيروت ١٩٧٦، ٢/٣ ـ ٤.

(٢) سيبويه، الكتاب (هارون) ١٨٢/٢.

(٣) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، نشر محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦١، ١٦/٣، والزجاج، الأصول، ٥٤٦/١.

(٤) هو ضرار بن الخطاب، راجع ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١٨٦/١.

(٥) سورة الممتحنة / ٤.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾[1]، والأصل: يا ربنا، فجرى حذف حرف النداء لأنه تمكن ملاحظته.

وقد نصّ ابن مالك على وجوب اعتبار حرف النداء «يا» فقط في حالة حذفه[2].

والنداء لا ينقسم إلى ملفوظ وملحوظ فقط، بل ينقسم أيضاً إلى نداء حقيقي وآخر مجازي، ففي قول الشاعر الحارثي:

أيا راكباً امّا عرضت فبلّغنْ نداماي من نجران الّا تلاقيا[3]

يدعو صاحبه ويناديه، وليس كذلك في الآية القرآنية: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا..﴾[4] إذ المقصود طلب الاستجابة لا النداء الحقيقي، وكذلك الشأن في نداء الحسين ابن مطير لقبر ممدوحه[5]:

فيا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البرّ والبحر مترعا
ويا قبر معنٍ انت أول حفرة من الأرض خطّت للسماحة مضجعا

إذ أنه لا يريد أكثر من إظهار التفجع والتوجع والأسى. وهكذا فان النداء من حيث ما يتعلق بتعريف النحويين له، ينقسم من ناحية ذكره إلى ملفوظ وملحوظ، ومن ناحية معناه إلى حقيقي ومجازي، لكن هناك من النحويين أمثال الشلوبين الأندلسي من يريد أن يلغي وجود النداء المجازي وتوسيع معنى

---

(١) سورة آل عمران / ٨.
(٢) ابن مالك، تسهيل الفوائد، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٢٨.
(٣) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، الضبي، المفضليات ت: محمود شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٦، من المفضلية ٣٠، وابن هشام، شذور الذهب، ت، محمد محي الدين عبد الحميد، ط، ١٩٦٨، رقم ٥١، الأشموني على ابن مالك القاهرة ١٣٦٢ هـ، رقم ٨٧٢، ونقائض جرير والفرزدق، ١٩١٠، ١/٨٤٥، والحماسة الشجرية، دمشق ١٩٧٢، ٣٨/٢.
(٤) سورة آل عمران / ٨.
(٥) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، طبعة معادة، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٦، ١/١٣٥ - ١٣٦، وابن المعتز، الطبقات، ت: عبد الستار فراج، ط ٢ القاهرة ١٩٧١.

«الحقيقي». بحيث يشمل النوعين[1]، على أن النزاع في القضية يبقى على أي حال لفظياً[2].

ب ـ حروف النداء:

للنداء حروف ثمانية هي: الهمزة المقصورة، الهمزة الممدودة (أمحمد وآمحمد)، أي المقصورة، أي الممدودة (أي محمد وآي محمد) يا، أيا، هيا، وا[3].

والحرف الأخير (وا) يستعمل في الندبة لا غير. والندبة كما سيأتي بيانها هي «نداء المتفجّع عليه أو المتوجع منه»[4]. مثل أن يقول قائل في رثاء أبيه «وا أبتاه» ومثل قول الشاعر:

وارحمتاه للغريب بالبلد النا   زح ماذا بنفسه صنعا

وأعم هذه الحروف «يا» إذ هي تدخل في كل نداء حتى في باب الندبة عند أمن اللبس: ويريد الأخفش تسميتها أمّ الباب[5]، كما في قول الشاعر[6]:

حمّلت أمراً عظيماً فاصطبرت له   وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

فما كان المقام مقام رثاء، والنداء للندبة غير ملبس فيه استعملت «يا» بدل «وا» إذ انّ «وا» تتعين في الندبة عند خشية اللبس.

ثم ان «يا» تختص دون سواها بأنها هي وحدها التي يجوز حذفها مع المنادى عندما لا يكون هناك مانع من الحذف.

---

(١) الشلوبين، التوطئة، ت. م، قاسم، القاهرة، ١٩٧٢، ١١١.

(٢) عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، بمصر ط، ٣، ١٩٧٤، ١٧٥/٣ ـ ١٧٦.

(٣) الأشموني علي ابن مالك، ٤٨/٣، ابن السرّاج، الموجز في النحو. ت، مصطفى الشويمي وبن سالم دامرجي، ط: بدران، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٧.

(٤) ابن يعيش، المفصل، ٣٨/٤، ابن منظور، اللسان (ندب).

(٥) السيرافي، أبو سعيد، شرح السيرافي على كتاب سيبويه ١٢٨/٢، والبغدادي، خزانة الأدب: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٨، ١٤٧/٦.

(٦) عبد السلام هارون: شواهد العربية، القاهرة ١٩٧٧ ـ ١٩٧٩، ١٧/٢.

وهي دون سواها تدخل على اسم الجلالة فيقال «يا الله».

وهي وحدها ينادى بها أي وأية مثل: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله...﴾[1] و﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾[2].

أما حرف النداء الممدود فانه مستعمل في لغة العرب لمناداة البعيد حقيقة أو حكماً كالنائم والغافل[3].

وإذا كان غير ممدود فانه ينادى به القريب حقيقة ومن في حكمه، ولهذا قالوا: ان الهمزة، وأي المقصورتين ينادى بهما القريب وما في حكمه، وأن يا وبقية حروف النداء والهمزة وأي الممدودتين ينادى بها البعيد وما في حكمه[4].

وقد ينزل البعيد منزلة القريب لاعتبار عند المتكلم فيستعمل له حرف النداء الموضوع للقريب، وقد ينزل القريب منزلة البعيد لاعتبار يراه المتكلم فيستعمل له الحرف الموضوع لنداء البعيد[5]، لكن الضابط لذلك غير واضح عند النحويين، ولا بد من مراعاة السياق والتدقيق فيه، وقد تنبه ابن مضاء القرطبي إلى ذلك وهاجم النحويين في هذه النقطة[6].

---

(١) سورة الصف / ١٤.

(٢) سورة الفجر / ٢٧.

(٣) يرى النحويون أن الضمير لا ينادى بالياء إلا شذوذاً مثل: يا أنت، يا اياكم، ويطّرد حذفها قبل المنادى إذا لم يكن ضميراً ولا مبهماً مثل أسماء الموصولات والاشارة مثل: يا هذا التغبي، لكن حذف المنادى وبقاء الأداة في الآية القرآنية: ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ (يس / ٢٥) على تقدير: يا هؤلاء قومي يعلمون، هو أمر متكلف إذ الأصوب اعتبار الياء هنا حرف تنبيه للمخاطب لا حرف نداء. سعيد الأفغاني: الموجز في قواعد اللغة العربية ٣٢١.
السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع، مصور بالأوفست، بيروت، ١٩٧٦، ٢/١٤.
والشلوبين: التوطئة، ٥٨. والزجاج: الأصول، ١/٥٤٧.

(٤) لا يبدو ذلك واضحاً في موجز ابن السرّاج ٤٦. سيبويه (هارون) ٢/١٨٥ وما بعدها.

(٥) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٣/٩، وعباس حسن، النحو الوافي ٣/١٩٧٧.

(٦) ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، ت: شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥١، ١٩.

جـ ـ مواضع ذكر أدوات النداء:

تكون أداة النداء تارة ملفوظة، وتارة أخرى مقدرة، إلا أن هناك مواضع ثمانية لا يجوز حذف أداة النداء في واحد منها، بل يجب ذكر أداة النداء فيها وهي[1]:

١ ـ **المندوب**: مثل[2]:

واحرّ قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم

٢ ـ **المستغاث**: مثل: «يا لخالد للمقادير».

٣ ـ **المنادى البعيد**: لأن المراد ابلاغ الصوت إليه مثل: ياذا المخوفنا[3] وأداة النداء الممدودة، تساعد على هذا الابلاغ وحذف الأداة يتعارض معه، ولذلك لا تحذف الأداة حين ينادى البعيد.

٤ ـ **النكرة غير المقصودة**: كقول الفقير الأعمى: «يا محسنين».

٥ ـ **ضمير المخاطب**: ونداؤه شاذّ وفيه شيء من التحقير مثل قول الشاعر[4]:

يا أبجر بن أبجر يا أنت ... أنت الذي طلقت عام جعتا

٦ ـ **اسم الجلالة**: عند عدم التعويض بالميم المشدودة عن أداة النداء، فإذا عوض عنها بالميم المشددة وجب حذف أداة النداء حتى لا يجمع بين العوض والمعوض تقول: «يا الله» بذكر أداة النداء وجوباً، لأن نداء اسم الجلالة على

---

(١) السيرافي، شرح السيرافي على كتاب سيبويه، ٢/٤٨ وما بعدها، وابن يعيش، المفصل ٤/٦، وما بعدها، والأشموني على ابن مالك ٣/٢٩، وما بعدها.

(٢) البيت للمتنبي (ديوانه شرح الواحدي ٤٣٧).

(٣) تمام البيت:

يا ذا المخوّفنا بمقتل شيخه ... حجر تمنى صاحب الأحلام

وهو لعبيد بن الأبرص (ديوانه ٥٢)، البغدادي في الخزانة، ١/٣٢٣.

(٤) سيبويه، الكتاب (هارون)، ٢/٢٠٣، والزجاج، الأصول، ١/٥٥١، وابن يعيش، المفصل، ٤/٨٦، والبغدادي، خزانة الأدب ٦/٣٣.

خلاف الأصل لوجود «أل» فيه، فلو لم تذكر أداة النداء لما انتهى المعنى إلى النداء، فإذا عوّض عن «ياء» بالميم المشددة حذفت أداة النداء وجوباً مثل: «اللهم ربنا ولك الحمد».

ومن الشاذّ[1] الجمع بين أداة النداء والميم المشددة في آخر اسم الجلالة المنادى كما في قول الشاعر:

اني إذا ما حدث ألمّا ... أقول يا اللهم يا اللهما

فلقد جمع هنا بين العوض والمعوض، ولذلك كان الجمع شاذّاً، وقد أجاز بعضهم حذف أداة النداء من لفظ الجلالة دون تعويض»[2].

كما في قول أمية بن أبي الصلت[3]:

رضيت بك اللهمّ ربّا فلم أرَ ... أدين الها غيرك الله راضيا

التقدير: أدين الها غيرك يا الله، فحذفت أداة النداء دون أن يعوض عنها بالميم المشددة في آخر لفظ الجلالة، ولعله للضرورة وكذلك ذكر الكاف بعد غير.

٧ - **اسم الاشارة**: فلا يجوز عند البصريين حذف أداة النداء عند ندائه، أما الكوفيون فقد أجازوا حذف الأداة عند ندائه[4]، مستدلين بمثل قول ذي الرمة[5]:

إذا هملت عيني دما قال صاحبي ... بمثلك هذا لوعة وغرام

---

(١) الخضري، محمد الدمياطي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ط: البابي الحلبي بمصر ١٩٤٠، ٢/٧٥ - ٧٦.

(٢) يفعل ذلك بعض البصريين كالخليل وسيبويه، وكثير من الكوفيين أمثال الفراء، ابن الأنباري كمال الدين أبو البركات، الانصاف في مسائل الخلاف ط: التجارية الكبرى بالقاهرة ١٩٦١، ١/٢١٦ - ٢١٧.

وللفراء تخريج لذلك بقوله، اللهم «اختزال من كلمة يا الله أمّنا بخير»، وهو تخريج بعيد، الفراء، معاني القرآن، ١/٢٠٣، وابن يعيش، المفصل، ٢/١٦.

(٣) ديوانه ١٤٩.

(٤) ابن الأنباري، الانصاف، ١/٢١٥.

(٥) ديوانه ٣١٦، ابن يعيش، المفصل، ٤/٩٨، السيوطي: همع الهوامع ٢/١١.

الأصل: بمثلك يا هذا، فحذفت أداة النداء، والمنادى اسم إشارة، ومنه قوله تعالى: ﴿ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾[1].

التقدير: «ثم أنتم يا هؤلاء» فحذفت أداة النداء.

أما البصريون فقد حملوا بيت ذي الرمة على الضرورة، واعربوا «أنتم هؤلاء» مبتدأ وخبر «وزادوا» ان هؤلاء في الآية بمعنى الذين، وجملة تقتلون أنفسكم: صلة له وليس يخفى ما في هذا التخريج من التكلف[2]. وانسجاماً من البصريين مع رأيهم في عدم جواز حذف أداة النداء إذا كان المنادى اسم اشارة: لحنوا المتنبي في قوله[3]:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

٨ ـ اسم الجنس المعيّن (النكرة المقصودة): فقد منع البصريون[4] حذف أداة النداء إذا نودي، كما منعوا حذفها عند نداء اسم الاشارة.

أما الكوفيون فقد أجازوا الحذف كما أجازوا الحذف هناك[5]، واستدلوا بقول بعضهم: «أطرق كرى ان النعامة في القرى»[6]. وهو مثل عربي يضرب لمن يتشامخ ويتكابر، وتواضع من هو أكبر منه، والأصل: أطرق يا كروان، فرخم بحذف آخره، وقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فالتقت ألفان، فحذفت أحداهما لالتقاء الساكنين، وأصبحت الكلمة كرى. وهو نكرة مقصودة

---

(١) سورة البقرة / ٨٥.

(٢) لذا كان هناك من البصريين من لم يقبل هذا تماماً، ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس ١٣٥/٢.
ت: حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٧٩.

(٣) ديوانه بشرح الواحدي، ٥١٦.

(٤) ابن الأنباري، الانصاف، ٢٣٨/١، ولكن البصريين ليسوا مجمعين على ذلك. المبرد، المقتضب ١١٨/٣ ـ ١١٩.

(٥) البغدادي، الخزانة، ٢٤٩/٦ ـ ٢٥٠.

(٦) العكبري، فصل المقال شرح كتاب الأمثال، ت: احسان عباس وعبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٧١، ص؛ ٢٨، والميداني، مجمع الأمثال، ط. الكاثوليكية ١٩١١، ص ٣١٩.

حذفت عند ندائه أداة النداء.

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم: «افتد مخنوق»[1] أي افتد يا مخنوق، وهو مثل عربي يضربونه لمن يقع في شدة يستطيع أن يتخلص منها ببعض التضحية ثم لا يفعل، وقولهم: «أصبح ليل»[2] الأصل يا ليل. وهو مثل يضرب لمن يستبطيء الفرج من الشدة التي يعانيها.

لذا نرى أن مذهب الكوفيين في جواز حذف النداء من كل من اسم الاشارة والنكرة المقصودة هو الأقوم[3].

د ـ حكم المنادى:

المنادى منصوب دائماً لفظاً أو محلاً لأنه في موقع المفعول به، ذلك أن قولك «يا سمير» معناه أنادي سميرا، وقد عبّر عنه سيبويه عن ذلك لقوله: «كل اسم مضاف فيه فهو نصب» على إضمار الفعل المتروك اظهاره[4].

١ ـ ناصب المنادى:

أما ناصبه فهو فعل محذوف وجوباً ناب عنه حرف النداء، وإنما وجب حذف الفعل حتى لا يجمع بين النائب والمنوب عنه، ثم ان النداء إنشاء لا خبر، فهو لا يحتمل الصدق والكذب، ولو ذكر الفعل لأصبحت الجملة خبرية تحتمل الصدق والكذب بينما الجملة الندائية لا تحتملها.

واعتبار المنادى منصوباً بالفعل المحذوف وجوباً هو مذهب سيبويه والمبرّد[5].

---

(١) الواحدي، الوسيط في الأمثال، ت: عفيف عبد الرحمن، الكويت ١٩٧٥، ص ٧٦.
(٢) ابن الأنباري، الزاهر، ١/١٧٧.
(٣) المبرد، المقتضب، ٣/١١٩.
(٤) سيبويه، الكتاب، ٢/١٨٢.
(٥) سيبويه، الكتاب، ٢/١٨٢ ـ ١٨٣، والمبرد، المقتضب ٤/٢٢٨ ـ ٢٢٩، والمبرد، الكامل، ٣/٤٦.

وذهب فريق من العلماء إلى أن المنادى منصوب بأداة النداء التي حلت محل الفعل ودلت على معناه، فعملت عمله، فالأداة عند هذا الفريق هي الناصبة للمنادى وليس الفعل المحذوف[1].

ويرى فريق ثالث أن أدوات النداء أسماء أفعال عاملة وهي بهذا الاعتبار الناصبة للمنادى[2].

٢ ـ متى يُنصب لفظاً ومتى يُنصب محلاً؟

أ ـ يُنصب المنادى لفظاً في ثلاثة مواضع:

١ ـ إذا كان مضافاً مثل: «يا رب العالمين»، «يا سريع الاستجابة»، «يا رسول الله»، «يا ربنا»[3].

٢ ـ إذا كان شبيهاً بالمضاف: وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه كفاعل أو مفعول به مثل: «يا ذكياً فؤاده»، «يا قارئاً كتاباً»، «يا حسناً وجهاً»[4].

٣ ـ النكرة غير المقصودة بالنداء، أي التي بقيت بعد النداء على شيوعها فلم يخرج بها قصد المنادى إلى التحديد، كقول الفقير «يا محسنين»[5] وكقول الشاعر الأسير[6]:

---

(١) ابن مالك، تسهيل الفوائد ٧٦، وشذور الذهب، ١٤٨، وابن السراج الموجز، ١٥١.

(٢) ليس لهذا الرأي اتباع كثيرون، الخضري على شرح ابن عقيل، ٢/٧٣، وذكر سيبويه، ١/٨٢ ـ ١٨٣، ان شيخه الخليل، كان يرى النصب لطول الكلام، لكنه أجاز أن يكون النصب على تقدير أعني.

(٣) خلف الأحمر، مقدمة في النحو منسوبة إليه ص ٧٥، ابن هشام، شرح قطر الندى، ص ٣٠٢، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٢٧٨، القاهرة ١٩٧٣.

(٤) الزبيدي، الواضح في علم العربية ت: أحمد علي السيد القاهرة ١٩٧١ ص ١٢٧، والأشموني ٣/١٣٨، والسيوطي في همع الهوامع ١/١٧٣، وخالد الأزهري في شرح التصريح ٢/١٦٨، ط: الأزهرية، ١٣٢٥.

(٥) شرح عمدة الحافظ، ٢٧٨.

(٦) الحماسة الشجرية، ٢/٣٨، ونقائض جرير والفرزدق، ١/٨٤٥.

فيـــا راكبـاً امّـــا عـرضت فبلغن نـدامـاي من نجـران الا تـلاقيـا

فإنه لم يرد راكباً معيناً، وإنما أراد أي راكب يمكن أن يحمل شكواه إلى نداماه، يقول الفراء: «النكرة المقصودة المـوصوفـة المناداة تؤثـر العرب نصبها»[1].

ب ـ وينصب محلّاً إذا كان مفرداً[2] وذلك في موضعين[3]:

١ ـ إذا كان مفرداً علماً مثل: يا محمد ـ يا خالد ـ يا يـوسف، يا فؤاد ـ يـا خليل. . . الخ.

٢ ـ إذا كان نكرة مقصودة بالنداء، والنكرة المقصودة بالنداء هي التي يخرج بهـا قصد المتكلم من الشيـوع إلى التحديـد فتكتسب من قصد المنـادى إليها التعريف وذلك مثل كلمة رجل في قول الشاعر:

قـالت هريـرة لما جئت زائـرهـا ويلي عليك وويلي منك يـا رجل

شروح:

١ ـ قلنا ان الشبيه بالمضاف هو ما اتصل به شيء من تمـام معناه، وعـلى هذا الأساس فأنه يدخل في بابه ما كان في الأصل معطوفاً ومعـطوفاً عليـه وأداة عطف إذا أطلقت كلها مجتمعة على مسمى واحد.

فإذا سميّ انسان مثلاً: «بخمسة وستين» ونودي فانه ينصب بـاعتبار أنـه من باب الشبيه بالمضاف لأن المعطوف هنا والمعـطوف عليه وواو العـطف أصبحت في الاستعمال الجديد تطلق مجتمعة على حقيقة واحدة.

(١) الـزبيدي، الـواضح في علم العـربية ١٢١، وشرح التصريـح ١٦٨/٢، وشرح عمدة الحـافظ ٢٧٨.

(٢) المفرد في باب النداء ما ليس مضافاً ولا شبيهـاً بالمضـاف. وعليه فـان الأسماء التـالية: كـاتب، كاتبان، كاتبون، كاتبات، كواتب، تعتبر كلها مفردات في باب النداء.

(٣) ابن هشام، شرح قطر الندى ٢٠٣ ـ ٢٠٤، الزجاج، الأصول، ٢٤٨/١ ـ ٢٥٠.

وألغيت بهذا الاطلاق الجديد دلالتها السابقة، ولم يعد يدل جزء منها على معنى مستقل. فكأنها أصبحت في استعمالها الجديد حروفاً في كلمة مفردة ليس لحرف منها منفرداً دلالة على جزء من مفهوم هذه الكلمة بينما تدل الحروف مجتمعة على المسمى. وعلى هذا الأساس فان «خمسة وستين» المسمى به إذا نودي وجب نصبه بخلاف ما إذا نوديت جماعة عدتها خمسة وستون فانه عند النداء يبني «خمسة» على الضم، ويرفع «ستون» على اللفظ أو ينصب على المحل، لأن كلا من المعطوف والمعطوف عليه وحرف النداء باق في هذا الحال على حقيقته المغايرة لحقيقة كل من قرينيه، وليس الأمر كذلك حين يطلق الجميع على حقيقة واحدة[1].

٢ ـ يلتقي المضاف والشبيه بالمضاف في الوجوه الثلاثة التالية:

أ ـ إن الأول في كل منهما عامل في الثاني بصرف النظر عن وجه العمل، إذ المهم أصل العمل لا جهته، فقولك: «عبد الله» و«طالع جبلاً» ترى فيه أن «عبد» عمل في لفظ الجلالة الجر بالإضافة. وان «طالع» عمل في جبل النصب على المفعولية. فالأول في كل من المضاف والشبيه بالمضاف كما هو ظاهر عمل في الثاني وان اختلف وجه العمل.

ب ـ ان الأول في كل منهما يتخصص بالثاني، فالمضاف يتخصص بالمضاف إليه: والقسم الأول من الشبيه بالمضاف يتخصص بالقسم الثاني، ونظرة إلى المثالين المذكورين توضح هذا التخصيص.

جـ ـ ان الثاني في كل منهما من تمام الأول، ولما وجدت وجوه الشبه الثلاثة هذه بين المضاف والشبيه بالمضاف سمي الشبيه بالمضاف باسمه[2].

---

(١) ابن مالك، تسهيل الفوائد ١١٨ ـ ١١٩، وابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٠، وابن هشام في مغني اللبيب ٣٦٧ ـ ٣٦٨، السيوطي في شرح الفريدة ١/١٣٦، بغداد ١٩٧٧، ابن هشام، شذور الذهب ٩٧. ابن هشام شرح قطر الندى ٢٠٣ ـ ٢٠٥. وللزبيدي رأي «يختلف بعض اختلاف عما هنا، الواضح له ص ١٢٨.

(٢) الأشموني على ابن مالك ٣/٢٨، وهناك وجه آخر للقضية أورده السيوطي في شرح الفريدة ١/١٣٧ ـ ١٣٨.

٣ ـ إذا أريد نداء المعرفة فانها تنكر قبل النداء حتى لا يجتمع معرفان على معرّف واحد: (المعرف الأول قبل النداء والثاني الذي اكتسب بعد النداء) فيصبح المعرّف الوحيد حرف النداء. فإذا هي نوديت اكتسبت تعريفاً جديداً من النداء[1]. هذا رأي المبرد وهو الصواب[2].

وعليه فان النكرة المقصودة والمعرفة تلتقيان في اكتساب التعريف من النداء. وابن السرّاج يرى أن تعريف المعرفة لا يذهب إذا أريد نداؤها لأن من الأسماء ما لم يطلق في الاستعمال إلا على فرد واحد مثل اسم «الفرزدق»[3]. وافتراض تنكيره يقتضي اعتباره فرداً من أمة يطلق هذا الاسم على كل من أفرادها، وهو ما يخالف الواقع.

وقول ابن السرّاج هذا ليس بلازم، إذ ليس هناك مانع يمنع من اطلاق اسم الفرزدق على أكثر من واحد.

فالمشاركة في هذا الاسم وان لم تكن حاصلة بالفعل فهي حاصلة بالقوة، ووجود المشاركة بالقوة كافٍ لجواز سلب التعريف منه كالشمس والقمر مثلاً، فانه ليس هناك إلا شمس واحدة وقمر واحد، وكل منهما يعرّف بأل الجنسية وإذا نزعت منهما «أل» صارتا نكرتين، إذ لا مانع يمنع من أن تتعلق القدرة الالهية بإيجاد شموس وأقمار غير الشمس والقمر الموجودين. وعلى هذا فتعداد الشمس والقمر حادث بالقوة[4].

مما تقدم نتبين أن الصواب ما ذهب إليه المبرد من تنكير المعرفة إذا أريد نداؤها، وتصير في هذا كالعلم حين تراد اضافته، فانه يسلب العلمية ويصبح نكرة، فإذا أضيف اكتسب من الإضافة تعريفاً جديداً.

---

(١) الزبيدي: الواضح في علم العربية، ١٢٩.

(٢) المبرد: المقتضب ٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨، والمذكر والمؤنث له ٧٧، والكامل له ٣/٩٩.

(٣) ابن السرّاج، الموجز في النحو ١١٥.

(٤) يورد المبرد هذا التفصيل في المقتضب ٢/٢٤٨، والكامل ٣/١٠٠، لكن النقاش يستمر عند السيوطي في شرح الفريدة ١/١٣٨، وابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٧٩.

٤ ـ ان المنادى المفرد (غير المثنى وغير المجموع جمعاً مذكراً سالماً) يُبنى على الضم إذا كان معرفة أو نكرة مقصودة ويكون في محل نصب[1]. والدليل على بنائه لفظاً وعلى نصبه محلاً في اللفظ: حذف تنوينه، إذ لا مقتضى لهذا الحذف إلا كونه مبنياً، ولا عبرة بقول من ادعى أنه مرفوع بغير تنوين[2]، إذ لا وجه لحذف تنوينه مع رفعه. ولا عبرة أيضاً بقول من زعم أنه مبنيّ على الضم ولا محل له[3]، لأنه لو كان لهذا الرأي من الصحة نصيب لما جاز في تابعه إلا الرفع، وهذا غير الواقع، ولا قيمة لدعوى القائلين: انه بين المعرب والمبني[4]، لأنها دعوى يعوزها الدليل.

ودليل نصبه محلاً كون تابعه يجوز نصبه مثل: «يا محمد الفاضلُ والفاضلَ» و«يا محمدُ الكريمُ والكريمَ».

ومن ذلك قول الشاعر[5]:

ألا يا قيس والضحاكُ (كَ) سيرا فقد جاوزتما خمر الطريق

فقد روي بنصب «الضحاك» على محل المنادى، كما روي برفعه تبعاً للفظ المنادى ولولا أن المنادى المفرد المعرفة وهو قيس في محل نصب لما كان هنالك وجه لنصب نعته ولا لنصب ما عطف عليه.

٥ ـ هناك تساؤل: لماذا بني المنادى المفرد المعرفة والنكرة المقصودة؟ ولماذا كان بناؤه على حركة، ولماذا كانت الحركة هي الضمة خاصة؟ يجاب عن هذا التساؤل بما يلي:

---

(١) ابن يعيش، المفصل ٢٨/٣، والأشموني ٢٣٣/٢، وابن عقيل ٣٢/٢، والسيوطي: شرح شواهد المغني، ط. القاهرة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤، ص ٤٠٣، وأوضح المسالك ٥/٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٨٦/٢. ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٩١.

(٣) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٩٢ الزبيدي، الواضح ١٤٩.

(٤) المبرد في المقتضب ٨٨/٣.

(٥) ابن يعيش في المفصل ٦/٢، والبغدادي في خزانة الأدب ٣٢١/٦، وابن الشجري في الأمالي الشجرية ٣٨٣/١.

أولاً: ان المنادى وان كان اسماً متمكناً أي معرباً: الا أنه خرج عن بابه بحلوله محل الاسم غير المتمكن: وهو الضمير[1].

وبيان ذلك: أن النداء خطاب، والخطاب حق الضمير ومكانه ومقامه، أما الأسماء الظاهرة فانها تساق مساق الغيبة لا الحضور، فالمخبر عن نجاح محمد وفوز محمود وسفر سعد يقول: نجح محمد، وفاز محمود، وسافر سعد. ولو كانوا حاضرين وأراد أن يحدث كلاً منهم عن نفسه لوجه الخطاب إلى كل منهم فقال لمحمد: نجحت، ولمحمود فزت، ولسعد: سافرت.

ولما كان النداء حال خطاب، وكان المنادى مخاطباً، فان حقه أن يكون ضميراً لا اسماً ظاهراً، غير أنهم عدلوا في النداء عن استعمال الضمير مع أن النداء حقّه، وان الضمير موضعه كما سبق، وأحلوا الظاهر مكانه مع أن مكان الظاهر هو الغيبة لا الحضور كما سبق، لأن المنادى قد لا ينتبه إذا نودي بضميره لا باسمه الظاهر، لغفلة أو ذهول أو بعد[2]، ومن أجل هذا أحلّوا اسمه الظاهر في النداء محل ضميره تحاشياً لعدم تنبهه. وبهذا حل الاسم الظاهر المعرب المتمكن محل الضمير المبني فأعطي حكمه وهو البناء[3].

ولقد ورد قليلاً جداً على شذوذ نداء ضمير المخاطب كما في قول الشاعر[4]:

يا أبجرُ بن أبجرٍ يا أنت   أنت الذي طلقت عام جعتا

---

(١) السيرافي، شرح السيرافي على كتاب سيبويه ٢/٤٦٦، الزجاج في الأصول ٢٣٨، غير أن لابن السراج في الموجز تعليلاً مختلفاً ص ٢١٣.

(٢) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ص ٢٨٨، وللسيوطي في شرح الفريدة رأى آخر ص ٦١٤، ويبدو أن القضية كانت خلافية منذ وقت مبكر، خلف الأحمر في المقدمة المنسوبة له ص ٧٦ - ٧٨.

(٣) الزمخشري، المقاصد النحوية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ. ٤/٢٧٧، وابن عصفور في المقرب، بغداد ١٩٧٤، ١/١٧٧، الدسوقي، حاشيته على المغني، القاهرة ١٣٦١ هـ ٢/٦٤١.

(٤) الرجز لسالم بن درة، البغدادي، في الخزانة ٦/٢١٨، والآمدي في المؤتلف والمختلف، القاهرة ١٩٧١ ص ١٦٦. والأصفهاني أبو الفرج في الأغاني ٢١/٢٣٠، وينسبه العيني في المقاصد النحوية ٤/٢٣٢ للأحوص (ديوانه ٣١٤).

فإذا قال قائل: ان حلول المنادى الظاهر محل الضمير ينطبق على المبني كما ينطبق على المعرب: فلماذا أعرب بعض أقسام المنادى وهو المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة؟

جواب ذلك: أن المنادى المعرب لا يفيد من النداء تعريفاً ولا تخصيصاً كما هو الحال في المنادى المبني[1].

وبيان ذلك أن المنادى المبني يكتسب من النداء التعريف سواء أكان معرفة قبل النداء أو كان نكرة مقصودة كما سبق توضيحه.

أما المنادى المعرب فإنه ان كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف فان تعريفه أو تخصيصه ناشيء من الإضافة أو شبهها، وهما موجودان قبل النداء، ومع النداء فلم يفدهما النداء تعريفاً ولا تخصيصاً ولم يتأثر به أي تأثر معنوي.

وان كان المنادى نكرة غير مقصودة فانها باقية بعد النداء على تنكيرها فلم تتأثر بالنداء تأثراً معنوياً.

ولما كان النداء عاجزاً عن التأثر المعنوي في المضاف والشبيه بالمضاف والنكرة غير المقصودة فانه غدا عاجزاً عن أن يؤثر في أي منها تأثيراً لفظياً[2].

وهنا يقال: ان لبناء المنادى علتين اثنتين هما[3]:

١ ـ حلوله محل غير المتمكن وهو ضمير المخاطب.
٢ ـ تأثره بالنداء تأثراً معنوياً باكتسابه التعريف منه.

ولما كانت العلتان مجتمعتين في المنادى المفرد المعرفة، وفي المنادى النكرة

---

(١) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ، ٣٠٠ ـ ٣٠٢، الدرر اللوامع ١/ ١٢٠، وأوضح المسالك ٣/ ٧٢، والأشموني ٣/ ١٣٥.

(٢) ابن الأنباري في الانصاف، ١/ ٣٤١، وأسرار العربية، ط. دمشق ص ٢٣٢، وأوضح المسالك ٣/ ٨٤، وابن يعيش في المفصل ١/ ١٢٧.

(٣) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٧٧، وابن هشام في شذور الذهب، ١٣١، وشرح قطر الندى ٢١٣ والسيوطي في همع الهوامع ٢/ ١١، وشرح الفريدة ١/ ٣١٣.

المقصودة بُنيا.

ولما كان المنادى المعرب بأقسامه الثلاثة ليس فيه إلاّ علة واحدة من العلتين المذكورتين الواجب توافرهما معاً لبناء المنادى فانه يبقى معرباً (وهو حلوله محل غير المتمكن).

ثانياً: لماذا بني المنادى المفرد على حركة؟

بُني المنادى المفرد على حركة: للفرق بينه وبين ما هو في الأصل غير متمكن، إذ انه مبني بناء عارضاً للنداء، فأثر أن يكون بناؤه على حركة لتكون حركة بنائه إشارة إلى ما كان عليه في الأصل من الاعراب، إذ الأصل في الاعراب الحركة، والأصل في البناء السكون[1].

ثالثاً: لماذا اختيرت الضمة لتكون حركة بناء؟

اختيرت الضمة لتكون حركة بناء المنادى المفرد المذكر لسببين[2]:

أ - ان المنادى يشبه أسماء الغايات مثل: قبل وبعد، وهما تعربان ان كانتا نكرتين أو مضافتين، تقول: جئت قبلاً وبعداً، وجئت قبل الصلاة وبعدها، وتبنيان على الضم في غير ذلك مثل قوله تعالى: ﴿لله الأمّر من قبلُ ومن بعدُ﴾[3].
فلما أشبهها المنادى أعطي حكمها، فأعرب مضافاً ومنكراً، وبني على الضم مجرداً من الإضافة وشبهها ومن التنكير.

ب - ان المنادى إذا كان نكرة غير مقصودة أو كان مضافاً لاسم ظاهر، أو كان مضافاً لضمير الغائب مثل: عبد الله، وصديقه، ويا محسنين، فانه في هذه الحالات يفتح آخره.

---

(١) الزبيدي في الواضح ٤١٤، الزجاج في الأصول ١/١٦٨.

(٢) ابن مالك في تسهيل الفوائد ٢٧٧، والزمخشري في المقاصد النحوية ٤/٢٤٠، والأشموني في شرحه ٣٨/٤٣، والسيوطي في همع الهوامع ١/١٧٣.

(٣) سورة الروم / ٤.

وإذا أضيف إلى ضمير المتكلم فانه يكسر آخره.

وهو معرب في كل هذه الأحوال.

ولما كان الكسر والفتح يعرضان لآخر المنادى في حال اعرابه فانه لم يبق من الحركات إلا ضمة، فأعطيت له حال بنائه.

٦ ـ المنادى تارة ينصب على اللفظ وتارة مبني على ما يرفع به لو كان معرباً، وهنالك منادى يجوز فيه الضم والفتح، ومنادى يجوز فيه الرفع والنصب[١].

فالمنادى الذي يتعاقب عليه الضم والفتح:

أولاً: العلم المفرد الموصوف بابن أو ابنة مفرد متصل به مضاف لعلم (اسم، كنية، لقب)[٢].

مثل: يا محمدُ بنَ زيدٍ، ويا هندُ ابنةَ علي، يُرى في كل من المثالين تحقق الشروط الآنف ذكرها، فالمنادى علم مفردٌ، ووصفه ابنٌ أو ابنةٌ مفرد غير مثنى ولا مجموع متصل به، مضاف إلى علم.

ومن هذا قول رؤبة[٣]:

يا حكمَ بنَ المنذر بنِ الجارود...

في هذه الحال: يجب نصب النعت لأنه مضاف إضافة محضة، أما المنادى فانه

---

(١) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٧٩: «ولتابع المنادى الذي كمرفوع ان كان مفرداً الرفع والنصب ما لم يكن بدلاً أو معطوفاً بحرفٍ عارياً من (أل) وان أضيف تابع المنادى وجب نصبه مطلقاً ما لم يكن كالحسن الوجه تابعاً لمضموم..».

(٢) المصدر نفسه ٢٧٩ ـ ٢٨٠، ولتعليل القضية وجهٌ آخر عند الزجاج في الأصول ١/١٦٩، وابن يعيش، ٣/٨٦، لكن يبدو أن توجه ابن مالك هو الأحرى بالقبول.

(٣) صدر بيت عجزه: سرادق المجد عليك ممدود. وينسبه سيبويه إلى أحمد بن الجرماز، الكتاب ٢/٢٠٣، وملحقات ديوان رؤبة ٧٢ وابن يعيش ٢/٧، والعيني في المقاصد النحوية ٤/٢١٠. والأشموني ١/١٤٢.
واللسان (سردق). والأزهري في شرح التصريح على التوضيح ٢/١٦٩.

يجوز فيه البناء على الضم على الأصل ويجوز فيه الفتح اتباعاً لحركة ابن وابنة[1].

وهذا الايقاع يخالف الأصل لأن الموصوف يتبع الصفة في حركته. والأصل أن تتبع الصفة الموصوف لا العكس.

وانما جاز هذا لما بين الصفة وموصوفها من صلة وثيقة تجعلهما كأنهما كلمة واحدة، يؤيد وثاقه هذه الصلة وقوتهاما بين الوصف وموصوفه: دخول الفاء على خبر أن في قوله تعالى: ﴿قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم﴾[2].

وجه الاستدلال في هذه الآية أن خبر أن لا تدخل عليه الفاء، بينما الموصول يأوز أن تدخل الفاء على خبره. فلما وصف اسم أن في الآية باسم الموصول.

ولما كانت الصفة وموصوفها كالكلمة الواحدة: أعطى خبر اسم ان الموصوف بالاسم الموصول حكم الموصول فأدخلت الفاء على خبره.

ولشدة الاتصال هذا بين الوصف وموصوفه، اتبعوا حركة المنادى لحركة وصفه. كما اتبعوا حركة الراء في امرىءٍ لحركة الهمز وحركة النون في ابنم للميم[3].

ومع أن الوصف مع الموصوف كالكلمة الواحدة. فان الابن والابنة لا ينفك أحدهما عن الاضافة للأب أو الأم. ثم ان ورودهما وصفين للأب أو الأمّ يكثر في الاستعمال جداً. ولهذا أجازوا له ما لم يجيزوا في سواه. فحذفوا تنوين موصوفه وألف الابن والابنة. واتبعوا حركة الموصوف لحركة النعت على خلاف الأصل. ولم يقتصروا في ذلك على النداء. بل أجروه في سواه. فقالوا هذا خالدُ بنُ يزيد. فحذفوا التنوين. وحذفوا ألف ابن. وليس التنوين ساقطاً لالتقاء الساكنين كما يزعم بعض النحاة. بدليل أنهم يجرون هذا العمل إذا كان الوصف ببنت مثل:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢/٢٠٣ ـ ٢٠٤، الزجاج في الأصول ١/٦١١، وابن السراج في الموجز ١١٢، والسيوطي في الفريدة ١/١٦٨، وهناك وجهة نظر معدلة أوردها ابن مالك في عمدة الحافظ ٢٧٩، وتسهيل الفوائد ١٨٢ ـ ١٨٣، وابن هشام في شرح قطر الندى، ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) سورة الجمعة / ٨.

(٣) ابن هشام في مغني اللبيب ٤٥٨، والشلوبين في التوطئة ٤٧، والسيوطي في الاقتراح ١١٨.

حضرت هند بنتُ علي. بحذف تنوين هند وحذف التنوين من الموصوف لا يُعْدَلُ عنه إلا في ضرورة الشعر، فإذا عُدل عن الحذف للضرورة ونون الموصوف أثبتت ألف ابن وابنة[1]، ومن ذلك قول الشاعر[2]:

جارية من قيسٍ ابن ثعلبة كأنها حلية سيف مذهبة

وقول الشاعر[3]:

فالّا يكن مالٌ يثاب فانه سيأتي ثنائي زيداً ابن مهلهل

حيث قرن الموصوف بابن وهو: قيس في البيت الأول، وزيد في البيت الثاني. فثبتت ألف ابن خطأ. وهذا مقصور على ضرورة الشعر.

ولو أننا أعربنا التابع وهو: ابن في كل من البيتين بدلاً لخرجنا بالبيتين عن ضيق الضرورة.

وقول الله تعالى: ﴿وقالت اليهود عزيرٌ بن الله﴾[4].

في قراءة من حذف التنوين تحمل على أن التنوين قد حذف تخلصاً من التقاء الساكنين. كما حذف التنوين للتخلص من التقاء الساكنين في قراءة: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾[5] وقراءة: ﴿قل هو الله أحد﴾[6]، ومن ذلك قول الشاعر[7]:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا

---

(1) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٤، وتسهيل الفوائد ١٨٢، وخلف الأحمر في المقدمة المنسوبة له ٧٨، وسيبويه في الكتاب ٢/٢٠٥ - ٢٠٦، وابن جني في المنصف شرح تصريف المازني، ط، القاهرة ٣/١٦، والبغدادي في خزانة الأدب، ٦/٢١١ - ٢١٢.

(2) البيت في الأعلم الشنتمري على سيبويه ٢/١٤٨، وابن يعيش على المفصل ٢/٦، والبغدادي في الخزانة ٦/٢١٣، والمبرد في المقتضب ٢/٣١٥، وابن جني في الخصائص ٢/٤٩١.

(3) الآمدي في المؤتلف والمختلف، ط، القاهرة ١٩٧١ ص ٣١٨، وابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/٦١٢، ط، دار المعارف ١٩٦٤.

(4) سورة التوبة / ٣٠.

(5) سورة يس / ٤٠.

(6) سورة الصمد / ١.

(7) البيت في اللسان (عتب)، وابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس، ت، حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٧٩، ٢/٢٥٨. والأزهري في التصريح ٣/١٧٩.

حيث حذف التنوين في ذاكر من هذا المثل للتخلص من التقاء الساكنين.

ونكرر القول: ان المنادى يجوز أن يتعاوره الضم والفتح إذا كان علماً مفرداً (غير مثنى ولا مجموع ولا مضاف) موصوفاً بابن أو ابنة مفرد (غير مثنى ولا مجموع) متصل به مضاف إلى علم. فإذا فقد شرط من هذه الشروط لم يجز اتباع حركة المنادى لحركة وصفه كما إذا قلت: يا محمد الفاضل بن عليّ، لأن الوصف لم يتصل بالموصوف كما إذا قلت: (يا رجلُ بن رجل) وذلك لأن المنادى ليس علماً. وكما إذا قلت: (يا طالب العلم ابن محمد) لأن المنادى ليس علماً. وكما إذا قلت: (يا محمد ان ابني فلان). لأن المنادى مثنى وليس مفرداً. ولأن ابني مثنى وليس مفرداً. وكذلك إذا قلت: (يا زينب بنت محمد) لأن الوصف بنت وليس ابنة.

ثانياً[1]: والموضع الثاني الذي يجوز فيه الضم والفتح أن يكون المنادى علماً مفرداً ويتكرر مضافاً. مثل قول الشاعر[2]:

أيا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصراً ويا سعدُ سعدَ الخزرجين العظارف

فالمنادى مفرد علم وهو: سعد وقد كرّر وأضيف مكرره بسعد الأوس وسعد الخزرجين. هنا يتعين نصب التابع لإضافته. أما المنادى فيجوز فيه الضم ويجوز فيه الفتح. وبعض العلماء يجوزون الوجهين إذا كان المنادى اسم جنس أو مشتقاً مفرداً وتكرر مضافاً. فلا يقصر على العلم.

وعلى هذا يجوز الفتح والضمّ عند هذا الفريق: مثل: يا رجلُ رجل الخير، ويا طالبُ طالب المجد.

أما التابع فواجب النصب لإضافته، وإذ أنت ضممت المنادى فان تابعه يعرب بدلاً أو عطف بيان على المحل، ولك أن تعربه منادى بأداة نداء محذوفة،

---

(١) خلف الأحمر، المقدمة ٧٤ ـ ٧٥، وسيبويه، الكتاب ٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧، والزجاج في الأصول ١/٤١٨ ـ ٤١٩.

(٢) ابن هشام في السيرة النبوية ٢/٢٣٨.

وأن تعربه مفعولاً به لفعل محذوف.

وإذا فتحت المنادى فإنه لك أن تعربه مضافاً بمثـل ما أضيف إليـه الثاني وأن المضاف إليه قد حذف اكتفاء بذكر ما يدل عليه بعد.

ولك أن تعربه مضافاً إلى المضاف إليه المذكـور وان الاسم المكرر مقحم بـين المضاف والمضاف إليه، وفتحته فتحة اتباع لحركة المنادى، ولك أن تعرب اللفظين مركبين تركيباً مزجياً. وحينئذ تكون الفتحة للبناء، ولك أن تعرب الثـاني توكيـداً لفظياً للأول حذف تنوينه للمشاكلة[1].

قال ابن مالك[2]:

في نحـو سعـدَ سعـدُ الأوس ينتصب　　ثـان وضـم وأفـتـح أولاً تـصـب

٧ ـ إذا تكرر المنادى العلم المفرد ولم يضف الثاني مثل[3]:

يا سعدُ سعدُ. فانـه يجب ضم المنادى. أمـا مكرره فـإنه يجـوز ضمه بـدلاً. ويجوز رفعه ونصبه توكيداً لفظياً على محل المنادى أو لفظه مثل قول الراجز:

إني واسـطارٍ سـطرن سـطراً　　لـقـائـل يـا نصرُ نصرُ نصراً

نصر المنـادى مبني على الضم. ونصر الثـانية: يجـوز بناؤهـا على الضم بـدلاً ويجوز رفعها على لفظ المنادى توكيداً لفظياً. ويجوز نصبها على المحل توكيداً لفظياً

(١) أورد هذه الاحتمالات الاعرابية ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٣، والأزهـري في التصريح ٢/١٧١، والسيـوطي في همع الهـوامع ١/١٧٧، وابن عقيـل على ألفيـة ابن مـالـك ٢/٢١٣، والأشموني على ابن مالك ٣/١٥٤: «وان فتحته فثلاثة مذاهب، أحدها ـ وهو مذهب سيبويه ـ أنه منادى مضـاف إلى بعد الثـاني والثاني: مقحم بـين المضاف والمضـاف إليه، وعـلى هذا قـال بعضهم: يكون نصب الثاني على التوكيد، وثانيها ـ وهو مذهب المبرد ـ أنـه مضاف إلى محـذوف دلّ عليه الآخر. والثاني مضاف إلى الآخر ونصبه على الأوجه الخمسة. وثالثـة لها: أن الاسمـين ركبّا تركيب خمسة عشر ففتحتهما فتحة بناء لا فتحة اعراب، ومجمـوعهما منـادى مضاف ـ وهـذا مذهب الأعلم...».

(٢) ابن مالك: الألفية ١٣.

(٣) ابن هشام: شرح قطر الندى، ٢١٣.

أيضاً. ونصرا الأخيرة لك أن تعربها توكيداً لفظياً على المحل. ولك أن تعربها مفعولاً مطلقاً.

٨ ـ أما المنادى الذي يجوز أن يتعاقب عليه الضم والنصب فهو المنادى المستحق للبناء على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه[١]. كقول الشاعر:

سلام الله يا مطرٌ عليها وليس عليك يا مطرُ السلام

وقول الشاعر[٢]:

لا تهجني يا حميدٌ ان لي فتكة الليث إذا الليث غضب

نرى أن المنادى العلم المفرد المستحق للبناء على الضم وهو مطرٌ في الشطر الأول وحميد في البيت الثاني قد نونهما الشاعر اضطراراً.

فالتنوين هنا اضطراري. وهما مضمومان والتنوين زائد.

على أنه قد ورد مثل هذا المنادى الواجب بناؤه على الضم منوناً منصوباً وليس هناك وجه لنصبه مثل قول الشاعر[٣]:

أعبدا حل في شعبا غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا

حيث نصب المنادى النكرة المقصودة وهو عبد. وهو من الممكن أن يجعل من باب الشبيه بالمضاف. فلا يكون فيه خروج على أحكام المنادى. إذ ان جملة حلّ في شعبا صفة لعبد في محل نصب. وإذا كان هذا الشاهد قد حُملَ على قواعد النداء المطروحة فان مما لا محمل له على وجه مقبول قول الشاعر[٤]:

حسبنا منك يا عليا أيادٍ يتغنى بها الزمان نشيدا

---

(١) السيوطي في همع الهوامع ١/١٧٦، والمبرد في المقتضب ٢/٣١٥، والأزهري في شرح التصريح ٢/١٧٠.
(٢) راجع الشواهد لهارون ٣٤٨.
(٣) السيوطي في شرح الفريدة ١/٥١٤، والأشموني ٢/٣٠٨.
(٤) عباس حسن في النحو الوافي، ٣/٢٨١.

هـ ـ دخول «أل» على المنادى:

تدخل «أل» على المنادى في المواضع التالية فقط[1]:

١ ـ لفظ الجلالة: يا الله.

٢ ـ الجمل المحكية كما إذا سمي شخص: الناجح خالد، فإذا أصبحت هذه الجملة علماً على مسمّى فان لك أن تناديه بادخال أداة النداء على «أل» فتقول: يا الناجحُ خالد. فهو حينئذ مبني على ضم مقدر على آخره مع ظهور حركة الحكاية.

٣ ـ اسم الجنس المشبه به مثل: يا الأديب كتابة، ويا الخطيب فصاحة، يا الصخرة قوة.

٤ ـ ضرورة الشعر كقول الشاعر:

فيا الغلامان اللذان فرّا   إيّاكما أن تعقبانا شرّا

و ـ تابع المنادى وأحكامه:

١ ـ حكم تابع المنادى المنصوب لفظاً:

إذا كان المنادى منصوباً في اللفظ، فان تابعه يُعْطى الحكم الذي يستحقه لو كان هذا المنادى، وذلك في حالتين اثنتين:

الأولى[2]: أن يكون التابع بدلاً مثل: يا أبا حفصٍ عمرُ، ويا أبا حفص أبا زيد. الأول يجب بناؤه على الضم، والثاني يجب نصبه إذا أعربا بدلين لأن هذا

---

(١) ابن مالك، شرح عمدة الحافظ ٢٩٠ ومن بعدها، وتسهيل الفوائد ١٨٧ وما بعدها، وابن هشام في شذور الذهب ١٤٩ وما بعدها، وشرح قطر الندى ٢٣٥ وما بعدها، والأشموني ٣٣٧/٣ وما بعدها، وابن السرّاج في الموجز ٨٩، والزجاج في الأصول ٥١٢/١.

(٢) ابن مالك شرح عمدة الحافظ ٢٧٩ ـ ٢٨٠، سيبويه، الكتاب ١٨٥/٢ وما بعدها والزجاج في الأصول ٦١٧/٢ وما بعدها، وابن السراج في الموجز ٢١٩ وما بعدها، والسيوطي في شرح الفريد ٣٤٨/١. والاقتراح ١١٦، والشلوبين في التوطئة ٢١١، والأشموني ٤١١/٣.

هو الحكم الذي يستحقه كل منهما لو كان هو المنادى.

الثانية[1]: أن يكون التابع عطف نسق مجرداً من أل والإضافة مثل: يا أبا عبد الله محمد. يجب رفع التابع هنا، لأن هذا هو الحكم الذي يستحقه لو كان هو المنادى وسبب ذلك أن البدل على نية تكرار العامل. وأن عطف النسق يقوم فيه حرف العطف مقام العامل. وهذا هو رأي أكثر النحويين. وهناك فريق من النحاة يرى عدم التزام هذا الحكم. ويقول: لا مانع من نصب التابع بدلاً أو عطف نسق مفرداً مجرداً من أل[2].

أما في غير هاتين الحالتين فان التابع يجب نصبه باجماع النحويين، وذلك بأن يكون نعتاً أو توكيداً أو عطف بيان، سواء كان كل منها مفرداً مثل: يا طالب العلم الكريمَ، ويا طلاب العلم أجمعين، ويا طلاب العلم الرجالَ، أو كان غير مفرد مثل: يا أخا محمد المهذبَ الخلق، ويا طلاب العلم جميعكم وجميعهم، أو أن يكون عطف نسق مضافاً مثل: يا طالب العلم وطالب المال[3]. أو مفرداً فيه أل مثل: يا طالب المال والغنى، في هذه كلها يجب نصب التابع.

٢ ـ حكم تابع المنادى المجرور لفظاً وهو المستغاث به[4]:

يجب جر تابعه مراعاة للفظه على الرأي الأغلب عند النحويين كما إذا قلت: يا لَطلابِ العلم الكرماءِ المكروبين، فان التابع هنا وهو جر النصب واجب الجر عند أكثر النحاة. ويرى فريق من العلماء جواز نصب التابع هنا على المحل لأن المستغاث به وإن كان مجروراً لفظاً إلاّ أنه في محل المفعول به، فهو منصوب محلاً.

---

(١) المصادر السابقة بالإضافة إلى ابن هشام في شذور الذهب ١٤٦ وما بعدها، وقطر الندى ٢٠٩، وما بعدها، ومغني اللبيب ٣١٧، وما بعدها.

(٢) المبرد في المقتضب: ١٨/٣، وابن عصفور في المقرب ٦٧/٢.

(٣) العيني في المقاصد النحوية ٢٣٩/٤، والأشموني ٢٥٣/٣.

(٤) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٦، وما بعدها، والأزهري في شرح التصريح ١٨١/٢، وأوضح المسالك ٩٦/٣. ابن هشام في شرح قطر الندى ٢١٣.

٣ ـ حكم تابع المنادى المبني:

ينقسم تابع المنادى المبني من حيث حكمه إلى أربعة أقسام[١]:

أ ـ ما يعطى الحكم الذي يستحقه لو كان هو المنادى، وذلك إذا كان بدلاً مثل: يا محمدُ خالدُ (بدل غلط) يجب بناء البدل على الضم. أو كان عطف نسق مفرداً مجرداً من أل مثل: يا محمدُ وخالدُ.

وتعليل ذلك ما سبق بيانه لدى التكلم عن تابع المنادى المنصوب لفظاً ومخالفة بعض العلماء هناك قائمة هنا أيضاً، فهم يجوزون النصب هنا ما جوزوه هناك.

ب ـ ما يجب نصبه وذلك إذا كان مضافاً مجرداً من أل سواء كانت الإضافة محضة وهي التي يستفيد منها المضاف من المضاف إليه التعريف أو التخصيص كما في قولك: يا محمد أبا علي. وكما في قول الشاعر:

أزيدُ أخا ورقاء ان كنت ثائراً ... فقد عرضت أحناء حق فخاصم

وإذا كانت الإضافة غير محضة: وهي التي تفيد مجرد تخفيف اللفظ كما إذا قلت: يا محمدُ محمودُ الخليقة.

وبعض العلماء يشترط لوجوب النصب هنا أن تكون الاضافة محضة، فإذا كانت غير محضة، فان التابع لا يتعين نصبه بل يجوز فيه النصب على المحل والرفع على اللفظ، وعلى هذا الرأي تقول: يا محمدُ محمودَ الخليقة ومحمودُ الخليقة، لأن الاضافة غير محضة على نية الانفصال.

جـ ـ ما يجب رفعه[٢]: وهو نعت أي وأية مطلقاً ونعت اسم الاشارة إذا كان

---

(١) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٣ وما بعدها، والأزهري في شرح التصريح ١٧١/٢، وابن عقيل ٢١٣/٢، والسيوطي في همع الهوامع ١٧٧/١، وشرح الفريدة ٣١٩/١.

(٢) ابن مالك في تسهيل الفوائد ١٨٣، وابن السراج في الموجز ١٩٧، والرضى في شرحه على الشافية حيدر أباد ١٣٦٢ هـ. ٣٣/٤. والسيوطي في شرح شواهد المغني ٧٩٢، وهناك خلاف ◁

اسم الاشارة وسيلة لندائه تقول: يا أيها الرجلُ ويا أيتها الفتاةُ ويا هذا المهذبُ برفع التابع فيها وجوباً.

فإذا لم يكن اسم الاشارة وسيلة لنداء النعت، فان النعت حينئذ يجوز فيه الرفع والنصب، فاذا قال قائل: يا هذا المهذب وقصد إلى أن يكون اسم الاشارة قنطرة لنداء النعت لم يجز الاقتصار على اسم الاشارة وأصبح في مهمته مثل أي وأية، لأنهما قنطرتان لنداء ما بعدهما، ولهذا لم يصح أبداً في النداء الاقتصار عليهما، ووجب رفع نعت اسم الاشارة كما يجب رفع نعت أي وأية.

أما إذا كان اسم الاشارة مقصوداً بالنداء لذاته، وليس وسيلة لنداء نعته، فانه لا يجوز الاقتصار في النداء عليه، ويقال حينئذ: يا هذا ويا هؤلاء. وإذا اتبع بنعت: فان هذا النعت يجوز فيه الرفع على اللفظ والنصب على المحل.

د ـ ما يجوز فيه الرفع والنصب وهو ما يلي[1]:

١ ـ النعت المضاف المحلى بأل مثل: يا محمد الذكيُّ العقل، لأن الاضافة حينئذ تكون غير محضة. وهي كما سبق تأتي لمجرد تخفيف اللفظ، والأصل: يا محمدُ الذكيّ عقله. فهي على نية الانفصال.

٢ ـ المفرد من النعت والتوكيد وعطف البيان سواء كان فيه أل أو مجرداً منها مثل قول الشاعر[2]:

يا حكمُ الوارثُ عن عبد الملك ... ميراث احساب وجود منسفك

حيث روى برفع الوارث على اللفظ ونصبه على المحل، وتقول: يا

في التوجه بين النحويين فيما يتصل بهذه القضية، أوضح المسالك ٣/٨٠، والأزهري في شرح التصريح ٢/١٨١.

(١) الزجاج في الأصول ١/٤٤٩، والمبرد في المقتضب ٤/٢٠٨، والجرجاني في الجمل ٢١، وابن هشام في شرح قطر الندى ٢٠٨.

(٢) ابن هشام في مغني اللبيب ٤١٢، وابن مالك في تسهيل الفوائد ١٧٩، والفراء في معاني القرآن ٢/٤٢٢، وابن يعيش في شرح المفصل ٤/٤٧، والبغدادي في شرح شواهد الشافية ٢٢٨. ط: دار المأمون بدمشق ١٩٧٨ ـ ١٩٨٠.

طلاب أجمعون وأجمعين. ويا محمدُ خالدُ وخالداً: عطف بيان على محمد.

٣ ـ عطف النسق المفرد المحلى بأل. كما في قوله تعالى: ﴿يا جبال أوبي معه والطيرُ﴾[1] قُرىء بنصب الطير على المحل وبرفعه على اللفظ.

هذه هي أحكام تابع المنادى المبني على ما ذهب إليه أغلب النحويين. وهنالك من يرى أن أي تابع لأي منادى يجوز فيه النصب حتى ولو كان تابع أي وأية اللتين لا تستعملان في النداء إلّا قنطرة لنداء ما بعدهما.

وهذا الفريق[2] لا ينازع في أنه إذا جاز عنده في المواطن التي يمنعها سواه، فان الرفع يكون هو الأرجح، فمدّعى هؤلاء هو مجرد جواز النصب في المواطن التي منعه فيها أكثر العلماء.

ز ـ المنادى المبهم[3]:

المنادى إذا كان أياً أو أية أو اسم اشارة جُعل نداؤه واسطة لنداء نعته. فان المنادى حينئذ لا يكتفي به ولا يقتصر عليه، بل يجب اتباعه بنعته، ويجب في نعته الرفع خلافاً للمخالفين له.

ونداء هذه الألفاظ الثلاثة هو الذي يطلق عليه في عرف النحاة: نداء المبهم وهذه الألفاظ الثلاثة يصطلح النحاة على تسميتها بالمنادى المبهم.

وإنما أطلقوا عليها تلك التسمية المتعارفة بينهم لشدة إبهامها ولإحتياج كل منها مع ندائها إلى صفة تجلو إبهامها وتزيل الغموض عنها. لأن النداء وحده غير

---

(١) سورة سبأ / ١٠.

(٢) لهذه القضية مناقشة طويلة في السيرافي على سيبويه ٢/٣١١ ـ ٣١٦، والبغدادي في خزانة الأدب ٦/٤١٨ ـ ٤٢١، والسيوطي في همع الهوامع ١/١٧٦، الدرر اللوامع ١/١٥٣، والأزهري في شرح التصريح ٢/١٦٩، وابن هشام في مغني اللبيب ٤١٣ ـ ٤١٤.

(٣) ابن مالك، شرح عمدة الحافظ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، والأزهري في التصريح ٢/١٨١. أوضح المسالك ٣/٩٦.

كاف في تحقيق هذه الغاية.

وأي وأية لا تكونان كما سبق إلا وسيلة لنداء ما بعدهما.

أما اسم الاشارة فقد يكون مثلهما وسيلة لنداء ما بعده. وقد يكون هو المقصود بالنداء.

وكل من أي وأية واسم الاشارة المتخذ وسيلة لنداء ما بعده يجب وصف كل منها ولا يصح الاقتصار عليها. أما أي وأية فوصف كل منهما يكون أحد لفظين:

١ - إما المعرف بأل الجنسية أصالة.

٢ - وإما اسم الاشارة.

على أن يفصل بين كل منهما وبين وصفه بهاء التنبيه، وأما اسم الاشارة فانه يوصف بما فيه أل الجنسية أصالة.

وإذا وصفت أي وأية باسم الاشارة فلا يصح وصله بكاف الخطاب وأي وأية في النداء يجب إفراد كل منهما ولو كان المنادى غير مفرد.

وأي ينادى بها المذكر وأية ينادى بها المؤنث. والأمثلة على ذلك: ﴿يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم﴾[1] ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾[2]، «يا أيها الطالبان المجدان، يا أيتها الطالبتان المهذبتان، يا أيها الرجال الفضلاء، يا أيتها الفتيات الكرائم».

يا أيهذا الرجل، يا أيتهذه الفتاة، يا هذا الرجل، يا هذه الفتاة، يا هذان الرجلان، يا هاتان الطالبتان، يا هؤلاء الرجال، يا هؤلاء النساء.

يُرى في هذه الأمثلة كلها النعت معرفاً بأل الجنسية إذا وقع نعتاً لأي أو لاسم الاشارة سواء كان اسم الاشارة هو المنادى أو كان نعتاً لأي.

---

(١) سورة الانفطار / ٦.

(٢) سورة الفجر / ٢٧.

ولا يجوز أن يكون نعت أي معرفاً بغير أل الجنسية كالمعرف بأل العهدية وأل التي للمح الأصل. فلا يجوز أن تقول لمن اسمه بطل، أو قمر: يا أيها البطل، ولا يا أيها القمر، لأن أل هنا للعهد الحضوري، ولا يجوز أن تقول: يا أيها المحمد ولا أيها المحمدون، لأن أل هنا للمح الأصل أي دخلت على العلم للاشارة إلى أنه علم، فتقول لاسم المفعول، إذ أن المتوجب أن توصف أي وأية واسم الاشارة القنطرة بما فيه أل الجنسية من حيث أصلها. وان كانت أل الجنسية تصير بعد النداء دالة على العهد الحضوري.

ولا يجوز أن تقول: يا أيهذاك الرجل، فان الاشارة هنا متصلة بكاف الخطاب. وشرط وصف أي وأية عند ندائها باسم الاشارة ألا يكون متصلاً بكاف الخطاب[1].

شواهد على وصف أي وأية باسم الاشارة:

- ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي[2]
- ألا أيهذا السائلي أين يممت فان لها في أهل يثرب موعداً[3]
- ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر[4]
- ألا أيهذا المنزل الدارس الذي كأنك لم يعهد بك الحي عاهد[5]

---

(١) السيوطي في همع الهوامع ١/١٨٠، والأشموني ٣/١٦٧، والعيني في المقاصد النحوية ٤/٢٢٩، والسيوطي في شرح شواهد المغني ٧٩٢.

(٢) طرفة، ديوانه، ط: صادر، بيروت ١٩٦٨، ٦١. والتبريزي في شرح المعلقات، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف ١٩٧١، ص ٣١١.

(٣) الأعشى ميمون، ديوانه، نشر ابراهيم جزيني، بيروت ١٩٧١، ص ١٨٧.

(٤) ابن يعيش في شرح المفصل ٢/٢٠٩، والزجاجي في الجمل تحقيقات أبي شنب الجزائر ١٩٢٦، ٤٥، وابن فارس في الصاحبي ١٦٤، والرماني في معاني الحروف ت. رمضان عبد التواب، ط، الخانجي بمصر ١٩٦٩، ص ١٢٣.

(٥) العيني في المقاصد النحوية ٤/٤٧٥، الحماسة البصرية ٢/٢٧١، وأبو حيان الأندلسي، في تفسير البحر المحيط ت. محمد منير الدمشقي القاهرة ١٣٧٣ هـ ٥/١٩٢.

من التأمل في هـذه الشواهـد كلها نـرى أن اسم الاشارة الـواقع صفـة لأي وصف فيها جميعها بما فيه أل. ووصفه بما فيه أل هو الغالب، والكثير.

وأورد شاهدين لنداء اسم الاشارة الذي جعل وسيلة لنداء ما بعده فعرّف ما بعده وهو نعته بأل الجنسية:

يـا ذا المخـوفنـا بمقتـل شيخـه جحـر تمـني صـاحب الأحـلام[1]
يـا صـاح يـاذا الضـامـرُ العنْسِ والـرحـل والاقـتـاب والحِلْسِ[2]

فاسم الاشارة (ذا) في البيتين منادى مبهم جعل وسيلة لنداء نعتـه، وعرّف نعته بأل الجنسية ووجب رفعه مع كونه مضافاً في كل من البيتـين، لأن الاضافـة لفظية غير محضة[3].

والكوفيون يقولون في البيت الثاني: إن الرواية فيه: يا ذا ضامـر العنس. وذا بمعنى صاحب، فكأن المعنى: يا صاحب ضامر العنس، ويؤيدون رأيهم هذا بـان روايتهم تجعل معنى البيت صحيحاً. إذ يصبح معناه: يا صاحب الابل الضامـر، ويا صاحب الرحل، والاقتاب والحلس[4].

أمـا على رأي سيبـويه فـان معنى البيت كـما يقـول الكـوفيـون لا يستقيم ولا يصح، إذ انه على رأيه يصبح معناه: يـا هذا الضـامرُ العنس، والضـامر الـرحل والاقتاب والحلس.

وإذا كـانت الابل يصـح وصفها بـالضمور والهـزال فـان الـرحـل والاقتـاب والحلس لا يصح أن توصف بالضمور، ولهـذا فانهم يـرون أن تخريـج البيت على رأي سيبويه يفسد معناه.

---

(١) عبيد بن الأبرص، ديوانه ٩٧.
(٢) العنس: الناقة الشديدة الصلبة، والانساع جمع نسع وهو سير يضفر وتشد به الرحـال، والحلس كل شيء ولي ظهر البعير أو الدابة تحت البرذعة.
(٣) ابن السراج في الموجز ١١٢، والسيوطي في شرح الفريدة ٢/١٦ ـ ١٨.
(٤) ابن الأنباري في الانصاف ٢/٨٨ ـ ٨٩، وشوقي ضيف في المدارس النحوية ١٠١.

أمـا سيبويـه فيخرج البيت عـلى تقديـر محذوف ويقـول: ان المعنى: يا هـذا الضامر العنس، والمتغير الرحل والاقتاب والحلس، لأن تغير هذه الأشياء ينشأ من كثرة استعمالها وهذا ملازم لكثرة أسفار الابل التي يترتب عليها ضمورها[1]. (هـذا هو الوجـه الصحيح) وهـذا كما في قـولهم: علفتها تبنـاً ومـاءً بـارداً. والتقديـر: علفتهـا تبنـاً وسقيتهـا مـاءً بـارداً. وكـما في قـول الشـاعـر: وزججن الحـواجب والعيونا. التقدير: وكحلن العيونا.

حـ ـ المنادى المضاف إلى ياء المتكلم:

يقسم المنادى المضاف إلى ياء المتكلم إلى الأقسام الأربعة التالية:

١ ـ **المعتل**: وله حالتان:

أ ـ المعتل بالألف المقصورة، وحين ندائه مضافاً إلى يـاء المتكلم تثبت الياء مفتوحة بعد ألف فتقول في فتى ومصطفى، يا فتايَ، ويا مصطفايَ.

ب ـ المعتل بالياء، مثل: قاضي وهادي فيـاؤه في النداء مضعفّـة ومفتوحـة يا قـاضيَّ ويا هـاديَّ، وذلك لأن حـذف الياء يلبس بـين المضـاف وغـير المضـاف، ويلبس المنادى المضـاف بغير المضـاف وإثبات اليـاء سـاكنـة يترتب عليه التقاء الساكنين[2].

٢ ـ **ما فيه لغتان اثنتان**: وهو الوصف المشبه للفعل المضـارع في إفادة الحـال والاستقبال مثل: محترم ومكرم إذا نـاديته مضـافاً إلى يـاء المتكلم، فان عليـك أن تثبت الياء إمّا ساكنة وإما مفتوحة فتقول: يـا مكرميْ، ويـا محترميْ بـإثبات اليـاء ساكنة في كل منهما.

---

(١) سيبويه في الكتاب ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٧، والزجاج في الأصول ٢/٨ ـ ٩.

(٢) ابن هشـام، شرح شذور الـذهب ٥٨٥ وما بعـدها، وقطر الندى ٢٠٤ ـ ٢٠٥، وسيبـويـه في الكتـاب ٢/٢١٣ ـ ٢١٤، وابن يعيش في شرح المفصـل للزمخشري ٢/١٢، والسيـوطي في الهمع، ٢/٥٤، وابن مالك في تسهيل الفوائد ١٨٢.

ولك أن تقول: يا مكرميَ ويا محترميَ بإثبات الياء مفتوحة في كل منهما وليس لك حذف الياء[1].

٣ ـ **ما فيه ست لغات**: وهو ما عدا ما ذكر في القسمين السابقين وليس لفظ أم ولا لفظ أب، وذلك مثل: غلام ـ صديق ـ زميل. فانك إذا ناديته مضافاً إلى ياء المتكلم فان لك أن تسوقه على إحدى اللغات الست التالية[2]:

أ ـ أن تحذف ياء المتكلم وتكتفي بالكسرة فتقول: يا غلامِ، ويا صديقِ، ويا زميلِ، ومنه قوله تعالى: يا عبادِ فاتقون.

ب ـ أن تثبت الياء ساكنة فتقول: يا غلاميْ ـ يا صديقيْ ـ يا زميليْ، ومنه قوله تعالى: يا عباديْ لا خوف عليكم.

جـ ـ ولك أن تثبت الياء مفتوحة فتقول: يا غلاميَ، ويا صديقيَ، ويا زميليَ، ومنه قوله تعالى: قال يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.

د ـ ولك أن تقلب الكسرة التي قبل ياء المتكلم فتحة، وأن تقلب ياء المتكلم ألفاً فتقول: يا غلاما ـ يا صديقا ـ يا زميلا، ومنه قوله تعالى: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله.

هـ ـ ولك أن تحذف الألف المنقلبة عن ياء المتكلم وتكتفي بالفتحة في آخر المنادى كما في قول الشاعر[3]:

ولست براجع ما فات مني   بلهفَ ولا بِلَيْتَ ولا بواني

---

(١) السيوطي في شرح الفريدة ١٦٨/١، والشلوبين في التوطئة ١١٢، والسيوطي في الاقتراح ١٢٨، وابن يعيش في شرح المفصل ١٣/٢.

(٢) ابن مالك في تسهيل الفوائد ١٨٣، وشرح عمدة الحافظ ٢٨٣، والسيرافي على كتاب سيبويه ٢١١/٢، والزجاج في الأصول ٢٣٦/١ ـ ٢٣٧، وابن السراج في الموجز ١١٩، والزبيدي في الواضح في علم العربية ٢٣٨ ـ ٢٤١.

(٣) الأزهري في التصريح ١٧٩/٢، والعيني في المقاصد النحوية ٢٢٤/٤، والأشموني ١٥٧/٢.

التقدير: بيا لهف ويا ليت. الأصل يا لهفي ويا ليتني، قلبت الكسرة في آخر المنادى فتحة، فقلبت ياء المتكلم ألفاً ثم حذفت الألف، واكتفى بالفتحة. وعلى هذا تقول: يا غلامَ ـ يا صديقَ ـ يا زميلَ، والأصل يا غلامي ـ يا صديقي ـ يا زميلي. . . قلبت الكسرة في آخر المنادى فتحة فقلبت ياء المتكلم ألفاً، فأصبحت يا غلاماً ـ يا صديقاً ـ يا زميلاً، ثم حذفت الألف المنقلبة عن يا المتكلم واكتفي بالفتحة قبلها.

و ـ ولك أن تحذف ياء المتكلم وتكتفي من الاضافة بنيتها وتضم ما قبل الياء، المحذوفة، وهذه اللغة تكثر فيما يغلب عليه أن ينادى مضافاً. وذلك كما في قوله تعالى في قراءة بعضهم حكاية على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ربُّ السِجْنُ أحبُّ إليّ مما يدعونني إليه﴾[1]، وعلى هذا لك أن تقول: يا غلامُ ـ يا صديقُ ـ يا زميلُ. وقد اقتصر ابن مالك على اللغات الخمس الأولى في قوله[2]:

واجعل منادى صحّ أن يضف ليا   كعبدِ عبدي عبدَ عبدا عبديا

٤ ـ ما فيه عشر لغات[3]: وهو الأب والأم، فانك إذا ناديتهما مضافين إلى ياء المتكلم، فان لك في ندائهما اللغات الست المبينة في القسم الثالث، ولك أن تزيد عليها واحدة من اللغات الأربع التالية:

أ ـ أن تعوض تاء التأنيث عن ياء المتكلم وتكسر التاء فتقول: يا أُمَّتِ.

ب ـ أن تعوض تاء التأنيث عن ياء المتكلم وتفتح التاء فتقول: يا أُمَّتَ. واللغة الأولى أكثر، والثانية أقيس.

---

(١) سورة يوسف / ٣٣.

(٢) ابن مالك في الألفية ١٥، وفي شرح عمدة الحافظ ٢٨٢.

(٣) سيبويه في الكتاب ٢/٢١٣ ـ ٢١٤، وابن الشجري في الأمالي الشجرية ٢/٢٧٤، وابن يعيش في المفصل ٢/١٢ ـ ١٣، والأشموني ٢/١٥٨ ـ ١٦١، والأزهري في التصريح ٢/٨٠ ـ ٨٢.

جـ ـ أن تعوض تاء التأنيث عن ياء المتكلم وتضم التاء، وقد قرىء باللغات الثلاث في مثل قوله تعالى: يا ابت أني رأيت أحد عشر كوكباً ـ قرىء: يا أبتِ ـ يا أبتَ ـ يا أبتُ.

د ـ ولك أن تجمع بين التاء المفتوحة وياء المتكلم منقلبة الفاً فتقول: يا أبتا ـ يا أمتا، ومنه قول الراجز[1]:

«يا أبتا علّك أو عساك».

أو أن تجمع بين التاء مكسورة، وبين ياء المتكلم كما في قول الشاعر[2]:

أيا ابتي لا زلت فينا فاننا   لنا أمل في العيش ما دمت عائش

وهذا القسم الرابع نادر لما فيه من الجمع بين العوض والمعوض. والجمع بين التاء مكسورة مع الياء أكثر ندرة من الجمع بين التاء المفتوحة مع الياء. ولا يجوز ابدال التاء من ياء المتكلم إلاّ في النداء.

والدليل على أن هذه التاء المبدلة من ياء المتكلم هي تاء التأنيث أنه يجوز أن تكتب هاء وأن يوقف عليها هاءً.

ط ـ إضافة المنادى إلى مضاف إلى ياء المتكلم:

مثل: يا زميلَ صديقي.

الياء فيه ثابتة إلاّ إذا كان المنادى ابن أم أو ابن عم أو ابنة أو بنت أم أو عم مثل: يا ابن أمي ويا ابن عمي ويا ابنة أمي ويا ابنة عمي ويا بنت عمي. فإذا كان كذلك كثر فيه حذف ياء المتكلم والاكتفاء بالكسرة قبلها. فتقول يا ابن أم ويا ابن عمّ ويا ابنة أمّ ويا ابنة عمّ، ويا بنت أمّ. ويا بنت عمّ بالكسر فيها جميعها مع حذف ياء المتكلم.

---

(١) هارون في شرح شواهد العربية ٣١١.

(٢) السيرافي، شرح السيرافي على كتاب سيبويه ٢/٢٨٥، والبغدادي في خزانة الأدب ٦/٣١٨.

وذلك أن تفتح اللفظين على أنهما مركبان تركيباً مزجياً فتكون الحركة حينئذ للبناء أو على حذف ياء المتكلم المنقلبة ألفاً لفتح ما قبلها. وتكون الحركة حيئذ للاعراب، ومن إثبات الياء قول الشاعر[1]:

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي   أنت خليتني لدهر شديد

ومن إثبات الألف المنقلبة عن ياء المتكلم قول الراجز[2]:

يا ابنة عمّا لا تلومي واهجمي   لا يخرق اللوم حجاب مسمعي

وإثبات الياء هنا كإثبات الألف المنقلبة عنها ضرورة.

ي ـ أسماء لازمت النداء:

في لغة العرب أسماء لم ترد إلّا مناداة ولا تخرج في الاستعمال الصحيح عن النداء وهي[3]:

لؤمان وملأم، وملأمان، ومخبثان، ونومان، وأسماء على وزن فعال ـ لسب الأنثى مثل: خباث ولثام، وفُعَل لسب الذكر مثل: يا قُبَحْ، ويا جُهَلْ، وأبت وأمتّ، واللهم، وفُلُ وفُلَةُ كنايتان عن اسم الجنس للانسان وليس منها فُلُ الواردة في قول أبي النجم العجلي[4]:

تضلُّ منه ابلي بالهوجل   في لجة أمسك فلاناً عن فُلِ

فإن فل هذه متجزئة عن فلان. وفلان وفلانة كنايتان عن الاعلام، وليسا

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي يرثي أخاه.

(٢) البيت من رجز لأبي النجم العجلي في نوادر أبي زيد ١٩.

(٣) سيبويه في الكتاب ٢/٢١٥ ـ ٢١٦، والسيرافي عليه ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥، وشرح أبيات سيبويه له ت. د. محمد علي سلطاني. دمشق ١٩٧٦، ٢/٤١٥، وابن مالك في تسهيل الفوائد ١٨٣، والزبيدي في الواضح ٢١٨.

(٤) العيني في المقاصد النحوية ٤/٢٢٤، والبغدادي في الخزانة ٦/٢١٩، وابن جني في الخصائص ٣/٢٢٩.

هما فُلُ وفُلَه لأن هذين كنايتان عن الجنس وهما المختصان بالنداء.

أما فلان وفلانة فليستا مما يختص بالنداء. وحذف الألف والنون من فلان في قول أبي النجم السابق جارٍ على سنة العرب في حذفهم بعض أواخر الكلمات للضرورة الشعرية كما في قول لبيد[1]:

درس المنا بمتالع فأبان ... فتقادمت فالحبس والسوبان

الأصل درس المنازل، فحذفت الزاي واللام للضرورة كما حذفت الألف والنون من فلان في قول أبي النجم، ومن الضرورة استعمال فعالِ في سب الأنثى غير مناداة في قول الحطيئة[2]:

أطوّف ما أطوّف ثم آوى ... إلى بيت قعيدته لكاع

ك ـ أسماء لا تستعمل مناداة[3]:

هناك أسماء لا يجوز نداؤها وهي:

١ ـ المضاف إلى ضمير المخاطب مثل: صديقك.

٢ ـ المضاف إلى ضمير الغيبة مثل: صديقه.

٣ ـ اسم الإشارة المتصل بكاف الخطاب مثل: ذلك وذاك وتلك.

٤ ـ المحلى بأل في غير المواضع التي استثنيت فلا يمكن القول: يا الرجل.

ل ـ الاستغاثة:

● **تعريفها[4]**: هي نداء من يخلص من شدة ويعين على دفع مشقة كأن

---

(١) لبيد، ديوانه (نشره احسان عباس) ٣١٠.

(٢) البيت في ديوان الحطيئة ت. محمد أمين طه، ط: الحلبي مصر ١٩٦٧، ص ١١٨.

(٣) الزبيدي في الواضح في علم العربية ٢٢٥ ـ ٢٢٦، والسيوطي في شرح الفريدة ١/٤١٨ ـ ٤١٩.

(٤) ابن هشام، شرح قطر الندى ٢١٩.

تقول: يا لَلْأغنياء للفقراء.

أداة النداء في الاستغاثة «يا» فقط ولا يجوز حذفها.

● **المستغاث به**[1]: ويسمى المستغاث أيضاً وهو من يستنصر به للتخلص من الشدة ودفع المشقة، وهو يجر غالباً بلام مفتوحة.

● **المستغاث له**[2]: هو من يستنصر من أجله لتخليصه من الشدة ودفع المشقة عنه وهو يجر بلام مكسورة في جميع أحواله: إلا إذا كان ضميراً لغير المتكلم فانه يجر بلام مفتوحة كما تقول: يا لَله لنا وَلله لكم. فأنت ترى اللام الداخلة على المستغاث من أجله قد فتحت لأنه ضمير غير ياء المتكلم.

● **شواهد للاستغاثة**[3]:

- يا لَقومي ويا لَأمثال قومي ... لِأناس عُتُوُّهم في ازدياد

فاللام الداخلة على قومي وعلى أمثال فتحت لأنها جرت المستغاث به. واللام الداخلة على أناس كسرت لأنها جرت المستغاث من أجله.

- يا لَقَوْمي من للعلى والمساعي ... يا لَقومي من للندى والسماح
يا لَعطافنا ويا لَرِياح ... وأبي الحشرج الفتى النفّاح[4]

فقومي في الشطرين الأول والثاني من البيت الأول، وعطاف ورياح في البيت الثاني كلها مستغاث به، ولهذا جرّ كل منها بلام مفتوحة. وأنت ترى أن الشاعر في هذين البيتين لم يذكر المستغاث له اكتفاء بظهور معناه.

---

(١) ابن مالك، شرح عمدة الحافظ ٢٨٦.

(٢) المصد نفسه ٢٨٦، وتسهيل الفوائد ١٨٥ - ١٨٦، والأزهري في التصريح ١٨١/٢، وأوضح المسالك ٩٦/٣.

(٣) غير معروف قائلها، أوضح المسالك ٤٤٦، وشرح قطر الندى ٢١٨.

(٤) البغدادي في خزانة الأدب ٣٨٦/٦.

ملحوظات:

١ ـ المستغاث به يجرّ بلام مفتوحة والمستغاث له يجرُّ بلام مكسورة وينبغي العلم بأنه لا تكسر اللام الجارة به إلا في موضعين اثنين حيث يجب كسرها فيهما:

أ ـ أن يكون المستغاث به معطوفاً ولم تتكرر معه أداة النداء كقول الشاعر[1]:

يبكيك ناءٍ بعيدُ الدار مغتربٌ   يا لَلكهول ولِلشبان للعجب

فالشبان في البيت مستغاث به لأنه معطوف على المستغاث به الذي هو الكهول وقد عطف من دون أن تتكرر معه أداة النداء. ولذا كُسرت اللام الداخلة عليه.

ب ـ أن يكون المستغاث له ياء المتكلم، حينئذ تكسر اللام وجوباً لمناسبة الياء. كمن يقول: مستغيثاً بنفسه لنجدة وطنه: يا لِي لوطني.

وفريق من العلماء يقول: ان ياء المتكلم لا تقع مستغاثاً بها لأن الانسان لا يستغيث بنفسه، وفي فتح اللام الداخلة على المستغاث به وكسرها يقول ابن مالك[2]:

إذَا آسْتُغِيثَ اسْمٌ مُنَادى خُفِضَا   بِاللَّامِ مَفْتُوحاً كَيَا لَلْمُرْتَضَى
وآفْتَحْ مَع المعطُوفِ إنْ كَرَّرْتَ يَا   وَفِي سِوَى ذَلِكَ بالكَسْرِ ائْتِيَا

وإذا كانت اللام الداخلة على المستغاث به واجبة الكسر في الموضعين المذكورين فإن اللام الداخلة على المستغاث له واجبة الفتح إذا كان المستغاث له ضميراً غير ياء المتكلم كما سبق.

٢ ـ قد لا تدخل اللام على المستغاث به. وهذا قليل، حينئذ يعوض عنها غالباً بألف في آخر المستغاث به كقول الشاعر[3]:

---

(١) ابن هشام في قطر الندى ٢١٩، أوضح المسالك رقم ٤٤٧.
(٢) ابن مالك في الألفية ١٧.
(٣) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٢٠، وأوضح المسالك رقم ٤٤٨.

يــا يــزيــدا لَا مــلٍ نَــيْــلَ عِــزٍّ   وَغِــنىً بَــعْــدَ فَــاْقَــةٍ وهَــوَاْنِ

الأصل: يا ليزيدا لآ ملٍ. حذفت اللام الداخلة على المستغاث بـه وعوض عنها بألف آخر الكلمة.

ولما كانت الألف عوضاً عن اللام: فانه لا يجمع بينهما حتى لا يجمع بين العوض والمعوض. وتعويض الألف آخر الكلمة عن اللام وهو الكثير الغالب وقليلاً ما تحذف اللام دون تعويض كما في قول الشاعر[1]:

ألا يــا قَــوْمُ لِـلْعَـجَـبِ الْـعَـجِـيْـبِ   وَلِــلْغَـفَــلَاتِ تَــعْــرِضُ لِــلْأَرِيْــبِ

الأصل: يا لقومي. فحذفت اللام الداخلة على المستغاث به ولم يعوض عنها بالألف. وهذا كما قلنا قليل.

٣ ـ إذا وقف على المستغاث المختوم بالألف حسن أن يؤتى بعد الألف بهاء السكت فيقال: يا سعداه في يا لسعد.

٤ ـ إذا كان هناك في الكلام مستغاث منه مشكوٌ من تصرفاته فانه يجر بمن مثل قول الشاعر[2]:

يَـاْ لَلْرِّجَـاْلِ ذَوِي الْأَلْبَــاْبِ مِنْ نَفَـرٍ   لا يبــرحُ السَّفَـهُ الـمُــرْدى لهم دينـا

فان الرجال مستغاث به. ولهذا جر بلام مفتوحة. ونفر مستغاث منه. ولذا جُرَّ بمن.

٥ ـ قد يريد المتكلم التعجب لا الاستغاثة، فيسوق كلامه التعجبي في أسلوب استغاثي، وحينئذ، يجري كلامه على نهج الاستغاثة في اللفظ يقول ابن هشام[3]: ويجوز نداء المتعجب منه فيعامل معاملة المستغاث كقولهم:

---

(١) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٢١، وأوضح المسالك رقم ٤٤٩.
(٢) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٧، والبغدادي في خزانة الأدب ٣٨٨/٦.
(٣) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٢١، وابن مالك في تسهيل الفوائد ١٨٤، وابن هشام في شذور الذهب ١٨٤.

يـا لَـلْماء ويـا لَـلْدواهـي إذ تـعـجـبـوا مـن كـثرهـا

ومن ذلك قول الشاعر[1]:

لَخُـطَّابُ ليـلى يـا لَبُـرْثُـنَ مِنْـكُـمُ أَدَلُّ وأَمْضَى من سُلَيْـكِ الـمَـقَـانِبِ

فالشاعر لا يريد أن يستغيث، ولكنه يريد أن يظهر تعجبه من كثرة خطاب ليلى وكثرة خبرتهم بمسالك الافساد حتى لكأنهم في معرفتهم بهذه المسالك يفوقون سليك بن السلكة.

ومن هذا الباب لك أن تقول: يـا لَلروضة الغنـاء، ويا لَلنسيم العليـل. ويا لَلقمر الجميـل، متعجباً من جمال الـروضـة وطيب النسيم، وحسن القمـر لا مستغيثاً بواحد منها.

وفي مثل هذا تخرج الاستغاثـة من الحقيقة إلى المجاز لأن المستغيث لا يريـد نداء من ينجده ويساعده ليخلص من شدة يعانيها، وإنما يريد إظهار تعجبه فساق كلامه مساق الاستغاثة ولا استغاثة هناك.

وقد يزيد تعجب الانسان فينادى العجب نفسه مبالغة منه فيقول:
يا لَلعجب لصنيع فلان.

٦ ـ فتحت الـلام الداخلة عـلى المستغاث بـه وكسرت الـلام الـداخلة عـلى المستغاث له للفرق بينهما وخصت الأولى بالفتح والثـانية بـالكسر لأن الأولى واقعة في غير موقعها إذ أن المنادى لا يحتاج إلى لام تدخل عليه، فلما وردت اللام في غير موردها كـانت أولى بالتغيـير، ولهذا أعـطيت الفتحة بـدل الكسرة التي هي أصل حركتها.

أمـا لام المستغاث من أجله فهي واقعـة في مكـانها جـاريـة عـلى الأصـل في استعمالها فبقيت لها حركتها الأصلية وهي الكسرة[2].

---

(١) البغدادي في خزانة الأدب ٦/٣٨٩ وما بعدها.

(٢) ابن هشـام في شرح قطر النـدى ٢٢١، وشذور الـذهب ١٨٤، وابن مالـك في تسهيل الفـوائد ١٨٤، وابن السرّاج في الموجز ٥٠.

٧ ـ اللام الداخلة على المستغاث به حرف جر أصلي. ولهذا فان المجرور بها وهو المنادى إذا كان معرباً يكون مجروراً لفظاً منصوباً محلاً، وعلى هـذا إذا قلت: يا لَلْأبطال الشرفاء للأوطان.

ان الأبطال منصوب بفتحة مقدرة منـع من ظهورهـا إشتغال المحـل بالكسرة التي جلبت لحرف الجر، والجار والمجرور متعلقان بأداة النداء وبالفعل الذي نابت عنه الأداة.

وعلى هذا إذا اتبعت المستغاث به بتابع فيـه يجوز لـك أن تراعي لفـظه فتجر التابع خلافاً لمن منع اتباع اللفظ هنا كما سبق، وأن تراعي محله فتنصبه.

أما إذا كان المستغاث به مبنياً في الأصل مثل: يا لهـذا لفلان. فـانك تعـربه مجروراً بكسرة مقدرة منع من ظهورها سكون البناء الأصلي وهو في محل نصب.

واعتبار اللام داخلة على المستغاث به حرف جر أصلاً هو القول الصحيـح[1] في حين يرى فريق من العلماء أنها حرف جر زائد.

ويرى فريق من النحاة أن لام الجر «الزائدة» الـداخلة على المستغـاث به هي بقية من كلمة آل أي أهل وأنها لذلك اسم مضاف إلى ما بعده. وانها هي المنادى ويقولون في تخريج هذا الكلام: إن همزة آل قد حـذفت للتخفيف. فالتقت ألف آل وألف ياء الندائية فحذفت ألف آل تخلصاً من إلتقاء الساكنين، وعلى هذا فان إعراب: يا لفلان عند هؤلاء:

يا: أداة النداء.

اللام: بقية كلمة آل.

آل: منادى منصوب لأنه مضاف وفلان مضاف إليه.

وهذا القول ضعيف جداً، وبرهـان ضعفه أن الآل والأهـل لفظان مـترادفان

---

(١) ابن هشـام في شذور الـذهب ١٨٤، وابن مالـك في شرح عمـدة الحـافظ ٢٨٨، والـزجـاج في الأصول ٣١٧.

يطلقان على معنى واحد. ولو أن هذا القول صحيح لوقع الأهل موقع الآل في بعض الاستعمالات العربية، وهو ما لم يرد. وعدم وروده دليل على أن اللام للاستغاثة وليست متجزئة من كلمة آل[1].

ويرى فريق من العلماء أن لام الاستغاثة بدل من الزيادة التي تلحق آخر الكلمة عند الندبة أو التعجب كما في قولك: يا عجباً، وقولك: وافاطماه. فاللام في المستغاث به بدل من الألف التي تلحق آخره عند الندبة أو التعجب. والدليل عند هؤلاء العلماء على صحة ما يقولون: ان لام الاستغاثة لا تجتمع وتلك الزيادة، وفي هذا يقول ابن مالك[2]:

وَلاَمُ مَا اسْتُغِيثَ عَاقَبَتْ أَلِفْ   وَمِثْلُهُ آسْمٌ ذو تَعَجُّبٍ أُلِفْ

فقد صرح ابن مالك في قوله هذا بأن لام الاستغاثة والألف اللاحقة بالمنادى المتعجب منه أو المندوب تتعاقبان ولا تجتمعان[3]:

م ـ الندبة:

● **تعريفها**: هي نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه[4].

الأول: مثل قول الشاعر في رثاء أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه[5]:

وا اماماً خاض أرجاء الوغى   يصرع الشرك بسيفٍ لا يُفل

الثاني: هو المتوجع منه مثل قول الآخر[6]:

---

(١) ابن هشام، أوضح المسالك رقم ٤٥٠ ـ ٤٥١. ابن السراج في الموجز ٥٠ ـ ٥١.

(٢) ابن مالك في الألفية ١٨.

(٣) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٢١ ـ ٢٢٢. وشرح شذور الذهب ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٤) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٩ «هي عبارة عن نداء ما هو مفقود أو ما هو في حكم المفقود». وسيبويه في الكتاب ٤/٢٢٠: «إن المندوب مدعوّ ولكنه متفجع عليه...». والسيرافي: «الندبة تفجع ونوح من حزن وغم يلحق النادب على المندوب عند فقده».

(٥) نصر بن مزاحم في وقعة صفين ٣٤٨.

(٦) البغدادي في خزانة الأدب ٦/٤١٤.

فوا كبدا من حب من لا يحبني ومن عبرات ما لهن فناءُ

والمنادى هنا في هذين القسمين يسمى مندوباً.

● **حكم المندوب**(1): يأخذ المندوب حكم المنادى الذي سبق بيانه، فينصب مضافاً وشبيهاً بالمضاف ونكرة غير مقصودة بالنداء ويبنى مفرداً علماً أو نكرة مقصودة.

● **أداة النداء في الندبة وحكم ذكرها في الكلام**: لا يستعمل في الندبة من أدوات النداء إلا حرفان هما(2):

١ ـ وا: بلا قيد لأنها موضوعة لنداء المندوب.

٢ ـ يا: بشرط ألّا يكون هناك لبس من استعمالها في الندبة، فإذا كان نداء المندوب بها يوقع في لبس وجب استعمال وا.

ومن استعمال يا في الندبة لأمن اللبس قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه(3):

نعى النعاةُ أميرَ المؤمنين لنا يا خيرَ من حَجَّ بيتَ اللهِ واعتمرا
حُمِّلْتَ أمراً عظيماً فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

لما كان المقام مقام رثاء وبكاء لا مقام استدعاء ونداء جاز استعمال يا في الندبة لأمن اللبس.

ملحوظات:

١ ـ المقصود بالندبة كما سبق التفجع والأسى على المندوب أو إبداء التألم

---

(١) السيرافي، شرح السيرافي على كتاب سيبويه ١٨٤/٢.
(٢) سيبويه، الكتاب ٢٢٠/٤، والزجاج في الأصول ٦١٨/١.
(٣) البيت في ديوان جرير ٣٠٤/١. الأشموني ١٣٤/٣، ابن هشام في المغنى ٣٧٢/٢، والأزهري في التصريح ١٦٤/٢، والعيني في المقاصد النحوية ٢٢٩/٤ ـ ٣٧٢.

والتوجع منه. ولهذا لم يجز ندب النكرة غير المقصودة ولا المبهم ولا الموصول إلّا إذا كان مشتهراً بصلته. فلا يقال: وافلاناه، لأنه نكرة غير مقصودة. ولا واهذا لأنه اسم إشارة وهو مبهم كما سبق. ولا يقال: وامن كتب درساه، لأنه اسم موصول غير مشتهر بصلته. فهو بهذا داخل في المبهمات بخلاف الموصول الذي اشتهر بصلته وتعورف بها. فانه يسوغ ندبه مثل أن تقول: وامن حفر بئر زمزما[1]:

يقول ابن مالك[2]:

مَـا لِلْمُنَـادَى اجْعَـلْ لِمَنْـدُوب وَمَـا   نُـكِّـرَ لَمْ يُـنْـدَبْ وَلاَ مـا أُبْهِـمَا
وَيُنْـدَبُ المَوْصُـولُ بـالَّـذي اشْتَهَـرْ   كَـبِئْـرِ زَمْـزَمٍ يَـلِي: وَامَـنْ حَـفَـرْ

٢ ـ يجوز إلحاق آخر المنادى المندوب ألفاً تسمى ألف الندبة. ويجوز أن تلي ألف الندبة هاء السكت عند الوقف. فتقول: واعمرا بالألف وواعمراه عند الوقف، فزيادة الألف والهاء في آخر المندوب جائزة لا واجبة[3]:

وفي هذا يقول ابن مالك[4]:

وواقِـفـاً زِدْهَـاْءَ سَـكْـتٍ إنْ تُـرِدْ   وَإنْ تَـشَـأْ فـالـمَدُّ والْهَـا لاَ تَـزِدْ

٣ ـ ذكرنا أن ختم المندوب بألف الندبة، وحين الوقوف تزاد هاء السكت بعد الألف.

فاذا كان الاسم المندوب مختوماً بألف مثل مرتضى ومجتبى، فإذا ألحقت به ألف الندبة أسقطت الألف التي هي من بنية الكلمة تخلصاً من إلتقاء الساكنين. وفي هذه الحال يرى بعض العلماء أن جلب هاء السكت عند الوقف يصبح واجباً

(١) سيبويه، الكتاب ٢/٢٢٧ (وهو الذي لا يجيز ذلك). ابن السراج في الموجز ٥٠، ويخالفه ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٩١ ـ ٢٩٢. ابن هشام في شرح شذور الذهب ٢٢٤.

(٢) ابن مالك في الألفية ١٨.

(٣) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٩٢.

(٤) ابن مالك في الألفية ١٨.

لا جائزاً، للدلالة على أن الألف الموجودة هي ألف الندبة وليست الألف التي هي من بنية الكلمة[1].

٤ ـ إذا كان المنادى مضافاً أو موصولاً أو موصوفاً أمكن إلحاق ألف الندبة بآخر المضاف إليه وآخر الصلة وآخر الصفة تنزيلاً للمضاف والمضاف إليه للصلة والموصول وللصفة والموصوف منزلة الكلمة الواحدة لما بين المتضايفين ولما بين الصلة وموصولها والصفة وموصوفها من وثاقة الاتصال حتى لكأن كلا منها مع صاحبه كالشيء الواحد[2].

كما يمكن إتباع ألف الندبة بهاء السكت عند الوقف على المضاف إليه أو الصفة أو الصلة. وإذا كان آخر الكلمة التي تلحقها ألف الندبة منوناً: فان التنوين يحذف بالندبة. فإذا ندبت غلام زيد مثلاً، فانك تلحق ألف الندبة بآخر المضاف إليه بعد أن تحذف تنوينه فتقول: واغلام زيدا. وفي الوقف: واغلام زيداه.

قال ابن مالك[3]:

وَمُنْتَهى المَنْدُوبِ صِلْهُ بِالأَلِفْ　　مَتْلُوَّهَا إنْ كَانَ مِثْلَهَا حُذِفْ
كَذَاكَ تَنْوِينُ الذِي بِهِ كَمَلْ　　مِنْ صِلَةٍ أَوْ غَيْرِهَا نِلْتَ الأَمَلْ

٥ ـ إذا كان المنادى المندوب الذي تلحق به ألف الندبة مفتوحاً بقي مثل: واصديق يزيدا ـ واصديق يزيداه.

فان (يزيد) مضاف إليه مجرور بالفتحة لمنعه من الصرف. فتبقى الفتحة من إلحاق ألف الندبة به.

أما إذا كان ما تلحق به ألف الندبة مكسور الآخر أو مضمومه: أُبدلت الضمة أو الكسرة فتحة لمجانسة الألف فتقول في ندب علي: واعلياه.

---

(١) ابن السراج في الموجز ٥٠، سيبويه في الكتاب ٢٢٢/٤ ـ ٢٢٣.
(٢) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٢٤. ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٩٢.
(٣) ابن مالك في الألفية ١٨.

بقلب الضمة فتحة لمجانسة الألف وتقول: واصديق علياه بقلب الكسرة فتحة لمجانسة الألف ومع حذف التنوين، وإنما تبدل الكسرة والضمة فتحة لمجانسة ألف الندبة، إذا امن اللبس.

أما إذا كان إبدال الضمة أو الكسرة فتحة يوقع في اللبس فانهما يبقيان، وحينئذ تقلب ألف الندبة واواً بعد الضمة وياء بعد الكَسرة[1]. وفي هذا يقول ابن مالك[2]:

وَالشَّكْلَ حَتْماً أَوْلِهِ مُجَانِسَا ... إِنْ يَكُنِ الفَتْحُ بِوَهْمٍ لاَبِسَا

مثال ذلك أن يراد ندب صديقه فانه يقال: واصديقهوه، ولا تقلب الضمة فتحة حفاظاً على ألف الندبة، لأنك لو قلبتها فتحة لقلت: واصديقهاه فالتبس حينئذ المفرد المذكر بالمفرد المؤنث.

وتحذف الكسرة أو الضمة إلا إذا أوقع حذفهما في لبس فتبقيان، وتجعلُ الألفُ ياءً بعد الكسرة مثل: واصديقكي إذ لو قيل واصديقكا التبس بالمذكر، وواواً بعد الضمة مثل: واصديقهو أو واصديقكمو لأنه لو قيل واصديقها التبس المذكر بالمؤنث[3] في الأولى، أو واصديقكما ـ التبس الجمع بالمثنى في الثانية، ويمكن إلحاق هاء السكت في الوقف.

ن ـ الترخيم:

● تعريفه: الترخيم في اللغة: التسهيل والتليين، يقال صوت رخيم أي سهل لين، واصطلاحا: حذف آخر المنادى تخفيفاً[4]، قال ابن مالك:

---

(1) سيبويه، الكتاب ٢/٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(2) ابن مالك في الألفية ١٩.

(3) سيبويه في الكتاب ٢/٢٢٤، وابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٩٢ ـ ٢٩٣، والزجاج في الأصول ١/٤٤٩، والمبرد في المقتضب ٤/٢٠٨، وابن السراج في الموجز أورد ما يخالف ذلك بعض الشيء.

(4) سيبويه، الكتاب ١/٢٣٩، وابن السراج في الأصول ١/٤٣٧: «الترخيم حذف أواخر الأسماء المفردة الأعلام تحقيقاً ولا يكون ذلك إلّا في النداء». ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٩٧.

تَـرْخِيـماً آحْـذِفْ آخِـرَ المُنَـادَى كَيَـاْ سُعَـاْ فِيْمَـنْ دَعَـاْ سُعَـادا[1]

وهي تسمية قديمة، روى أنه قيل لابن عباس: ان ابن مسعود قرأ: ﴿ونادوا يـا مالِ﴾[2] (يـا مالـك) فقال: مـا كان أشغـل أهـل النـار عن الـترخيم، ذكـره الزمخشري وغيره.

● شرطه: أن يكون معرفة غير مستغاث ولا منـدوب، ولا ذي إضافة أو شبهها، ولا ذي إسناد، وألا يكون مختصاً بالنداء كفُلُ وفُلَه ولا مبنياً قبله كخمسة عشر وحذام.

فلا يرخم مثل قول الأعمى: يا إنسانـاً خذ بيـدي، ويا لجعفـر وواجعفراه، ويا أمير المؤمنين، ويا تأبط شرّاً، وقد أجاز الكوفيون ترخيم ذي الاضافـة بحذف عجز المضاف إليه تمسكاً بنحو قوله[3]:

أَبَـاْ عُـرْوَ لا تَبْعَـدْ فَكُـلُّ ابنِ حُـرَّةٍ سَيَـدْعُـوهُ دَاعِي مَـيْتَـةٍ فَيُجِـيْـبُ

«عرو» مضاف إليه حذفت منه تاء التـأنيث للترخيم، والمعنى: يا أبـا عروة. كما أجاز ابن مالك ترخيم ذي الاسناد، وعزا ذلك إلى سيبويه، قال:

والعَجْـزَ آحـذِفْ من مُـرَكَّبٍ وقُـلْ تـرخيـمُ جُمْـلَةٍ وذا عَـمْـرُوٌ نَـقَـلْ

وإذا كان المنادى مختوماً بتاء التأنيث ـ جاز ترخيمه مطلقـاً سواء أكـان علماً أم لا، ثلاثياً أم زائداً على الثـلاثة، لأن التـاء في حكم الانفصال، كـما في طلحة وثبة وجارية لمعينة، فتقول: يا طلحَ، ويا ثُبَ، ويا جاريَ في قول الشاعر[4]:

---

(١) ابن مالك، الألفية ٢١.

(٢) سورة الزخرف / ٧٧.

(٣) الضبي في المفضليات، ت: محمود شاكر وعبد السلام هـارون، دار المعارف ١٩٦٦ ص ٢٣٨. الأصمعي في الأصمعيات ت: عبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٥ ص ١٨٥. وابن يعيش في شرح المفصل ٢١٨/٣.

(٤) أبو الطيب اللغوي في شجر الدر، ت، عبد الجـواد الأصمعي، دار المعارف ١٩٥٣، ص ٧٥، والأصمعي في الأصمعيات ٤١.

جَــارِيَ لا تَـسْتَـنْكِــرِي عــذيــري سَــيْرِي واشـفــاقـي عــلى بـعــيري

قال ابن مالك(١):

وَجَــوِّزَنْــهُ مُــطْلَقَــاً في كُــلِّ مــا أُنِّــثَ بِــآلْهَــا والــذِّي قَــدْ رُخِّمَــا
بِحَــذْفِـهَــا وفِّــرْهُ بَعْــدُ وَآحْــظُلاَ تَـرْخِيمَ مَـا مِنْ هــذِهِ آلْهَا قَــدْ خَــلاَ

وإذا كان مجرداً من التاء اشترط لجواز ترخيمه: كونه علماً، زائداً على ثلاثة كجعفر وحارث، تقول: يا جعفُ ضماً وفتحاً، وحار كما في قول الشاعر(٢):

يَــاْ حَــاْرِ لاَ أُرْمَــيَنْ مِنْكُمْ بِــدَاْهِيَــةٍ لَمْ يَلْقَهَــا سُــوْقَــةٌ قَبْــلِيَ وَلاَ مَـلِـكُ

وقول النابغة الذبياني(٣):

أقــولُ والنَّجْمُ قَــدْ مَــاْلَتْ أَوَاخِــرُهُ إلى المـغـيـب: تَـثَـبَّـتْ نـظرةً حــار

قال ابن مالك(٤):

الآ الــرُّبَــاعِــيَّ فَــمَا فَــوْقَ الـعَــلَمْ دُوْنَ إضَــافَــةٍ وإسْــنَــادٍ مُــتَــمْ

ويجوز في الترخيم قطع النظر عن المحذوف، فتجعل الباقي اسماً برأسه فتضمه، ويسمى لغة من لا ينتظر، ويجوز أن لا تقطع النظر عنه، بل تجعله مقدراً في حكم الموجود، فيبقى ما كان على ما كان عليه، ويسمى لغة من ينتظر(٥)، ففي الأولى تقول في جعفر ومالك يا جعفَ ويا مالِ، وفي الثانية يا جعفُ ويا مالُ.

قال ابن مالك(٦):

---

(١) ابن مالك في الألفية ٢١.
(٢) ابن يعيش في شرح المفصل ٢٢٠/٣، وابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٣٠٦.
(٣) النابغة، ديوانه، ت: د. شكري فيصل، ص ٢١٩.
(٤) ابن مالك في الألفية ٢١. التبريزي في شرح المعلقات ٣١٧.
(٥) ابن هشام في شرح قطر الندى ٢٩٧ وما بعدها.
(٦) ابن مالك في الألفية ٢١.

وَاْجْعَلْهُ إنْ لَمْ تَنْوِ مَحْذُوفاً كَمَا   لَوْ كَانَ بالآخِرِ وَضْعاً تُمِّمَا
فَقُلْ عَلَى الأَوَّلِ في ثَمُودَ: يَاْ   ثَمُو، ويا ثَمِي عَلَى الثاني بِيَا

● **المحذوف للترخيم:**

١ ـ إما حرف: وهو في الغالب مثل: يا سعا ويا مال في يا سعاد ويا مالك.

٢ ـ وإما حرفان: وذلك إذا كان الذي مثل الآخر من أحرف اللين: ساكناً، زائداً مكملاً أربعة فصاعداً، وقبله حركة من جنسه لفظاً كمروان ومنصور وأسماء ومسكين، أو تقديراً مثل: مصطفون، ومصطفين، علمين، كما في مثل قول الفرزدق(1):

يا مروُ إن مطيتي محبوسةُ   تَرْجُو الحِبَاءَ وَرَبُّهَا لَمْ يَيْأَسِ

«فمرو» منادى مرخم بحذف الألف والنون، وأصله مروان.

وقول لبيد:

يا اسمُ صَبْراً عَلَىْ مَاْ كَاْنَ مِنْ حَدَثٍ   إنَّ الحَوَادِثَ مَلقِيٌّ ومنتظر

«اسم» منادى مرخم بحذف الألف والهمزة وأصله أسماء.

قال ابن مالك(2):

وَمَعَ الآخِرِ آحْذِفِ الذي تَلاَ   انْ زِيْدَ لَيْناً ساكِناً مُكَمِّلاَ
أرْبَعَةً فَصَاْعِداً والخُلْفُ في   وَاوٍ وَيَاءٍ بِهِمَاْ فَتْحٌ قُفِي

ولا يجوز في شمأل وهو علم لأن زائدة وهو الهمزة غير حرف لين، ومثل قنَّور وهو علم لتحرك حرف اللين، ومختار وهوعلم لاصالة الألف وخالف ذلك الأخفش. وسعيد، لأن السابق على حرف اللين اثنان، وخالف ذلك الفراء(3).

---

(1) الفرزدق، ديوانه ٤١٧/١، وابن يعيش في شرح المفصل ٢٢٠/٢، والعيني في المقاصد النحوية ٢٩٢/٤، والأشموني ١٧٨/٣، والأزهري في التصريح ٢٢٦/٢.

(2) ابن مالك في الألفية ٢١.

(3) ابن هشام في شرح قطر الندى، ٣٠٢.

أما مصطفَوْن ومُصْطَفَيْنَ فأصلها مُصْطَفَيُون، ومُصْطَفَيينْ.

٣ ـ واما أن يكون المحذوف كلمة برأسها وذلك في المركب المزجي، كما في معدي كرب، وسيبويه، يا معدي، ويا سيب.

٤ ـ واما أن يكون المحذوف كلمة وحرفا وذلك في «اثنا عشر» نقول يا اثْنَ، لأن عشر في موضع النون، فنزلت هي والألف منزلة الزيادة في «اثنان» علما.

ملحوظات:

يختص ما فيه تاء التأنيث بما يلي:

١ ـ لا يشترط لترخيمه علمية ولا زيادة على الثلاثة كما ذكرت.

٢ ـ إذا حذفت منه التاء توفر من الحذف، ولم يستتبع حذفها حذف حرف قبلها فتقول في عقنباه (حديدة المخالب للعقاب) يا عقنبا.

٣ ـ لا يرخم إلا على نية المحذوف، تقول في مسلمة وحارثة وحفصة: يا مُسْلِمَ، ويا حَارِثَ، ويا حَفْصَ ـ بالفتح لرفع الالتباس بنداء مذكر لا ترخيم فيه. فان أمن اللبس جاز كما في حمزة ومسلمة.

٤ ـ نداؤه مرخّماً أكثر من ندائه تاماً، كما في قول امرىء القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

لكن يشاركه في هذا مالك وحارث وعامر، لأن ترخيمها أكثر من تركه لكثرة استعمالها في النداء. مثل قول النابغة الذبياني[1]:

فَصَالِحُونا جَمِيعاً انْ بدا لَكُمُ ولا تَقُولُوا لنا أمثالها عَامِ

* * *

(١) ابن هشام في شرح قطر الندى، ٢٩٩.

الفصل الرابع النـــــداء في القرآن الكريم

أ ـ رصد الآيات القرآنية التي تحتوي على نداء:

ورد النداء في القرآن الكريم في آيات كثيرة ملفوظاً أو مقدراً، ومن خلال تقصي النداء في القرآن الكريم تبين لنا أنه ورد في افتتاحيات[1] اثنتي عشرة سورة من مجموع القرآن البالغ مائة وأربع عشرة سورة، وذلك في سورة النساء: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، ان الله كان عليكم رقيباً﴾[2].

وسورة المائدة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، أحلت لكم بهيمة الانعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم، ان الله يحكم ما يريد﴾[3].

---

(١) افتتاحيات السور القرآنية على أنواع: منها الحروف المقطعة التي تسمى بفواتح السور مثل: ألم، ألمر، كهيعص، وبشأنها دارت تفسيرات متباينة، ومقدمات تبدأ بالثناء على الله وتعداد فعاله من صفات العظمة والجلال كقوله في أول سورة الحديد والصف والحشر: «سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم» أو تبدأ بتعظيم كتاب الله وتقديره كقوله في أول سورة الكهف: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب..» وقد تبدأ باستفهام أو شرط للغرض نفسه كقوله تعالى في أول سورة العنكبوت: «أحسب الناس أن يتركوا سدى»، أو بنداء الناس أو المؤمنين أو الرسول للأمر بشيء ذي بال، أو النهي عن أمر شديد النكر كما في النساء والمائدة والحج وغيرها. راجع د. بكري الشيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ط: دار الشروق ـ بيروت، أولى ١٩٧٣، ص ٢١١.

(٢) سورة النساء / ١.

(٣) سورة المائدة / ١.

وسـورة طـه: ﴿طـه: مـا أنـزلنـا عليــك القـرآن لتشقى، إلا تـذكـرة لمن يخشى﴾[1].

وسـورة الحـج: ﴿يـا أيهـا النـاس اتقـوا ربكم، ان زلـزلـة السـاعـة شيء عظيم﴾[2].

وسورة الأحزاب: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافـرين والمنافقـين، ان الله كان عليماً حكيماً﴾[3].

وسـورة يس: ﴿يس «والقـرآن الحكيم، انــك لمن المـرسلين، عــلى صراط مستقيم﴾[4].

وسـورة الحجرات: ﴿يـا أيها الـذين آمنوا لا تقـدموا بـين يدي الله ورسـوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾[5].

وسـورة الممتحنة: ﴿يـا أيها الـذين آمنوا لا تتخـذوا عدوي وعـدوكم أوليـاء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول، واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيـلي وابتغاء مـرضاتي تسرّون إليـه بـالمودة، وأنـا أعلم بمـا أخفيتم ومـا أعلنتم، ومن يفعله منكم فقـد ضـل سـواء السبيل﴾[6].

وسورة الطلاق: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصـوا العدة، واتقو الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يـأتين بفـاحشة مبينة، وتلك حدود الله، ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه، لا تدري لعل الله

---

(١) سورة طه / ١.
(٢) سورة الحج / ١.
(٣) سورة الأحزاب / ١.
(٤) سورة يس / ١ ـ ٤.
(٥) سورة الحجرات / ١.
(٦) سورة الممتحنة / ١.

يحدث بعد ذلك أمراً﴾[1].

وسورة التحريم: ﴿يـا أيها النبي لم تحـرم ما أحـل الله لك، تبتغي مـرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾[2].

وسورة المزمل: ﴿يا أيهـا المزمـل، قم الليل إلا قليـلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾[3].

وسورة المدثر: ﴿يا أيهـا المدثـر، قم فأنـذر، وربك فكـبر، وثيابـك فطهـر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر﴾[4].

وأما الآيات التي تحتوي على نداء فقد بلغ عددها ٤٧٩ آية.

ب ـ إلى من يتوجه النداء في القرآن الكريم؟

لقد نادى الله تعالى في القرآن الكريم: العام والخاص، وجميع أصناف خلقه من جن وأنس ﴿يا معشر الجن والأنس. . .﴾[5].

وأرض وسماء: ﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي. .﴾[6].

ونفس: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية. . .﴾[7].

كما نادى الأنبيـاء والرسـل ونـاداهم بـأسمائهم ﴿وقلنـا يـا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، وكـلا منها رغـدا حيث شئتما ولا تقـربا هـذه الشجرة فتكـونا من

---

(١) سورة الطلاق / ١.
(٢) سورة التحريم / ١.
(٣) سورة المزمل / ١ ـ ٤.
(٤) سورة المدثر / ١ ـ ٧.
(٥) سورة الانعام / ١٢٨ ـ ١٣٠، سورة الرحمن / ٣٣.
(٦) سورة هود / ٤٤.
(٧) سورة الفجر / ٢٧.

الظالمين﴾[1]، ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك. . ﴾[2]، ﴿وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا. . . ﴾[3]، ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق. . . ﴾[4]، ﴿يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا. . . ﴾[5]، ﴿قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي﴾[6]، ﴿إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إليّ﴾[7]، ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك. . ﴾[8]، ﴿يوسف أعرض عن هذا. . . ﴾[9].

ونادى محمداً بقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[10]. و ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر. . . ﴾[11].

ونساء النبي: ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف له العذاب ضعفين. . ﴾[12].

كما نادى الناس: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[13].

والانسان: ﴿يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم﴾[14].

والمؤمنين: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[15].

وأهل الكتاب: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾[16].

---

(1) سورة البقرة / ٣٥.
(2) سورة هود / ٤٨.
(3) سورة الصافات / ١٠٤.
(4) سورة ص / ٢٦.
(5) سورة مريم / ٧.
(6) سورة الاعراف / ١٤٤.
(7) سورة آل عمران / ٥٥.
(8) سورة المائدة / ١١٠.
(9) سورة يوسف / ٢٩.
(10) سورة الانفال / ٦٤.
(11) سورة المائدة / ٤١.
(12) سورة الأحزاب / ٣٠.
(13) سورة البقرة / ٢١.
(14) سورة الانفطار / ٦.
(15) سورة النور / ٣١.
(16) سورة المائدة / ٢٥.

والكافرين: ﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون﴾[1].

وخاطب الشيء منه عاماً «ظاهراً» يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاماً «ظاهراً» يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاماً وظاهراً يراد به الخاص، وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام وأوسطه أو آخره[2].

أما العام فإنه يتخيل فيه التخصيص فقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم. . .﴾[3] قد يخص منه غير المكلف[4]، وقد يرد العام مخصوصاً بحيث لم يرد شموله لجميع الأفراد لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها، وقد يراد عمومه شموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لا من جهة الحكم»[5].

فيا أيها الرسول: هل يشمل الأمة، نعم انه يشملها باعتباره الأسوة واتباعه واجب لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾[6].

وقوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[7].

وفي رأي الأصوليين المنع لاختصاص الصيغة به.

ويا أيها الناس: هل يشمل الرسول؟ على مذاهب أصحها وعليه الأكثرون يشمل الرسول لعموم الصيغة به، أخرج ابن أبي حاتم عن الزهري قال: إذا قال

---

(١) سورة الكافرون / ١.
(٢) الشافعي محمد بن ادريس، الرسالة، ت: أحمد محمد شاكر، ط: البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٧ ص ٥١ ـ ٥٢.
(٣) سورة الحج / ١.
(٤) السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ط: دار الفكر بيروت جـ٢/١٦.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) سورة الأحزاب / ٢١.
(٧) سورة الحشر / ٧.

الله: يا أيها الذين آمنوا فالنبي ﷺ منهم، وفي رأي الأصوليين أن «يا أيها الناس» يشمل الرسول لأنه يرد على لسانه لتبليغ غيره، وهذا الخطاب يشمل الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم حرهم وعبدهم لعموم اللفظ، وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف منافعه إلى سيده شرعاً[1].

ويمكن حصر نداء القرآن في الأوجه التالية:

١ - نداء العام والمراد به العموم كقوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...﴾[2].

٢ - نداء العام والمراد به الخصوص كقوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾[3] لم يدخل فيه الأطفال والمجانين.

٣ - نداء الخاص والمراد به الخصوص كقوله: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...﴾[4].

٤ - نداء الخاص والمراد به العموم كقوله: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة..﴾[5]، فالنداء للنبي والمراد سائر على من يملك الطلاق.

٥ - نداء الجنس كقوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[6].

٦ - نداء النوع كقوله: ﴿يا بني اسرائيل...﴾[7]، ﴿يا بني آدم..﴾[8].

---

(١) سورة السيوطي، جلال الدين: الاتقان ١٨/٢.
(٢) سورة الحجرات / ١٣.
(٣) سورة النساء / ١.
(٤) سورة المائدة / ٦٧.
(٥) سورة الطلاق / ١.
(٦) سورة الأنفال / ٦٤.
(٧) سورة البقرة / ٤٠.
(٨) سورة الأعراف / ٢٦.

٧ ـ نداء العين مثل: ﴿يا آدم﴾(١)، ﴿يـا نوح﴾(٢)، ﴿يـا ابراهيم﴾(٣)، ﴿يـا موسى﴾(٤)، ﴿يا عيسى﴾(٥).

٨ ـ نـداء الجمع بلفظ الـواحد كقـوله: ﴿يـا أيها الانسـان ما غـرك بـربـك الكريم﴾(٦).

٩ ـ نـداء الواحـد بلفظ الجمع كقـوله: ﴿يـا أيها الـرسل كلوا من الـطيبات واعملوا صـالحاً إني بمـا تعملون عليم، وان هذه أمتكم أمة واحدة، وانـا ربكم فاتقون، فتقطعوا أمـرهم بينهم زبراً، كـل حزب بمـا لديهم فـرحون، فـذرهم في غمرتهم حتى حين..﴾(٧). فهو نداء لمحمد ﷺ إذ لا نبي معه ولا بعده.

١٠ ـ نداء الاثنين بلفظ الواحد كقـوله: ﴿فمن ربكـما يـا مـوسى﴾(٨) أي ويا هـارون، وفيه وجهـان: أحدهمـا أنه أفـرده بالنـداء للدلالـة عليـه، والآخر لأنـه صاحب الرسالة، والآيات، وهارون تبع له.

١١ ـ نـداء العين والمـراد به الغـير كقولـه: ﴿يا أيهـا النبي اتق الله ولا تـطع الكافرين والمنـافقين﴾(٩)، نـداء له والمـراد أمته لأنـه كان تقيـاً وحاشـاه من طاعـة الكافرين والمنافقين.

١٢ ـ نداء المعدوم ويصح ذلك تبعاً لموجود كقوله: ﴿يا بني آدم﴾ فـانه نـداء لأهل ذلك الزمان، ولكن من بعدهم.

---

(١) سورة البقرة / ٣٥.
(٢) سورة هود / ٤٨.
(٣) سورة الصافات / ١٠٤.
(٤) سورة الأعراف / ١٤٤.
(٥) سورة آل عمران / ٥٥.
(٦) سورة الانفطار / ٦.
(٧) سورة المؤمنون / ٥١ ـ ٥٤.
(٨) سورة طه / ٤٩.
(٩) سورة الأحزاب / ١.

ونستخلص من خلال النماذج المذكورة من آيات النداء بالنسبة إلى النبي ثلاثة أقسام من النداء: قسم لا يصلح إلا للنبي، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم له ولغيره.

وقد يرد السؤال التالي بشأن النداء في القرآن، لِمَ كثر النداء بيا أيها دون غيرها؟ أجيب عن ذلك بأن فيها من التأكيد وأسباب المبالغة منها ما في يا من التأكيد والتنبيه، وما في ها من التنبيه، وما في التدرج من الابهام في أي إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده ومن أخبار الأمم الماضية وغير ذلك.. أمور عظام، وخطوب جسام ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهم غافلون فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ(١)

جـ ـ ما الغاية من استخدام النداء في القرآن الكريم؟

النداء طلب واستحضار يراد منه إقبال المدعو على الداعي ليتمكن من توجيه ما يريد إليه، ويصحب في ذلك غالباً الأمر والنهي، أخرج البيهقي وأبو عبيدة وغيرهما عن ابن مسعود قال: «إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا، فأوعها سمعك فانه خير يؤمر به، أو شر ينهى عنه».

ويندرج هذا الحكم على كل من توجه القرآن إليهم بالنداء مع تباين بالمعاني المقصودة بالنداء لكل فئة.

وكثيراً ما يعقب النداء الأمر والنهي كقوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾(٢)، ﴿يا عباد فاتقون﴾(٣)، ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾(٤)، ﴿يا أيها الذين

---

(١) السيوطي، جلال الدين: الاتقان ٢/٧٥ ـ ٨٣.
والزمخشري جار الله أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ط: دار المعرفة، بيروت مصورة عن طبعة البابي الحلبي القاهرة، جـ١/٢٢٤ وما بعدها.
(٢) سورة النساء / ١.
(٣) سورة الزمر / ١٦.
(٤) سورة المزمل / ١ ـ ٢.

آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾[1]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء..﴾[2].

وقد يتأخر النداء كقوله: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾[3].

وقد يصحب الجملة الخبرية فتعقبها جملة الأمر كقوله: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له﴾[4]، ﴿يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها﴾[5].

وقد يصحبه الاستفهام كقوله: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾[6]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون..﴾[7]، ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾[8].

وقد يرد النداء في القرآن مجازاً لدواع وأغراض نتعرض لها في المعاني التي يخدمها النداء.

د ـ المعاني التي يخدمها النداء في القرآن الكريم:

من خلال القرآن عامة، وآيات النداء خاصة يلمح القارىء قوة الأسلوب، وترابط الأفكار، واشتمالاً على أصول التشريع وسياسة الخلق وقواعد الحكم وآداب المعاملة، ونظام العبادات، ودعوة إلى التوحيد، ولفت الأنظار إلى قدرة الله البالغة، وعلمه المحيط بكل شيء، والبرهان على صدق الرسالة المحمدية وأنها متممة للرسالات السابقة التي تعتبر كلها سلسلة من الهدى والنور تضيء

---

(١) سورة الحجرات / ١.
(٢) سورة الممتحنة / ١.
(٣) سورة النور / ٣١.
(٤) سورة الحج / ٧٣.
(٥) سورة الأعراف / ٧٣.
(٦) سورة مريم / ٤٤.
(٧) سورة الصف / ٢.
(٨) سورة التحريم / ١.

للبشرية طريقها، وتحدد لها سلوكها لتستشرف بإنسانية الانسان إلى المكانة اللائقة به والتي أرادها الله له.

ومن المعاني التي يخدمها النداء في القرآن الكريم:

١ ـ نداء القرآن للتذكير بالنعمة وما أصاب من التوت عقولهم عن قبول دعوة الحق من أنبيائهم: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون﴾(١).

٢ ـ الدعوة إلى إلتزام أحكام الاسلام وعدم الاعتداء، وتبيان ما اشتمل عليه التشريع الاسلامي: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى، الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم..﴾(٢).

٣ ـ تقرير وحدانية الله وأنه وحده الحي الذي لا يدركه الفناء، وله الهيمنة والقدرة النافذة: ﴿قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير، انك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾(٣).

٤ ـ تحذير المؤمنين من وسائل المنافقين وخداع اليهود والمشركين: ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾(٤).

٥ ـ الدعوة إلى التقوى والترابط والاعتصام بحبل الله حتى تدوم الوحدة ولأن

---

(١) سورة البقرة / ٤٠.
(٢) سورة البقرة / ١٧٨.
(٣) سورة آل عمران / ٢٦ ـ ٢٧.
(٤) سورة آل عمران / ١٠٠.

الفرقة هلكة والجماعة نجاه[1]: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[2].

٦ ـ الدعوة إلى الصبر واحتمال الأذى بالقول والعمل لأنه ما من أمة صبرت وعملت إلا سمت وعزت: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[3].

٧ ـ الدعوة إلى الثقة بالله والاعتماد عليه بعد الأخذ بالأسباب: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار، ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار﴾[4].

٨ ـ التحذير من ولاية غير المؤمنين، وأن لا إيمان ولا صلة بالله مع تولي الكفار: ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾[5].

٩ ـ الوفاء بالعقود: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾[6].

والعقود جمع عقد وهو ما يلتزمه المرء لنفسه أو لغيره، وقد يكون شيئاً فطرياً تدعو إليه الطبيعة وقد يكون شيئاً تكليفياً تدعو إليه العقيدة وقد يكون شيئاً عرفياً يدعو إليه الالتزام والتعاهد، والعقد العرفي: أي المتعارف عليه من عامة الناس يكون بين الفرد والفرد، كما في البيع والزواج والشركة والوكالة والكفالة وغير ذلك مما تعارف عليه الناس من وجوه الاتفاقات.

والكلمة عامة في الآية فانها تنادي بالوفاء بالعقود فتشمل العقود كلها على اختلاف أنواعها وتدخل فيها المعاملات والمعاهدات وإقامة الحدود وتحريم

---

(١) القرطبي، عبد الله، الجامع لأحكام القرآن ١٥٩/٤، ط: القاهرة ١٩٦٧.
(٢) سورة آل عمران / ١٠٢.
(٣) سورة آل عمران / ٢٠٠.
(٤) سورة آل عمران / ١٩١ ـ ١٩٢.
(٥) سورة آل عمران / ١٤٩ ـ ١٥٠.
(٦) سورة المائدة / ١.

المحرمات بوصفها داخلة في عقد الاسلام بين الله ورسوله والذين آمنوا بالله ورسوله.

١٠ ـ المحافظة على شعائر الله وعدم إحلالها: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله﴾(١).

١١ ـ الطهارة حين إرادة الصلاة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا..﴾(٢).

١٢ ـ نداء القرآن للايمان برسالة الحضارة السابقة قبل عهد الرسول ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾(٣).

وهكذا ساوى بين الايمان برسول الله ﷺ والايمان بالرسل السابقين عليه عليهم السلام وبين الايمان بالكتاب الذي هو القرآن والموحى به إلى رسول الله، وبالكتاب الذي أنزل من قبل أي التوراة، لأن رسالة الله في أي عهد تستهدف ما تستهدفه رسالته في القرآن، وهو معاونة الانسان على الانتقال من مستوى الجاهلية إلى مستوى الحضارة الانسانية: ﴿يا بني آدم: اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي، فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(٤).

١٣ ـ إيثار الاستمرار في الترابط والبقاء في دائرته على أساس القيم الانسانية وليس على أساس العصبية الأسرية والقبلية والشعوبية: ﴿يا أيها الذين آمنوا: لا

(١) سورة المائدة / ٢.
(٢) سورة المائدة / ٦.
(٣) سورة النساء / ١٣١.
(٤) سورة الاعراف / ٣٥ ـ ٣٦.

تتخـذوا آباءكم واخـوانكم أولياء ان استحبـوا الكفر عـلى الايمان﴾ أي أصـدقـاء يخلص بعضهم لبعض ويشـير بعضهم على بعض وآثـروا البقـاء في الجـاهليـة ولم يرغبوا في الانتقال من مستواها إلى مستوى الحضارة البشرية ﴿ومن يتولهم منكم﴾ أي يصادقهم منكم ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

واستمرار الترابط على أساس من القيم العليا إن كان ظاهرة تدل على التجرد من العوامل الشخصية، فان هذا الترابط على أساس منهـا أبقى وأنقى من الترابط عـلى أساس العصبيـة، أو المال، فـالعصبية في الأولاد أو المـال في جمعه: كـلاهمـا ينطوي على عامل التفرقة، كما ينطوي على عامل التجميع يقـول تعالى: ﴿يـا أيها الـذين آمنـوا: ان من أزواجكم وأولادكم عـدواً لكم فـاحـــذروهم، وان تعفـوا وتصفحـوا وتغفروا فـان الله غفور رحيم، إنمـا أمـوالكم وأودلاكم فتنـة﴾ مصـدر تجربة وفتنة ﴿والله عنده أجر عظيم، فـاتقوا الله مـا استطعتم واسمعـوا وأطيعوا، وانفقـوا خـيراً لأنفسكم، ومن يـوق شـح نفســه فـأولئـك هم المفلحـون﴾[1]، والمفلحـون هم الذين يـترابطون عـلى أساس الايمـان بـالقيم العليـا، وليس عـلى أساس العصبية. . . أو المال.

١٤ ـ تـوفير الاعتبـار الانساني والكـرامة البشريـة لكل فـرد بغض النظر عن اللون والنسب والعرق والجاه والمال. ﴿يا أيها الذين آمنـوا لا يسخر قـوم من قوم عسى أن يكـونوا خـيراً منهم، ولا نساء من نسـاء عسى أن يكن خـيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي لا يعب بعضكم بعضاً ﴿ولا تنـابزوا بـالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ فالايمان من شأنه أن يسوي بين المؤمنين في الاعتبار البشري والتـداعي بالألقـاب السيئة من شـأنه أن يعيـد الفجـوة في هـذا الاعتبـار بينهم، والتنـابز بـالألقاب فسق وخـروج عن مطلوب الايمـان ﴿ومن لم يتب فأولئـك هم الظالمون، يا أيها الـذين آمنوا اجتنبـوا كثيراً من الـظن، ان بعض الظن اثم، ولا تجسســوا ولا يغتب بعضكم بعضـاً، أيحب أحـدكم أن يـأكــل لحم أخيه ميتـاً

---

(١) سورة التغابن / ١٤ ـ ١٦.

فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾[1].

وتوفير الاعتبار البشري لكل فرد في المجتمع يكون بانتهاء الانسان فيه عن السخرية من غيره، وعن لقائه بما يكره، وعن تحديد موقفه منه على أساس الظن وحده، وعن التجسس عليه، والقول بشأنه ما فيه نقص وعيب، لأن من شأن ذلك تعكير صفو العلاقات الطيبة التي يجلبها الايمان بالله والانتقال إلى مستوى الحضارة الانسانية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم، والله بما تعملون عليم، ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾[2].

وبذلك ضمن القرآن حرمة السكن الشخصي بعد أن أكد حرمة الشخص ذاتها وذلك من عوامل توفير الكرامة الانسانية للشخص في المجتمع.

١٥ ـ الدعوة إلى التفاضل بين الأفراد على أساس التمايز بينهم في مستوى الانسانية وحده. . . وليس على أساس مادي آخر، يقول تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3].

فالتفاضل بمقدار المستوى في تحقيق هذه القيم الذي يبلغه أي واحد منكم ﴿إن الله عليم خبير﴾ هو وحده الذي يعلم ما أبقى وأنقى في حياة الانسان. مما هو مشتت ومفرق، وهو مع علمه التام الخبير أيضاً بحقائق كل ما يوصي به.

١٦ ـ إبراز المسؤولية الفردية: ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه، ومن ضل فانما يضل عليها، وما أنا

---

(١) سورة الحجرات / ١١ ـ ١٢.
(٢) سورة النور / ٢٧ ـ ٢٩.
(٣) سورة الحجرات / ١٣.

عليكم بوكيل﴾.

وأبرز مسؤولية الفرد في إيمانه بالله... وانتقاله إلى المستوى الانساني في التفكير، وادراك الجهال في الحياة والعمل الارادي، وكذلك أبرز مسؤوليته عن حيرته وبقائه في جاهليته، والرسول المبلغ لوحي الله لا تتجاوز رسالته تبليغها إلى الأفراد، وبذلك لا يشارك غيره المسؤولية، في أي اتجاه يسلكه.

١٧ ـ سرية اجتماع اثنين أو أكثر على الخير وحده أي على عدم الاعتداء على الآخرين، يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾[١]. ينهى عن التآمر وتدبير الاعتداء، ويأمر بأن تكون سرية أي اجتماع متمحضة للخير والمصلحة العامة، يؤثر السلام والصفاء في علاقات الأفراد في المناجاة وأحاديث الناس في سرية على التدبير للهدم.

١٨ ـ التكافؤ في انتاج الانسان وعمله من أجل الرزق في الدنيا من جانب، وعبادته لله من جانب آخر: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[٢].

سوى بين وجوب أداء صلاة الجمعة إذا حلّ وقتها، ومباشرة السعي بعد الانصراف من ادائها من أجل الرزق في ضروب الحياة المختلفة، كما أوضح أن العبادة والمحافظة عليها مقدمة ضرورية لنجاح الانسان في حياته: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾.

وهذه المساواة في الحرص على الأداء بين العبادة والسعي للرزق تعطي الدليل الساطع على ايجابية الدعوة الاسلامية في حياة الانسان.

---

(١) سورة المجادلة / ٩.
(٢) سورة الجمعة / ١٠٩.

١٩ ـ العدل والشورى وعدم اتباع الهوى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾[١].

والعدل في الشهادة: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله﴾ مقيمين لأوامره ومطيعين لها ﴿شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا﴾ أي لا يحملنكم بغض قوم بسبب كفرهم على عدم العدل نحوهم فتعتدون عليهم ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾[٢].

وبالعدل بين ما يفعله الانسان، وما يتحدث عنه ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ وبالعدل في العهود والعقود والوفاء بها كما ذكرت في رقم ٩.

٢٠ ـ استنكار الاحتراف بالقيم العليا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾[٣].

والقيم العليا هي التي حملها جميع أفراد المجتمع على اختلاف حرفهم.

٢١ ـ الرجوع بالخصومة في الرأي إلى المصدر الأصيل للدعوة: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[٤].

٢٢ ـ الحفاظ على النفس والمال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم، ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾[٥].

---

(١) سورة النحل / ٩٠.
(٢) سورة المائدة / ٨.
(٣) سورة الأحزاب / ٤٠.
(٤) سورة النساء / ٥٩.
(٥) سورة النساء / ٢٩.

٢٣ ـ تبيـان أن المادية عدو الحضـارة الانسانيـة وعدو دائم لـلايمـان بـالقيم العليـا[1]، وتجر الانسـان إلى الحيوانيـة والفسـاد في الحيـاة الانسـانيـة ويجب عـدم مصادقة الماديين: ﴿يا أيها الـذين آمنوا لا تتخـذوا عدوى وعـدوكم أولياء تلقـون إليهم بـالمودة﴾ و﴿ان يثقفـوكم يكـونـوا لكم أعـداء، ويبسـطوا إليكم أيـديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾[2].

٢٤ ـ وصف البنوة لآدم: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى﴾[3]، ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد. . .﴾[4].

٢٥ ـ الوصف بالانسانية والمساواة فيها: ﴿يـا أيها النـاس اتقوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحدة﴾[5]، ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى. .﴾[6].

٢٦ ـ ذكر سلوك الناس في الحياة مسلكين اثنين: العزوف عن الآخرة، وجمع الدنيا مع الآخرة: ﴿فمن الناس من يقول: ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنـة وقنا عـذاب النار﴾[7].

٢٧ ـ التكريم بالوصف المحبوب عند الله لرفع المكانة: ﴿يا أيها الذين آمنـوا استعينوا بالصبر والصلاة، ان الله مع الصابرين﴾[8].

أخرج ابن أبي حاتم عن خيثمة قال: ما تقرأون في القرآن يا أيها الذين آمنوا فانه في التـوراة: يا أيهـا المساكـين، وأخرج البيهقي وأبـو عبيدة وغـيرهما عن ابن

---

(١) د. محمد البهي، نحو القرآن ط: القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٠.
(٢) سورة الممتحنة / ٢.
(٣) سورة الاعراف / ٢٦.
(٤) سورة الاعراف / ٣١.
(٥) سورة النساء / ١.
(٦) سورة الحجرات / ١٣.
(٧) سورة البقرة / ٢٠٠.
(٨) سورة البقرة / ١٥٣.

مسعود قال: «إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا، فأوعها سمعك فإنه خير يؤمر به، أو شر ينهى عنه».

ان النداءات القرآنية للمؤمنين تربية عملية لهم وبيان للطريق السوي التي يجب إثباتها في الشعائر والعبادات والمعاملات والمعاهدات، والنداء للمؤمنين بصفة الايمان تذكير لهم بأن عليهم أن يعملوا بمقتضى هذا الايمان وقوامه التصديق الباطني بوجود الله والتزام أوامره واجتناب نواهيه.

٢٨ ـ تبيان ان الاسلام دعوة للبشرية كلها في عقيدته وشريعته وفي عباداته وفي نظمه وأخلاقه[١]: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾[٢].

فالاسلام حق: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم، فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه، ومن ضل فانما يضل عليها، وما أنا عليكم بوكيل﴾[٣]. والحق هو ما تشهد به الفطر التي لم تفسد، وتطمئن إليه النفوس التي لم تدنس، وتطيب به الحياة التي لم ينحرف أهلها عن الصراط المستقيم، والحق يتنوع الى حق في العقيدة وفي العبادة «الله أحد»، «اياك نعبد» ولدعوة الحق صور وجوانب:

فالدعوة إلى الايمان بالله وتوحيده في العبادة والاستعانة دعوة إلى الحق.
والدعوة إلى مكافحة الظلم والطغيان وإقرار بالعدل بين الناس دعوة إلى الحق.

والدعوة إلى تطهير النفوس والمجتمعات من الفساد والتقاليد الضارة دعوة إلى الحق.

والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من موالاة الأعداء ونبذ الأمور الشخصية والمعاني الذاتية في سبيل الصالح العام والتضامن

---

(١) الامام محمود شلتوت. من توجيهات الاسلام، ط: دار القلم بالقاهرة ١٩٦٦.
(٢) سورة النساء / ١٧٤ ـ ١٧٥.
(٣) سورة يونس / ١٠٨.

العام دعوة إلى الحق.

والدعوة إلى نشر دين الله وبث تعاليمه خالصة نقية من البدع دعوة إلى الحق.

٢٩ ـ أدب المجالس: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم، وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا﴾[١].

٣٠ ـ أدب تلقي الأخبار واذاعتها: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[٢].

٣١ ـ الاخلاص في العقيدة والعمل وتزكية النفوس بالأخلاق الفاضلة، وبهذه العناصر يكون الانسان في نفسه وفي جماعته محل عناية الله ومستودع سره وموضع كرامته، ويتجلى هذا المعنى في دعوة ابراهيم وولده اسماعيل: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾[٣].

٣٢ ـ الذم والاهانة: ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾[٤]، ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[٥].

٣٣ ـ الكرامة: ﴿يا أيها النبي﴾[٦]، ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾[٧].

٣٤ ـ التحنن والاستعطاف: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾[٨].

---

(١) سورة المجادلة / ١١.
(٢) سورة الحجرات / ٦.
(٣) سورة البقرة / ١٢٨.
(٤) سورة التحريم / ٧.
(٥) سورة الكافرين / ١.
(٦) سورة الأحزاب / ٤٥.
(٧) سورة المائدة / ٦٧.
(٨) سورة الزمر / ٥٣.

٣٥ ـ التحبب: ﴿يـا أبت﴾[1]، ﴿يـا بني انها إن تـك﴾[2]، ﴿يـا ابن أم لا تأخذ بلحيتي﴾[3].

٣٦ ـ التحـذيـر من الشيـطان من أن يصرف النـاس عن الـدين كـما صرف أبويهم بالاخراج من الجنة[4]. ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان. .﴾[5].

٣٧ ـ الدعوة إلى تقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه والجهـاد في سبيله: ﴿يا أيهـا الـذين آمنـوا اتقـوا الله وابتغـوا إليـه الـوسيلة، وجـاهـدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾[6].

٣٨ ـ عدم تحريم الطيبات التي أحلها الله: ﴿يا أيهـا الذين آمنـوا لا تحرمـوا طيبات ما أحل الله لكم، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين﴾[7].

٣٩ ـ تحريم الخمر والميسر: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[8].

٤٠ ـ الابتلاء بشيء من الصيد وتحـريم قتل الصيـد في حالـة الاحرام: ﴿يـا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تنـاله أيـديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم، يا أيها الذين آمنـوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمـداً فجزاء مثـل ما قتـل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة. . .﴾[9].

---

(١) سورة يوسف / ١٠٠.
(٢) سورة لقمان / ١٦.
(٣) سورة طه / ٩٤.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٧٦/٧.
(٥) سورة آل عمران / ٢٧.
(٦) سورة المائدة / ٣٥.
(٧) سورة المائدة / ٨٧.
(٨) سورة المائدة / ٩٠.
(٩) سورة المائدة / ٩٤ ـ ٩٥.

٤١ ـ عدم السؤال عما ترك الله بيان حكمه توسعه على عباده: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا أن أشياء أن تبدلكم تسؤكم﴾[١].

٤٢ ـ تحديد مسؤولية المؤمنين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[٢].

٤٣ ـ تبيان كيفية الشهادة على الوصية في حالة الموت أو السفر: ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله، إنا إذا لمن الآثمين﴾[٣].

٤٤ ـ نداء أهل الكتاب بأن محمداً قد جاء ليكشف لهم عن كثير مما كانوا يخفونه من كتاب الله الذي استحفظوا عليه: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. . .﴾[٤].

٤٥ ـ نداء ما بين إبراهيم واسماعيل يمثل صدق الأب في طاعته لله، وصدق الابن في الوفاء والامتثال: ﴿يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾[٥].

٤٦ ـ الدعوة إلى التوسط في الزينة: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾[٦].

---

(١) سورة المائدة / ١٠١.
(٢) سورة المائدة / ١٠٥.
(٣) سورة المائدة / ١٠٦.
(٤) سورة المائدة / ١٥.
(٥) سورة الصافات / ١٠٢.
(٦) سورة الأعراف / ٣١.

٤٧ ـ نداء المؤمنين بطاعة الله ورسوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله . . .﴾[١].

٤٨ ـ نداء المؤمنين إلى ترك الخيانة والبعد عن إفشاء الأسرار: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[٢].

٤٩ ـ نداء المؤمنين بالثبات وذكر الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[٣].

٥٠ ـ الدعوة إلى التوحيد، على لسان هود: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٤].

وعلى لسان صالح: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٥].

وعلى لسان شعيب: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٦].

وعلى لسان نوح: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾[٧].

٥١ ـ مناجاة نوح ربه بشأن ولده، وتنبيه الله لنوح بأن الصلة منقطعة بينه وبين ابنه في نسب الايمان: ﴿رب إن إبني من أهلي وإن وعدك الحق، يا نوح انه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾[٨].

٥٢ ـ نداء يوسف لأبيه لاخباره بما رآه في منامه، ونداء يعقوب لابنه يوسف وتحذيره من ذكر الرؤيا: ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. . . يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً،

(١) سورة الأنفال / ٢٠.
(٢) سورة الأنفال / ٢٧.
(٣) سورة الأنفال / ٤٥.
(٤) سورة هود / ٥٠.
(٥) سورة هود / ٦١.
(٦) سورة هود / ٨٤.
(٧) سورة المؤمنون / ٢٣.
(٨) سورة هود / ٤٦.

إن الشيطان للانسان عدو مبين﴾[1].

٥٣ ـ نداء لتبيان الفارق بين التوحيد والشرك: ﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾[2].

٥٤ ـ نداء يوسف ربه وإيثاره دخول السجن للنجاة من كيد النساء: ﴿رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه..﴾[3].

٥٥ ـ النداء بطلب حسن الخاتمة والسير في موكب الذين أنعم الله عليهم: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السموات والأرض، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً والحقني بالصالحين﴾[4].

٥٦ ـ مناجاة زكريا ربه مبيناً ضعفه، ورعاية الله وعطفه على زكريا وتعجيل البشرى له ومواجهة زكريا بالواقع: ﴿رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً...، يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا..، رب أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً، وقد بلغت من الكبر عتياً﴾[5].

٥٧ ـ نداء الله ليحيى لحمل عبء الرسالة: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة...﴾[6].

٥٨ ـ نداء إبراهيم لأبيه بترك عبادة الأصنام: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾[7].

٥٩ ـ نداء الله للرسول الرأفة بنفسه، وان نزول القرآن عليه ليسعد لا

---

(١) سورة يوسف / ٤ ـ ٥.
(٢) سورة يوسف / ٣٩.
(٣) سورة يوسف / ٣٣.
(٤) سورة يوسف / ١٠١.
(٥) سورة مريم / ٤ ـ ٨.
(٦) سورة مريم / ١٢.
(٧) سورة مريم / ٤١ ـ ٤٢.

ليشقى: ﴿طه: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى﴾(١).

٦٠ ـ نداء الرسل إلى أكل الطيبات وعمل الصالحات: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً، إني بما تعملون عليم، وان هذه أمتكم أمة واحدة، وانا ربكم فاتقون﴾(٢).

٦١ ـ نداء بلقيس ربها معلنة اسلامها مع سليمان: ﴿قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾(٣).

٦٢ ـ نداء الأب (لقمان) ابنه مقدماً له خلاصة تجاربه وحكمته فيأمره بالتوحيد وينهاه عن الشرك ويحثه على بر الوالدين وطاعتهما فيما يأمران به إلا إذا أمرا بالشرك ونحوه، ويحثه على الصبر والاحتمال وعلى مكارم الأخلاق وآداب النفس والسلوك والبعد عن الكبر والبطر والالتزام بالرفق والهدوء والاعتدال: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله، ان الشرك لظلم عظيم، ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إليّ المصير. . .﴾(٤).

٦٣ ـ نداء الله المؤمنين وتذكيرهم بنعمته عليهم في دفع الأحزاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا﴾(٥).

٦٤ ـ نداء الله النبي إلى تخيير زوجاته بين الحياة الدنيا وبين الله ورسوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد

---

(١) سورة طه / ٢ ـ ٣.
(٢) سورة المؤمنون / ٥١ ـ ٥٢.
(٣) سورة النمل / ٤٤.
(٤) سورة لقمان / ١٣ ـ ١٩.
(٥) سورة الأحزاب / ٩.

للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾[1].

هـ ـ النداء في القرآن الكريم شواهد نحوية وبلاغية:

أثـار القرآن الكـريم منذ نـزوله حـركة فكـريـة عنـد العـرب، ودعـاهم إلى الالتفـات إليه لما جاء من جـديد في أسـاليب التعبـير والبيـان، وعلقت أفئـدتهم وأسماعهم بما جمع من كلام رائع، فلم يسعهم إلا التسلم بروعة الأثر، وانشغلت به طوائف كثيرة من الناس، كـل من ناحيـة اهتمامـه، المفسر والفقيه، والنحـوي والبلاغي ورجل الفكر. . .

وعلم النحو والبلاغة وغيرهما نشأت كلهـا للحفاظ عـلى القرآن من اللحن، وبيان أوجه بـلاغته، لـذلك فـان اللغويـين والنحويـين ألفوا كتبهم بـاسم «معاني القرآن» نذكر منهم الكسائي والأخفش والرؤاسي والمازني والفـراء والزجّـاج، وأبا علي الفارسي، وأبا جعفر النحاس، وفي كتبهم مزج بين النحو واللغة.

أما من استرعى اهتمامهم فنون التعبير في القرآن فقد وجهوا عنايتهم لأسلوبه ومعـانيه وصلة المعنى بـاللفظ من هؤلاء أبو عبيـدة معمر بن المثنى في كتـابه «مجـاز القـرآن» والجاحظ في كتـابه «نـظم القرآن» وابن قتيبـة في كتابـه «تأويـل مشكـل القرآن» وأبو الحسن الرماني في كتابه «النكت في إعجاز القرآن» والباقلاني في كتابه «إعجاز القرآن» وتعتبر هذه الكتب مرجعاً لكل باحث في خفايا التعبير العربي.

لـذلك فـان الشواهـد في الموضـوعات النحـوية والبـلاغية كـانت من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنصوص العربية القديمة الصادرة عن القبائـل العربية التي لم تخالطها عجمة.

ولم يشذ النداء عن هذا الاتجاه، وبتقصي باب النداء في كتب النحو والبلاغة التي أتيحت لنا فرصة الاطلاع عليها وجدنا فيها شـواهد قـرآنية نقتصر عـلى ذكر بعض منها:

---

(١) سورة الأحزاب / ٢٩.

ففي كتـاب سيبـويـه[1] وردت الآيـات: ﴿يـا جبـال أوبي معـه والـطير﴾[2]، ﴿اللهم فاطر السموات والأرض﴾[3]، ﴿يا عباد فاتقون﴾[4].

وفي كتاب الأصول في النحو لابن السراج[5] وردت الآيات: ﴿يـا جبال أوبي معه والطير﴾[6]، ﴿يا عباد فاتقون﴾.

وابن هشام[7] يذكر الآيات: ﴿يا نوح قـد جادلتنـا﴾[8]، ﴿يا جبـال أوبي معه والطير﴾[9]، ﴿يا عبادي لا خوف عليكم﴾[10]، ﴿يا عباد فاتقون﴾[11]، ﴿قال رب احكم بالحق﴾[12]، ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾[13]، ﴿يا حسرتا عـلى ما فرطت في جنب الله﴾[14]، ﴿يا أسفا على يوسف﴾[15]، ﴿قـال ابن أم ان القوم استضعفـوني﴾[16]، ﴿قال يـا ابن أمّ لا تـأخـذ بلحيتي﴾[17]، ﴿قـل اللهم فـاطـر السموات والأرض﴾[18]، ﴿يا أيها الناس﴾[19]، ﴿يا أيها النبي﴾[20].

---

(1) سيبويه، الكتاب ١٨٧/٢، ١٩٦/٢، ٣٠٩/٢.
(2) سورة سبأ / ١٠.
(3) سورة الزمر / ٤٦.
(4) سورة الزمر / ١٦.
(5) السراج، أبـو بكر، الأصـول في النحو ت، د. عبـد الحسين الفتـلي، مطبعـة النعـمان، النجف الأشرف ١٩٧٣ ص ٤٠٩ وص ٤١٥.
(6) راجـع ابن الجزري ـ النشر في القـراءات العشر ٣٤٩/٢، والفـراء، معـاني القـرآن ٣٥٥/١، والمبرد: المقتضب ٢١٤/٤.
(7) ابن هشام، عبد الله جمال الدين أبو محمد، شرح قطر الندى، ت: محمد محي الدين عبد الحميد ط ١٢، ١٩٦٦، مطبعة السعادة بمصر ص ٢٨٤ ـ ٢٩٥.
(8) سورة هود / ٣٢.
(9) سورة سبأ.
(10) سورة الزخرف / ٦٨.
(11) سورة الزمر / ١٦.
(12) سورة الأنبياء / ١١٢.
(13) سورة الزمر / ٥٣.
(14) سورة الزمر / ٥٦.
(15) سورة يوسف / ٥٦.
(16) سورة الأعراف / ١٥٠.
(17) سورة طه / ٩٤.
(18) سورة الزمر / ٤٦.
(19) سورة الحج / ١.
(20) سورة التحريم / ١، سورة الطلاق / ١.

ورد النداء في القرآن الكريم ملفوظاً: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة...﴾[1].

كما ورد مقدراً كما في قوله تعالى: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾[2]، ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾[3]، ﴿يوسف اعرض عن هذا﴾[4] أي يا ربنا ويا يوسف.

ويا وحدها ينادى بها أي وأية: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله...﴾[5]، ﴿يا أيتها النفس المطمئنة...﴾[6].

وتحذف أداة النداء في اسم الاشارة: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم﴾[7] أي ثم أنتم يا هؤلاء.

كما ورد النداء حقيقياً كما في الآية: ﴿وقلنا يا آدم..﴾، ومجازياً كما في قوله تعالى: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾[8].

وللتحسر كقوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾[9].

وبطلب الاستجابة: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا..﴾ والتنبيه كما في قوله: ﴿ألا يسجدوا﴾[10].

والتعجب كقوله: ﴿يا حسرة على العباد..﴾[11]. إلى ما هنالك من معان تفهم من سياق الآيات بمعونة قرائن الأحوال.

* * *

---

(1) سورة البقرة / ٣٥.
(2) سورة الممتحنة / ٤.
(3) سورة آل عمران / ٨.
(4) سورة يوسف / ٢٩.
(5) سورة الصف / ١٤.
(6) الفجر / ٢٧.
(7) سورة البقرة / ٨٥.
(8) سورة سبأ / ١٠.
(9) سورة النبأ / ٤٠.
(10) سورة النمل / ٢٥.
(11) سورة يس / ٣٠.

الفصل الخامس النـــــداء والبلاغة العربية

أ ـ النداء موضوع من موضوعات علم البلاغة:

النداء من موضوعات علم البلاغة، وبعد تقصي الجانب البلاغي للنداء وجدنا أنه يقوم بدور جماليّ وفقاً لمفهوم البلاغة العربية، مع الأخذ بعين الاعتبار كون النداء أسلوباً من أساليب الكلام العربي، ويدخل النداء في نطاق علم المعاني.

ومن أبرز الوجوه البلاغية فيه:

١ ـ كونه أسلوباً إنشائياً قوامه الطلب والخطاب، وله مزايا بلاغية متوافرة فيه توافرها في سائر ضروب الانشاء.

٢ ـ ان التنوع في أدوات النداء ليس وليد المصادفة، وإنما هو لأغراض بلاغية، فلكل أداة من هذه الأدوات معناها ومدلولها اللغوي والوظيفي بالإضافة إلى معناها البلاغي، ولا ريب أن هذا يجعلها موضوعاً من موضوعات البيان والبلاغة.

٣ ـ ما أكثر ما يخرج النداء عن أغراضه الأصلية، ويستعمل لأغراض بلاغية مختلفة، ولهذا جانب مهم في نطاق علم البلاغة.

٤ ـ يكفي أن يكون للنداء في القرآن الكريم ما ذكرت من أغراض حتى يهتم البلاغيون به، ويعالجوه موضوعاً من موضوعات البلاغة.

٥ ـ باستقراء القصائد الشعرية والخطب من العصر الجاهلي وما تلاه من عصور يتبين لنا أنها لا تكاد تخلو من النداء تصريحاً أو تلميحاً لأغراض بلاغية مما يوحي بأهميته ضمن علم البلاغة.

ب ـ كيف بحث البلاغيون النداء؟

بحث البلاغيون النداء من حيث تعريفه وأدواته بذكرها أو حذفها والمعاني المستفادة من النداء لدواع بلاغية تستنبط من السياق وقرائن الأحوال، ولم يتعرضوا للتقسيمات والأحكام التي بحثها النحويون إذ لا مجال لها عندهم، ولذلك فان البلاغيين يتفقون في التعريف وذكر الأدوات واستعمالاتها، ويتباينون في بحث ما يمتّ إلى الموضوع كل حسب ما يتطلبه اختصاصه. عرف البلاغيون النداء بأنه[١]: «طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء ينوب مناب «أدعو» أو «أنادي»»[٢]، المنقول من الخبر إلى الانشاء، مثل: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾[٣]، وقد يحذف حرف النداء إذا فهم من الكلام نحو: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾[٤]، وقيل: الأصل في النداء هو التصويت بالمنادى لإقباله عليك[٥].

وهو من جملة المعاني الإنشائية الطلبية بأحد حروف النداء أو أدواته وهي: الهمزة، أي، يا، أيا، هيا، آ، آي، وا.

---

(١) القزويني الخطيب جلال الدين: التلخيص في علوم البلاغة، باعتناء عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٣٢ ص ١٧١.

(٢) عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢ ص ١٢٥ وبكري الشيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩ ص ١١٣، وأحمد فارس: الكتابة والتعبير، دار الفكر، بيروت ط ١٩٧٩/٢ ص ١٨٠.

(٣) سورة مريم / ١٢.

(٤) سورة يوسف / ٢٩.

(٥) يحيى بن حمزة العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، مطبعة المقتطف بمصر ١٩١٤ جـ٣ ص ٢٩٢.

والطلب: كل ما طلبته من غيرك، ومنه بالإضافة إلى النداء الاستفهام والدعاء والتمني والترجي، والتعجب. . . الخ، لأن ذلك كله طلب، فانك إنما تطلب من الله - عز وجل - بدعائك ومسألتك، وتطلب من المنادى الاقبال إليك أو نحوك، وتطلب من المستفهم منه بذل الفائدة لك[1]، وأدوات النداء في الاستعمال نوعان:

١ - الهمزة وأي لنداء القريب.

٢ - الأدوات الست الأخرى لنداء البعيد[2].

وهذه الأدوات قد تستعمل في حقيقة ما وضعت له من نداء قريب أو بعيد، وحينئذ تكون جارية وفق مقتضى الظاهر.

فمن استعمال الهمزة وأي لنداء القريب جرياً على الأصل: أمحمد افتح النافذة التي بجوارك، أي زينت ناوليني كتابك لأقرأ فيه قليلاً.

ومن استعمال الأدوات الأخرى لنداء البعيد جرياً على الأصل.

قول ابن زيدون[3]:

يا ساري البرق غاد القصر واسق به　　　من كان صرف الهوى والود يسقينا

وقول أبي فراس الحمداني[4]:

أيا ظالماً أمسى يعاتب منصفاً　　　أتلزمني ذنب المسيء تعجرفا

وقول الشاعر:

---

(١) اسحق بن ابراهيم: البرهان في وجوه البيان ط: أولى ١٩٦٧، بغداد ت، أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي ص ١١٣.

(٢) يرى ابن الحاجب أن يا في القريب والبعيد حقيقة لأنها لطلب الاقبال مطلقاً، وقال الزمخشري: انها للبعيد، واستعمالها في القريب اما لاستبعاد الداعي عن مرتبة المدعو نحو يا الله، واما للتنبيه على علو الأمر وتعظيم شأنه شرح الكافية جـ١ ص ١٣١، والمفصل ص ٣٥.

(٣) جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ص ٢٠٨.

(٤) أبو فراس الحمداني، ديوانه دار إحياء التراث العربي، بيروت ص ١٧٩.

هيا غائباً عني وفي القلب عرشه أما آن أن يحظى بوجهك ناظري

وقد ينزل البعيد منزلة القريب، وعندئذ ينادى بالهمزة وأي إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن لأنه لا يغيب عن البال أصلاً كقول أبي تمام الطائي[1]:

أما لك ان الحزن أحلام نائم ومهما يدم فالوجه ليس بدائم

وقد ينادى القريب الداني الذي يراه ويسمعه آناء الليل وأطراف النهار بأداة لا ينادى بها إلا البعيد مثل «يا» إشارة إلى أن هذا الذي يناديه عالي الهمة، عظيم الشأن، بينه وبين مناديه عوالم شاسعة من المستحيل أن يقترب منها أو يكون فيها كما يخاطب أبو القاسم السهيلي[2] على هذه الصورة:

يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكي والمفزع

المرجّى للشدائد، والذي إيه المشتكى والمفزع هو الله، وهو قريب بل هو مع الانسان أنّى كان، ولكن أدب الخطاب دعا الشاعر أن يلتزم حدود الضراعة والأدب والخلق الرفيع فناداه بتلك الأداة.

وينزل القريب منزلة البعيد لانحطاط درجته مثل قول الفرزدق[3]:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وينزل القريب منزلة البعيد لغفلته وشرود ذهنه كقول أبي العتاهية:

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قيل وقال

وقوله[4]:

أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه خطر

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، نسخة مصورة عن دار الكتب ١٩٦٣ جـ٣ ص ٥٨.
(٢) ابن دحية: المطرب في اشعار المغرب ص ٨٥.
(٣) الشيخ أحمد الحملاوي: زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ط ٢ القاهرة ١٩١٥ ص ٥٤.
(٤) أبو العتاهية (أبو اسحق اسماعيل بن القاسم) ديوانه، دار صادر ودار بيروت ١٩٦٤ ص ١٨٨.

ملحوظات:

النداء من أقسام الانشاء، والأداة كما قيل نابت مناب فعل «ادعو» او «أنادي»[1]، وفي تقدير الفعل تصبح الجملة خبرية، وقد قال النحويون: ان الفعل نقل من الخبرية إلى الانشائية، ولم يصلوا بشأن يا إلى رأي واحد فمنهم من جعلها نائبة عن الفعل المذكور، ومنهم من اعتبرها اسم فعل، وآخرون اعتبروها حرف تنبيه[2]، والبعض اعتبرها قائمة بذاتها وهي العامل في الجملة[3].

أما البلاغيون[4] فانهم وان قدروا الفعل فانهم تطرقوا لموضوع تبادل الخبر والانشاء، إذ يحل كل واحد مكان الآخر، أسعفهم في ذلك ما ورد في اللغة العربية من صيغ عديدة ظاهرها الخبر وحقيقتها الانشاء، وهم يعدّون هذه الصيغ من صيغ الانشاء، ولا يهتمون بظاهرها[5] مثل: رحم الله فلاناً أو رزقني الله لقاءك، فان هذه العبارات أخبار في ظاهرها يمكن أن تعرض على قانون الصدق والكذب.

ولو تأملنا في حقيقتها لوجدناها أدعية صيغت بصيغة الأخبار، وان أصلها: اللهم ارحم فلاناً، اللهم ارزقني لقاءك.

كما ان البلاغيين يدرجون أمثال ذلك في أقسام الانشاء الطلبي رغم ظاهرها المعاكس، وللعلماء تعليل لطيف في أسباب قلب الانشاء إلى الخبر يتلخص في أن الأدب والذوق قد يقودان المتكلم إلى العزوف عن الأمر ولا سيما أمر الكبير العظيم.

وهناك أيضاً صيغ شتى ظاهرها الانشاء وحقيقتها الخبر، ويدرجها البلاغيون في زمرة الانشاء مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند

---

(١) هذا رأي سيبويه ومعظم البصريين.

(٢) رأي السيرافي: شرح السيرافي على سيبويه جـ ١ ص ٣٠٣.

(٣) د. عبده الراجحي: دروس في كتب النحو، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٥٤ ص ١٥.

(٤) و(٧) د. بكري الشيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد ص ١١٩.

كل مسجد﴾ عطف فعل الأمر «وأقيموا» وهـو إنشاء طلبي عـلى جملة خبريـة «أمر ربي» وان معنى الأمر في حقيقته: «وإقـامة وجـوهكم» وتكون العبـارة على الـوجه التالي: «قل أمر ربي بالقسط وإقامة وجوهكم عند كل مسجد».

والنـداء من هذا القبيـل، فأداة النـداء «يـا» إنشـاء فيهـا معنى الاستحضـار وتنوب مناب الفعل «أدعو» أو «أنادي» وهو إخبـار والمنادى في بـاب المفعوليـة بناء على تقدير الفعل المذكور.

جـ ـ وجوه البلاغة في النداء:

النداء كما فهمناه في اللغة دعوة موجهة من المنادي إلى المنـادى وتتضمن هذه الدعوة وجـوهاً، واضحـة صريحة يقصـد المتكلم إيضاحهـا وإبلاغهـا كما تتضمن معاني خفيـة إن جاز التعبير ترتبط بالجوانب النفسية لكـل من المنادى والمنـادى ولا تخفى أبعادها في الكـلام كما يشتمـل عليه من قـرائن تشير إلى الغـرض المقصود ـ ويستوجبها مقتضى الحال.

والوجوه البلاغية في النداء تتصل بهذه الدعوة سواء كانت صريحة أو خفيـة، ولعل تراوح النـداء بين أسلوبي الخـبر والانشاء واختـلاف آراء البلاغيـين في هذا الشأن يجعله موضوعاً شديد الطواعية للأدباء ليعـبروا عن مواقف شعـورية تلعب بلاغة الأديب دوراً بارعاً في تناولها والتعبير عنها.

١ ـ في النداء إقامة علاقة مع الآخر اما للحوار واما لأغـراض أخرى تفهم من سياق الكلام.

٢ ـ فيه حث على الاهتـمام بموضـوع الكلام والـدعوة للتبصر بـه مما يعـطي المضمون قيماً رمى إليها المنادى.

٣ ـ فيه توجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام حوله.

٤ ـ كما أن فيه ضرباً من الايجاز واختصاراً للكثير من الكلام.

٥ ـ نـاهيك بـالتلوين الكلامي والالتفـات البليغ ممـا يرغب في الاستـمالة،

ويبعث الاطمئنان في نفس السامع، ويقوي الحاجة إلى التفكير، وتخيّل المعنى.

د - خروج النداء عن معناه الأصلي:

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي لدواع ووجوه بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال ومنها:

١ - الدعاء: مثل: يا الله.

٢ - **الاغراء**(١): كالقول: يا مظلوم أقبل، قصداً إلى إغرائه، وحثه على زيادة التظلم.

٣ - **الاغراء بالتحريض**(٢): كقول شبل بن عبد ربه حين دخل على عبد الله وعنده ثمانون من بني أمية(٣):

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
أقصهم أيها الخليفة واقطع عنه بالسيف شأفة الأرجاس

٤ - **التحسر**: كقوله تعالى على لسان الكافر يوم القيامة: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾(٤)، وقوله: ﴿يا حسرة على العباد﴾(٥).

وقول ابن الرومي:

يا شبابي: وأين مني شبابي؟ آذنتني حباله بانقضاب

(١) أغريت بينهم إذا أوقعت بينهم كلاماً يشوش عليهم، وأغريت الكلب بالصيد إذا حرشته به ودللته، وغرى فلان بالشيء إذا أولع به، الفيروزابادي: القاموس المحيط، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩١٣ جـ ٤ ص ٣٦٩.
(٢) التحريض: الحض على الشيء وفعله.
(٣) نجم الدين أحمد بن الأثير: جوهر الكنز، تلخيص البراعة في أدوات ذوي البراعة، ط: منشأة المعارف بالاسكندرية، ت، د. محمد زغلول سلام ص ٥٦٣.
(٤) سورة سبأ / ٤٠.
(٥) سورة يس / ٣٠.

لهف نفسي على نعيمي ولهوى ... تحت أفنانه اللدان الرطاب

وقول الخنساء:

فيا لهفي عليه ولهف أمي ... أيصبح في الضريح وفيه يمسي

٥ - **الزجر**: كقول الشاعر:

الام يا قلب تستبقي مودتهم ... وقد أذاقوك ألواناً من الوصب

وقول آخر:

أيها القلب قد قضيت مراماً ... فالام الولوع بالشهوات

٦ - **الاختصاص**: كقول الرسول ﷺ: «اغفر اللهمّ لنا أيتها العصابة».

وهو اما في معرض التفاخر مثل: أنا أكرم الضيف أيها الرجل، أو التصاغر مثل: أنا المسكين أيها الرجل.

٧ - **الاستغاثة**: كقول الشاعر[1]:

يا للرجال ذوي الألباب من نفر ... لا يبرح السفه المردي لهم ديناً

ومثل: يا أولي القوة للضعفاء.

٨ - **التعجب**: مثل[2]:

يا لك من قبّرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري

ومثل: يا لجمال الربيع.

٩ - **الندبة**: كقول المعري[3]:

---

(١) ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ٢٨٧، والبغدادي في خزانة الأدب ٣٨٨/٦.

(٢) البكري: أبو عبيد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ت، د. احسان عباس، وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، ودار الرسالة: بيروت ١٩٧١ ص ٣٦٤.

(٣) المعري، أبو العلاء، شروح سقط الزند، ط، دار الكتب بالقاهرة، ١٩٤٦، الدار القومية للطباعة والنشر، بإشراف د. طه حسين، ت. هارون. السفر ٢ ص ٥٢٨.

فواعجباً كم يدعي الفضل ناقص　　　ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل

ومثل: واكبدي ويا ولداه.

١٠ ـ **التحقير**: كقول عتبة بن أبي سفيان مخاطباً أهل مصر وقد بلغه عنهم خبر أغضبه: يا الأم أنوف ركبت بين أعين.

١١ ـ **التحبب**: كقولك لمن تريد أن تشعره بمحبتك وعطفك عليه: يا حبيبي، يا بني، يا أخي.

١٢ ـ **التدله والتحير والتضجر**: كما في نداء الاطلال والمنازل والمطايا مثل: أيا منازل سلمى أين سلماك.

ومثل:

يا ناق جدي فقد أفنت أناتك بي　　　صبري وعمري واحلاسي وانساعي

١٣ ـ **الوعيد والتهديد**: كقول عمرو بن كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينا　　　وأنظرنا نخبرك اليقينا

١٤ ـ **العتاب**: كقول المتنبي(١):

يا أعدل الناس إلا في معاملتي　　　فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

١٥ ـ **التنبيه**: كقول الشاعر:

يا شاعراً لا شاعر اليوم مثله　　　جرير ولكن في كليب تواضع

١٦ ـ **التلذذ**: مثل: يا بردها على الفؤاد لو يقف(٢).

١٧ ـ **المدح**: مثل:

أيا قمراً تبسم عن أقاح　　　ويا غصناً يميل مع الرياح

---

(١) المتنبي: ديوانه، شرح الواحدي ص ٤٣٧.

(٢) أحمد بن فارس: الصاحبي، ط، مؤسسة بدران، بيروت ١٩٦٤، ت. مصطفى الشويمي ص ١٧٨.

والملاحظ في الأمثلة الواردة أن الأداة لم تتغير، وإنما تغير الوجه البلاغي بحسب الجملة التي دخلت عليها، وبحسب تركيب هذه الجملة،

ولا يمكن أن نأخذ برأي البلاغيين القائل بأن هذه الأدوات تختلف في معانيها، ويمكن أن يقال: إن ظلال معنى الجملة وإيحاءاته تضفي على الأداة شفافية مستمدة من هذا المعنى فتتلون الأداة، وتظهر الوجه البلاغي من دعاء وإغراء وزجر واستغاثة وما سوى ذلك.

ومثل الأداة هنا كمثل لوح الزجاج الصافي إن وضعته على الجسم الأبيض رأيت بياضاً متصلاً، وإن وضعته على الجسم الأصفر أو الاحمر أو الأخضر أو الأسود أعطاك اللون ذاته... لا تميز الزجاج مما تحته فكأنهما كل لا ينفصل وجزء لا يتجزأ[1].

هـ - بلاغة النداء في القرآن الكريم:

للقرآن الكريم طريقة في التعبير تعتمد على التصوير، وهي طريقة فنية من طرق الأداء لها قيمتها في إظهار إعجاز القرآن، ومن سماتها إتباع تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صور حسية، ولهذه الطريقة فضلها في أداء الدعوة إذ تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ الحواس بالتخييل[2]، فتثير الانفعالات الوجدانية وتشيع اللذة الفنية بهذه الاثارة، وإجاشة الحياة الكامنة بهذه الانفعالات، وتغذية الخيال بالصور لتحقيق الغرض المنشود.

وبهذه الطريقة التي تعتبر فناً قائماً وحده إزاء المعاني والأغراض كان القرآن في المنزلة الرفيعة من البلاغة وصلت إلى درجة الإعجاز التي يقصر عنها أساطين البلاغة والبيان.

وبلاغة النداء في القرآن مميزة وقد أدت قسطها ضمنه، ومن هنا يلاحظ

---

(١) د. بكري شيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني ص ٢١٧.

(٢) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف ١٩٦٣ ص ١٩٥.

استعمال النداء كثيراً في أساليب القرآن بالأداة «يا» مذكورة أو محذوفة، وباستعمالها مصحوبة بأي، وقد تعرض البلاغيون لذلك وأشاروا بأن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده... وغير ذلك مما أنطق به كتابه بأمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم غافلون عنها، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ[1]...

إن النداء في القرآن الكريم له إستعمالاته وله بلاغته وقد أفردت له فصلاً خاصاً به، ونقتصر هنا على ما يأتي: قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم...﴾[2].

وقال: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم...﴾[3].

في الآية الأولى نداء الذين آمنوا نداء خاص، وفي الآية الثانية يا أيها الناس نداء عام.

نداء الخاص هنا يحمل صورة من العطف ويزخر بجو من المحبة، ويوحي بتعاطف كبير كأن الذين آمنوا هم الأهل والأحبة والمقربون بخلاف النداء بـ «يا أيها الناس» ففيها صورة مختلفة عن الصورة الأخرى.

على المؤمنين أن يتفقوا ويتعاونوا ويبعدوا عن كل ما يوهن علاقاتهم، ويكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وقد جاءت الآية تناديهم بعدم السخرية بعضهم من بعض، لأن السخرية في حقيقتها حط من الكرامة، وامتهان

(١) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ط ٢ المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٨ هـ جـ ١ ص ١٧٤.
(٢) سورة الحجرات / ١١.
(٣) سورة الحجرات / ١٣.

للإنسانية، وابتذال للشخصية، ولو بحث المرء عن دواعي السخرية لرأى أن منها ما يعود إلى فقر الانسان، أو مرضه، أو ضعفه، أو أمر حلّ به وجعله موطن الهوان، ومثار الاستهزاء، وقد يكون السبب مفروضاً على الانسان لا يستطيع رده، ولا يمكنه إزالته، وهذه النواقص لا تقتضي إسقاط صاحبها من مستوى الانسانية، ولا تسوغ للآخرين إستغلالها لمهانته، فكم من المشوهين أو الضعفاء أو المرضى أو المصابين من يحمل العقل النير، والقلب الكبير، وواقع الحياة يثبت أنه ليس كل صحيح وقوي وغني هو الانسان الصالح، وان غير ذلك هو الانسان الطالح[1]، ومن هنا جاء تعقيب للآية «عسى أن يكونوا خيراً منهم».

والآية الثانية تنقلنا من الجو الخاص إلى الجو العام، من بيئة الذين آمنوا إلى الناس جميعاً في كل زمان ومكان تناديهم أنهم من جنس واحد، من ذكر وأنثى، يكمل بعضهم بعضاً، وأنهم شعوب وقبائل ومنهم تتكون الأمم والمجتمعات، ان أصلهم واحد، وحقيقتهم واحدة، وغايتهم واحدة، لذا عليهم أن يتعارفوا ويتحابوا وينشروا السلام، ويتعاونهم وإخائهم يشعرون بالمساواة، وتنتفي بينهم الفروق في اللون أو الجنس أو المكان أو الزمان، والفرق الوحيد هو التقوى والعمل الصالح.

وقال تعالى: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال: إنكم ماكثون﴾[2]. ﴿وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا نعمل صالحاً﴾[3]. وقال: ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾[4].

في الآية الأولى تبدو آلام العذاب الشديدة في الآخرة، وتظهر من خلال صرخات إنسانية تلقي ظلها من خلال التعبير.

---

(١) د. بكري شيخ أمين: التصوير الفني في القرآن ص ٢٨٨.
(٢) سورة الزخرف / ٧٧.
(٣) فاطر / ٣٧.
(٤) الفرقان / ٢٧.

أما في الآية الثانية فتظهر صرخات الندم يهتف بها لسان إنسان لكنه ندم بعد فوات الأوان.

وفي القرآن كثير من هذا القبيل ورد في الفصل المخصص له.

و ـ بلاغة النداء في الشعر والنثر العربيين:

الشعر لغة القلب يعتمد على الكلمة والصورة والوحي، وله سلطان على المشاعر والوجدان، والكلمة فيه لها وحي خاص، تحمل طاقة شعورية ولها بريق ساحر يجعل لها صورة غير صورتها في النثر ذلك أن جو الايقاع والنغم يضفيان عليها هالة من السحر تمنحها ألواناً من الدلالات الشعورية(1).

والشعر يعبر عن الحياة كما يحسها الانسان من خلال وجدانه، ولهذا كانت وظيفته الأولى التعبير عن الجوانب الوجدانية في النفس، ولا يعني ذلك أن الشعر خال من كل أثر للفكر مقصور على العواطف، بل ان الشعر الخالد لا بد له من الفكرة النافذة، والنظرة العميقة بحيث تأتي الأفكار ممتزجة بعواطف الشاعر ملونة بشعوره، متصلة بتجاربه.

أما النثر فانه لغة التخاطب ولغة العقل، تتسم الكلمة فيه بالرزانة لتجد سبيلها إلى العقل برفق، ولذا كان النثر لغة المبادىء والعلوم وسائر ما هو من مطالب الحياة الفكرية وشؤونها.

على أن من النثر ما يحوي من الايقاع والنغم ما يساوي الشعر أو يفوقه من جراء التجانس والتلاؤم الذي يقوم من طبيعة الحروف وترتيبها في الكلمة، وملاءمة الحروف كما يقع عليها من حركة أو سكون، وما يتبع من التجانس بين الكلمة وأختها على هذا المستوى، وبين العبارة والعبارة.

ومن هذا الجانب الدقيق كانت حلاوة النغم القرآني أروع تأثيراً من الشعر

(1) أحمد فارس: الكتابة والتعبير ط ٣، ١٩٧٩ ص ٢٨.

لروعة النغم في أسلوبه إلى جانب سمو أغراضه وبلاغته مما يبعث في الانسان طاقة عجيبة من التأثير يهز المشاعر هزاً شديداً، ولكن في وعي يوقظ العقل، ويشد انتباهه إلى جانب الشعور والوجدان.

ومن النثر أعني النثر الفني ما يحمل من سمات الشعر في نغمه وقوة مشاعره وتأثيره كما في خطب الخطباء في العصر الجاهلي والاسلامي وما بعده.

وتتجلى بلاغة النداء في الشعر والنثر من جراء كثرة استعماله، فمعظم الخطب والرسائل تستهل بالنداء كما أن جل القصائد الشعرية تبدأ به أو يرد في ثناياها.

فخطبة قس بن ساعدة الأيادي بدأت بالنداء: «يا أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت..

وخطبة الرسول محمد ﷺ في حجة الوداع بدأها بالنداء بعد حمد الله وكرره مرات: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، واستفتح بالذي هو خير، أما بعد: أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم... أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم... أيها الناس: ان لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق... أيها الناس: إنما المؤمنون اخوة فلا يحل لامرىء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه...

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وان أكرمكم عند الله أتقاكم...

جاء النداء أولاً بـ «عباد الله» إشارة وتنبيهاً إلى علاقة المخلوقات بالله وواجب أداء العبادة للمعبود، لأن الله لم يخلق الجن والانس إلا ليعبدون.

ثم كرر النداء بـ «يا أيها الناس» لأن النداء يتجه إلى مجتمع يتكون من مجرد اناسي من أفراد لا يزالون في الطبقة الدنيا من طبقات الآدميين في نظر الله والرسول، ولم يرتقوا بعد إلى ما أعلى منها، كما أن الرسول يقرر حقيقة عامة

تصدق على جميع بني آدم، وهذه الحقيقة هي مساواة الناس جميعاً بعضهم لبعض في القيمة الانسانية المشتركة، وانه لا فضل لأحدهم على الآخر لا بشعبه ولا بقبيلته، فكان من المتعين أن يتجه النداء إلى الناس كافة، إلى الآدميين على العموم، وكان هذا النداء بيا أيها الناس أدقّ أنواع الخطاب دلالة على حقيقتهم.

وهذا يصدق على ما ورد في خطب أبي بكر الصديق وعمر وعلي وزياد ابن أبيه. فمن خطب أبي بكر الصديق قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس: إني وليت عليكم ولست بخيركم فان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فسددوني...

ومن خطب عمر بن الخطاب قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس: إني راع فأمنوا...

ومن خطب علي بن أبي طالب: أيها الناس: شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا عن تيجان المفاخرة...

وفي خطبة لزياد بن أبيه قال: أيها الناس، إنا قد أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا...

ولا تكاد تخلو قصيدة من النداء من لدن العصر الجاهلي وما يليه، فامرؤ القيس يقول:

تقول وقد مال الغبيط بنا معا   عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

وزهير بن أبي سلمى يقول:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   تحملت بالعلياء من فوق جرثم

وأبو نواس يقول:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة   فلقد علمت بأن عفوك أعظم

وإيليا أبو ماضي يقول:

لبنان لا تعذل بنيك إذا هم ... ركبوا إلى العلياء كل سفين

ويلجأ الشاعر أو الناثر إلى النداء وغيره من أسلوب الانشاء لما له من تأثير يحقق رغبته، إذ البلاغة ما تبلغ به ذهن السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك، والنداء في ذلك يجذب السامع أو القارىء ويثير إنتباهه، ويشركه في الموضوع، ويوقظ شعوره، ويلفت ذهنه ويحرك عوامل الشوق في نفسه، ويدفعه في ذلك إلى التفكير فيما يسمع أو يقرأ، فيقبل ما يقال له ويتلقاه برضى بعد الاستجابة له.

على أن الاسلوب الانشائي عموماً يناسب الشعر أكثر من النثر، وان انتقال الشاعر أو الأديب في أسلوبه من الخبر إلى الانشاء وبالعكس يكسب الاسلوب حيوية، وينشىء حركة، ويبعث في السامع أو القارىء النشاط.

والملاحظ أن النداء لا يقتصر على ذكر الأداة فقط وإنما يأتي بالاشارة باليد والغمز بالحاجب، والايماض بالعين، قال الشاعر:

وتوحي إليه باللحاظ سلامها ... مخافة واش حاضر ورقيب

وقال آخر[1]:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

* * *

(1) قدامة بن جعفر: نقد النثر، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٨٠ ص ٦٤. والجاحظ: البيان والتبيين جـ ١ ص ٥٧.

ثبت المصادر والمراجع

أ ـ المصادر العربية والأجنبية :

١ ـ الآمدي، المؤتلف والمختلف، ط، البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٧١.

٢ ـ ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم، المثل السائر، ط، القاهرة ١٩٥٩.

٣ ـ ابن الأثير، نجم الدين، جوهر الكنز. تلخيص البراعة في أدوات ذوي البراعة ط. منشأة المعارف بالاسكندرية، ت. د. محمد زغلول سلام.

٤ ـ الاستراباذي، أبو الفضائل رضى الدين الحسن بن شرفشاه، شرح الكافية دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

٥ ـ الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، ط. معادة ـ القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٧٦.

٦ ـ الأصمعي، الأصمعيات، ت. عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة ١٩٦٥.

٧ ـ ابن الأنباري كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن، الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط، رابعة ١٣٨٠ هـ ١٩٦١.

٨ ـ ابن الأنباري، أسرار العربية، ت. محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧.

٩ ـ ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ت. حاتم صالح الضامن، بغداد ١٩٧٩.

١٠ ـ ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، ط. دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧.

١١ ـ ابن الأنباري، نزهة الألباء، في طبقات الأدباء، ت. ابراهيم السامرائي، ط أولى، بغداد ١٩٦٨.

١٢ ـ الأنصاري، أبو زيد، نوادره، ط، اليسوعيين ١٩٠٢.

١٣ ـ الباقلاني، محمد، اعجاز القرآن، ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٤.

١٤ ـ البزدوي، كشف الأسرار، ط، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤.

١٥ - البغدادي، خزانة الأدب، ت. عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٧/١٩٧٨.
١٦ - البغدادي، شرح شواهد الشافية، ط، دار المأمون بدمشق ١٩٧٨/١٩٨٠.
١٧ - البكري، أبو عبيد، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ط، دار الكتب القاهرة، ١٩٣٧.
١٨ ثعلب، مجالس ثعلب، ت. عبد السلام هارون - دار المعارف، القاهرة ١٩٥٥.
١٩ - الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت. عبد السلام هارون ط، الخانجي بمصر ١٩٥٥.
٢٠ الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ت. عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩.
٢١ - الجرجاني، الجمل، ت. أحمد حيدر، دمشق ١٩٦٩.
٢٢ - ابن الجزري، طبقات القراء (نشرة براجستراس) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٥٢ هـ.
٢٣ - ابن جعفر، قدامة، نقد النثر، تقديم د. طه حسين، المكتبة العلمية بيروت ١٩٨٠.
٢٤ - ابن جني، الخصائص، ت. محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٦.
٢٥ - ابن جني، المحتسب، ت. عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة ١٩٦٥ - ١٩٧٠.
٢٦ - ابن جني، المنصف، ط. البابي الحلبي بمصر ١٩٥٥.
٢٧ - ابن الحاجب، الكافية في النحو، حيدر أباد ١٣٦٧ هـ.
٢٨ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ١٣٤٨ هـ.
٢٩ - الحطيئة، ديوانه، ت. محمد أمين طه، ط، الحلبي، مصر ١٩٦٧.
٣٠ - أبو حيان، الامتاع والمؤانسة، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٣.
٣١ - أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ت. محمد منير الدمشقي - القاهرة ١٩٧٣ هـ.
٣٢ - ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، نشر عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٥٣.
٣٣ - ابن خلكان، محمد بن أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٠ - ١٩٧٤.
٣٤ - ابن خلكان، محمد بن أحمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت. محمد

محيي الدين عبد الحيمد، ط، أولى، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
٣٥ ـ الداني، أبو عمرو، المحكم في نقط المصاحف، ط. مديرية احياء التراث القديم دمشق ١٩٦٠.
٣٦ ـ الرازي، فخر الدين، نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، ط، مطبعة المنار والمؤيد بمصر ١٣١٧ هـ.
٣٧ ـ الرماني، معاني الحروف، ت. رمضان عبد التواب، ط. الخانجي بمصر ١٩٦٩.
٣٨ ـ الرماني، النكت في اعراب القرآن، ت. محمد خلف الله وزغلول سلام، من المجموعة (ثلاث رسائل في اعجاز القرآن).
٣٩ ـ الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ط، الخانجي ت. محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٧٩.
٤٠ ـ الزبيدي، الواضح في علم العربية، ت. أحمد علي السيد ـ القاهرة ١٩٧١.
٤١ ـ الزجاجي، الجمل ت. أبي شنب، الجزائر ١٩٢٦.
٤٢ ـ الزجاجي، مجالس العلماء، ت. عبد السلام هارون، الكويت ١٩٦٢.
٤٣ ـ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط. دار الكتب العربية.
٤٤ ـ الزمخشري، جار الله أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن طبعة البابي الحلبي القاهرة ١٣١٨ هـ.
٤٥ ـ الزمخشري، المفصل في علوم العربية، ط، ثالثة، دار الجيل ـ بيروت.
٤٦ ـ السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية، ت. محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، ط، دار احياء الكتب العربية ١٩٦٤.
٤٧ ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع، نشره القدسي، ١٣٥٣ هـ.
٤٨ ـ ابن السراج، الأصول في النحو، ت. عبد الحسين الفتلي، مطبعة النعمان النجف الأشرف ١٩٧٣.
٤٩ ـ ابن السراج، الموجز في النحو، ت. مصطفى الشويمي وبن سالم دامرجي ط. بدران، بيروت ١٩٦٥.
٥٠ ـ ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ت. محمود شاكر، القاهرة ١٩٧٧.

٥١ ـ السهيلي، الروض الأنف ت. عبد الرحمن الوكيل، القاهرة ١٩٦٩.
٥٢ ـ سيبويه، الكتاب، ت. عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦.
٥٣ ـ ابن سيد الناس، عيون الأثر، تصوير بيروت ١٩٧٦.
٥٤ ـ السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، ت. كرنكو، مصور بالأوفست بيروت ١٩٧٨.
٥٥ ـ السيرافي، أبو سعيد، شرح أبيات سيبويه، ت. د. محمد علي سلطاني، دمشق ١٩٧٦.
٥٦ ـ السيرافي، أبو سعيد، شرح السيرافي على كتاب سيبويه، تصوير المثنى، بغداد بيروت ١٩٧٠.
٥٧ ـ السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، ط، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٠.
٥٨ ـ السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر، تصوير، بيروت ١٩١٩.
٥٩ ـ السيوطي، جلال الدين، الاقتراح، ت. أ. قاسم، ١٩٧٦.
٦٠ ـ السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت ط ثانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
٦١ ـ السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط. فهمي الكتبي، القاهرة ١٣٢١ هـ.
٦٢ ـ السيوطي، شرح شواهد المغني، ط القاهرة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.
٦٣ ـ السيوطي، شرح الفريدة، بغداد ١٩٧٧.
٦٤ ـ السيوطي، طبقات المفسرين، نشر مورزينغ، ليون ١٨٣٩.
٦٥ ـ السيوطي، المزهر ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٦٢.
٦٦ ـ السيوطي، همع الهوامع، مصور بالأوفست، بيروت ١٩٧٦.
٦٧ ـ الشافعي، محمد بن ادريس، الرسالة، ت. أحمد محمد شاكر ط، البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٧.
٦٨ ـ ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله، الأمالي الشجرية، حيدر أباد الدكن ١٣٤٩ هـ.
٦٩ ـ الشلوبين، التوطئة، ت. م. قاسم، القاهرة ١٩٧٢.
٧٠ ـ الشنتمري، الأعلم، تحصيل عين الذهب، بيروت ١٩٧١.
٧١ ـ الشوكاني، البدر الطالع، البابي الحلبي، القاهرة ١٣٤٩ هـ.

٧٢ ـ الصفدي، الوافي بالوفيات، جمعية المستشرقين الالمانية، ١٩٦٢.
٧٣ ـ الضبي، المفضليات ت. محمود شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة ١٩٦٦.
٧٤ ـ طرفة، ديوانه، ط. صادر، بيروت ١٩٦٨.
٧٥ ـ عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب، القاهرة ١٣٧٨ هـ.
٧٦ ـ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ت. سعيد العريان، القاهرة ١٩٥١.
٧٧ ـ ابن عصفور، المقرب، بغداد ١٩٧٤.
٧٨ ـ العكبري، املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن ت. ابراهيم عطوة عوض، ط، أولى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.
٧٩ ـ فصل المقال، شرح كتاب الأمثال، ت. احسان عباس وعبد المجيد عابدين بيروت ١٩٧١.
٨٠ ـ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نشره القدسي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
٨١ ـ ابن فارس، الصاحبي ت. مصطفى الشويمي، ط. مؤسسة بدران بيروت ١٩٦٤.
٨٢ ـ الفراء، معاني القرآن، ط. الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٦٠.
٨٣ ـ الفيروزابادي، مجد الدين، القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م.
٨٤ ـ القرآن الكريم.
٨٥ ـ القالي، الأمالي، تصوير عن طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٣١.
٨٦ ـ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط. دار المعارف القاهرة ١٩٦٤.
٨٧ ـ ابن قتيبة، عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٦٣.
٨٨ ـ ابن قتيبة، المعارف، ت. ثروت عكاشة، ط. دار المعارف، القاهرة ١٩٦٩.
٨٩ ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط. القاهرة ١٩٦٧.
٩٠ ـ القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة ت. شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥١.
٩١ ـ القفطي، أنباه الرواة على أنباه النحاة، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، ١٩٥٣ ـ ١٩٧٦.

٩٢ ـ لبيد، ديوانه، نشره احسان عباس، الكويت ١٩٦٣.
٩٣ ـ اللغوي، أبو الطيب، شجر الدر، ت. عبد الجواد الأصمعي، دار المعارف القاهرة ١٩٥٣.
٩٤ ـ اللغوي، أبو الطيب، مراتب النحويين، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٧٧.
٩٥ ـ ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ت. محمد كامل بركات، القاهرة ١٩٦٧.
٩٦ ـ ابن مالك، الخلاصة الألفية في علم العربية، المكتبة الشعبية، بيروت ١٩٧٠.
٩٧ ـ ابن مالك، عمدة الحافظ وعدة اللافظ، ت. عدنان عبد الرحمن الدوري بغداد ١٩٦٧.
٩٨ ـ المبرد، الكامل، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٤٩.
٩٩ ـ المبرد، المذكر والمؤنث، ت. رمضان عبد التواب، القاهرة ١٩٧١.
١٠٠ ـ المبرد، المقتضب، ت. محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٩٧٠.
١٠١ ـ المرزباني، معجم الشعراء، ت. عبد الستار فراج، مطبعة مصر بالفجالة القاهرة ١٩٥٤.
١٠٢ ـ المرزباني، الموشح، ت. عبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٥.
١٠٣ ـ المرزباني، الموشح، ت. علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٦.
١٠٤ ـ المرزباني، نور القبس المختصر من المقتبس، اختصار اليغموري، ت. ر. زلهايم بيروت ١٩٦٨.
١٠٥ ـ المرزوقي، شرح الحماسة، نشر لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٥١.
١٠٦ ـ ابن المعتز، عبد الله، الطبقات، ت. عبد الستار فراج، ط. ثانية القاهرة ١٩٧١.
١٠٧ ـ المقري، نفح الطيب، ط. القاهرة ١٩٤٩.
١٠٨ ـ المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ت. محمد مصطفى زيادة، وكمال سعيد، عبد الفتاح عاشور، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر ودار الكتب القاهرة ١٩٥٦/١٩٧٢.
١٠٩ ـ ابن المقفع، الترجمة الارسططالية المنسوبة إليه في التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ط. النهضة المصرية ١٩٤٠، مجموعة دراسات ترجمها وقدم لها عبد الرحمن بدوي.

١١٠ ـ ابن منظور، لسان العرب، مصور بالأوفست، القاهرة ١٩٦٨.
١١١ ـ الميداني، مجمع الأمثال، ط. الكاثوليكية، ١٩١١.
١١٢ ـ النابغة، ديوانه، ت. شكري فيصل، دار الفكر، بيروت ١٩٦٥.
١١٣ ـ ابن النديم، الفهرست، ج. فلوغل، مصور بالأوفست، بيروت ١٩٧٠.
١١٤ ـ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٤٩.
١١٥ ـ ابن هشام، شرح شذور الذهب، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٦٨.
١١٦ ـ ابن هشام، شرح قطر الندى، ت. محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر، ط: ١٢، ١٩٦٦.
١١٧ ـ ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، نشره سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت ١٩٦٩.
١١٨ ـ ابن هشام، عبد الملك، سيرة ابن هشام، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٩٥ هـ.
١١٩ ـ الواحدي، الوسيط في الأمثال، ت. عفيف عبد الرحمن، الكويت ١٩٧٥.
١٢٠ ـ اليافعي، مرآن الجنان وعبرة اليقظان، تصوير مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت عن نشرة حيدر اباد ١٩٧٠.
١٢١ ـ ياقوت، معجم الأدباء، ط، ثالثة، مصورة عن طبعة المأمون، دار الفكر، بيروت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠.
١٢٢ ـ ابن يعيش، شرح المفصل، مصور بالأوفست، بيروت ١٩٧٦.
– Rosenthal, F.: Das fortleben der antike in islam brill, 1972.

ب ـ المراجع:

١ ـ بن ابراهيم اسحق، البرهان في وجوه البيان، ط أولى ١٩٦٧ ت. د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي.
٢ ـ الأزهري، الشيخ خالد، التصريح، ط. الأزهرية، القاهرة ١٣٢٥ هـ.
٣ ـ الأشموني، شرح الأشموني مع حاشية الصبان، القاهرة ١٣٦٢ هـ.
٤ ـ الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.
٥ ـ أمين، أحمد، ضحى الاسلام، ط. النهضة المصرية، القاهرة.

٦ - برانق، محمد أحمد، النحو المنهجي، مطبعة لجنة البيان العربي، ط. ثانية ١٩٥٩.
٧ - البهي، د. محمد، نحو القرآن، ط. القاهرة ١٩٧٦.
٨ - التبريزي، شرح المعلقات، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة ١٩٧١.
٩ - الجارم، علي، ومصطفى أمين، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، دار المعارف بمصر ١٩٥٨.
١٠ - جونسون، م. التواصل البشري بين اللغويين والحياة العملية ١٩٤٨ (بالانجليزية).
١١ - الجويني، مصطفى الصاوي، البلاغة والنقد بين التاريخ والفن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الاسكندرية ١٩٧٥.
١٢ - حسن، عباس، النحو الوافي، ط. دار المعارف بمصر، ط ثانية ١٩٧٤.
١٣ - حسن، عبد الحميد، القواعد النحوية، مادتها وطريقتها، ط. ثانية، الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٣.
١٤ - حسين، عبد القادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة مصر القاهرة ١٩٧٠.
١٥ - الحملاوي، الشيخ أحمد، زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع، ط. ثانية ١٩١٥.
١٦ - الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ط. البابي الحلبي بمصر، القاهرة، ١٩٤٠.
١٧ - الدسوقي، حاشية الدسوقي على المغني، القاهرة ١٣٦١ هـ.
١٨ - دمشقية، د. عفيف، أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، ط. معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٧٨.
١٩ - الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط. ثالثة، بيروت، دون تاريخ.
٢٠ - السامرائي، د. مهدي صالح، تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية، المكتب الاسلامي في بيروت، ط. أولى ١٩٧٧.
٢١ - سيزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة أبو الفضل ١٩٧١.
٢٢ - الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، المطبعة الفاروقية بالاسكندرية ١٩٤٠ م.
٢٣ - شلبي، عبد الفتاح، أبو علي الفارسي، مطبعة نهضة مصر.

٢٤ ـ شلتوت، الامام محمود، من توجيهات القرآن، ط. دار القلم، القاهرة ١٩٦٦.
٢٥ ـ شيخ أمين، د. بكري، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩.
٢٦ ـ شيخ أمين، د. بكري، التعبير الفني في القرآن، ط. دار الشروق بيروت ط. أولى ١٩٧٣.
٢٧ ـ ضيف، د. شوقي، المدارس النحوية، ط. دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٢ ط ٢٠.
٢٨ ـ طبانة، بدوي، أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، القاهرة ١٩٥٢.
٢٩ ـ طبانة، بدوي، البيان العربي، نشر مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
٣٠ ـ عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢.
٣١ ـ ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، نشر محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٦١.
٣٢ ـ العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار العربية، وعلوم حقائق الاعجاز، مطبعة المقتطف بمصر، ١٩١٤.
٣٣ ـ عون، د. حسن، تطور الدرس النحوي، القاهرة ١٩٧٠.
٣٤ ـ العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، القاهرة ١٣٨٣ هـ.
٣٥ ـ الغلاييني، الشيخ مصطفى، جامع الدروس العربية، ط. تاسعة، المطبعة العصرية، صيدا ـ لبنان ١٩٦٢.
٣٦ ـ فارس، أحمد، الكتابة والتعبير، دار الفكر، بيروت، ط. ثانية ١٩٧٩.
٣٧ ـ قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف القاهرة ١٩٦٨.
٣٨ ـ كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ط. المثنى، بغداد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
٣٩ ـ المبارك، مازن، النحو العربي، ط. ثانية، دار الفكر، بيروت ١٩٧١.
٤٠ ـ المحاسبي، الحارث بن أسد، العقل وفهم القرآن، ت. حسين القوتلي ط. دار الفكر، بيروت ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م.
٤١ ـ المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة، ط. ثانية، القاهرة ١٩٧١.
٤٢ ـ المنجد، د. صلاح الدين، مجموعة مقالات نقلها إلى العربية باسم (الفلسفة الشكية عند العرب، في المنتقى من دراسة المستشرقين) ط. ثانية دار الكتاب

الجديد، بيروت ١٩٧٦.
٤٣ ـ ناصف، علي النجدي، سيبويه امام النحاة، القاهرة ١٩٥٣.
٤٤ ـ بن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، دار الفكر، بيروت.
٤٥ ـ النحاس، شرح أبيات سيبويه، ط. أولى، ت. أحمد خطاب النجف ١٩٧١.
٤٦ ـ هارون، عبد السلام، تحقيقه حديث البسوس، القاهرة ١٩٥٢.
٤٧ ـ هارون، عبد السلام، شواهد العربية القاهرة ١٩٧٧/١٩٧٩.

* * *

ثبتُ الموضوعاتُ

● المقدمة .... صفحة ٥

● **الفصل الأول: النداء في النحو العربي** ٩

أ ـ نشأة النحو العربي: ٩

من رسم النحو العربي ١١

ب ـ مدارس النحو العربي: ١٥

١ ـ مدرستا البصرة والكوفة ١٦

أ ـ نشأة الخلاف بين المدرستين ١٨

ب ـ أهم الفروق بين المدرستين ١٩

● السماع ١٩

● تبادل الأخذ بين المدرستين ٢١

● القياس ٢١

٢ ـ المدرسة البغدادية ٢٣

٣ ـ المدرسة الأندلسية ٢٣

٤ ـ المدرسة المصرية ٢٤

جـ ـ النداء موضوع من موضوعات النحو ٢٤

د ـ النحويون العرب الذين بحثوا في النداء ٢٥

● **الفصل الثاني: النداء في الفكر النحوي العربي** ٢٨

أ ـ كيف نظر مفكرّو النحو العربي إلى النداء؟ ٢٨

١ ـ سيبويه ٢٩

٢ ـ ابن السرّاج ٣٦

٣ ـ الزمخشري ٤١

٤ ـ ابن الحاجب ٤٥

٥ ـ ابن مالك ٤٩

٦ ـ ابن هشام .... صفحة ٥٤
٧ ـ السيوطي ٥٨
٨ ـ الشيخ مصطفى الغلاييني ٦٢
٩ ـ علي الجارم ومصطفى أمين ٦٥
١٠ ـ عباس حسن ٦٦

ب ـ ما المشكلات التي أثارها النداء في وجه الدارسين ٦٩
النداء بين علماء البصرة وعلماء الكوفة ٦٩

جـ ـ كيف حاول الدارسون حل المشكلات ٧٣

● **الفصل الثالث: قواعد النداء في النحو العربي** ٧٨
أ ـ تعريف النداء ٧٨
ب ـ حروفه ٨٠
جـ ـ مواضع ذكر أدوات النداء ٨٢
د ـ حكم المنادى: ٨٥
١ ـ ناصب المنادى ٨٥
٢ ـ متى يُنصب لفظاً ومتى ينصب محلاً؟ ٨٦
شروح ٨٧

هـ ـ دخول «أل» على المنادى ١٠٠
و ـ تابع المنادى وأحكامه: ١٠٠
١ ـ حكم تابع المنادى المنصوب لفظاً ١٠٠
٢ ـ حكم تابع المنادى المجرور لفظاً وهو المستغاث به ١٠١
٣ ـ حكم تابع المنادى المبني ١٠٢

ز ـ المنادى المبهم ١٠٤
حـ ـ المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ١٠٨
ط ـ اضافة المنادى إلى مضاف إلى ياء المتكلم ١١١
ي ـ أسماء لازمت النداء ١١٢
ك ـ أسماء لا تستعمل مناداة ١١٣

ل ـ الاستغاثة .... صفحة ١١٣
ملحوظات ١١٥

م ـ الندبة ١١٩
ملحوظات ١٢٠

ن ـ الترخيم ١٢٣
ملحوظات ١٢٧

● الفصل الرابع: النداء في القرآن الكريم ١٢٨
أ ـ رصد الآيات القرآنية التي تحتوي على نداء ١٢٨
ب ـ إلى من يتوجّه النداء في القرآن الكريم؟ ١٣٠
جـ ـ ما الغاية من استخدام النداء في القرآن الكريم؟ ١٣٥
د ـ المعاني التي يخدمها النداء في القرآن الكريم ١٣٦
هـ ـ النداء في القرآن الكريم شواهد نحوية وبلاغية ١٥٢

● الفصل الخامس: النداء والبلاغة العربية ١٥٥
أ ـ النداء موضوع من موضوعات علم البلاغة ١٥٥
ب ـ كيف بحث البلاغيون النداء؟ ١٥٦
ملحوظات ١٥٩

جـ ـ وجوه البلاغة في النداء ١٦٠
د ـ خروج النداء عن معناه الأصلي ١٦١
هـ ـ بلاغة النداء في القرآن الكريم ١٦٤
و ـ بلاغة النداء في الشعر والنثر العربيين ١٦٧

● ثبت المصادر والمراجع ١٧١
أ ـ المصادر العربية والأجنبية ١٧١
ب ـ المراجع ١٧٧

* * *

تصميم واخراج: دار المثـال (فنون طباعية)
بيروت ـ شارع سليم سلام ـ تلفون ٦٣٠٥٢٥

النداء

في اللغة والقرآن